ISSN 0970-3713

ثقافة الهند

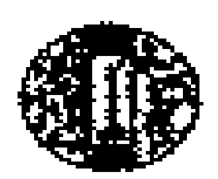
مجلة علمية ثقافية، جامعة، فصلية

المجلد ٥٤ العدد ٣، ٤

٢٠٠٣م

مدير التحرير التنفيذي

د. رضوان الرحمن



المجلس الهندي للعلاقات الثقافية

نيو دلهي

إن المجلس الهندي للعلاقات الثقافية منظمة حرة لوزارة الشؤون الخارجية الحكومة الهندية أنشئت عام ١٩٥٠م لإنشاء و تنمية العلاقات الثقافية و التفاهم المتبادل بين الهند و البلدان الأخرى، و ضمن برنامج مطبوعاته ينشر المجلس، بين ما ينشر، عدة مجلات، ففي العربية "ثقافة الهند" و في الانكليزية "Indian Horizons" و "Africa Quarterly" و في الفرنسية "Rencontre Avec l'Inde" و في الأسبانية "Papeles de la India" و في الهندية "Gagananchal" و كلها تصدر أربع مرات في السنة.

و كل المراسلات المتعلقة بالاشتراك و دفع الثمن و بشؤون الطباعة و النشر توجه إلى:

The Programme Director (Pub.)
Indian Council for Cultural Relations
Azad Bhavan, Indraprastha Estate
New Delhi-110002 (India)

بدل الاشتراك للمجلات الصادرة عن المجلس.

ثمن النسخة	الاشتراك السنوي	اشتراك ثلاثة أعوام
١٥ روبية	١٠٠ روبية	٢٥٠ روبية
١٠ دولارات	٤٠ دولارا	١٠٠ دولار
٤ جنيهات	١٦ جنيها	٤٠ جنيها

نشرها و طبعها السيد ركيش كومار المدير العام للمجلس الهندي للعلاقات الثقافية آزاد بهون، نيودلهي، الهند.

طبعت في مطبعة [illegible]، دلهي - ١١٠٠٩٢

ثقافة الهند

المجلد ٥٤، العدد ٣-٤، ٢٠٠٣م

في هذا العدد

كلمة الناشر

العلاقات بين الهند والعرب قد مدت جذورها في التاريخ
تغطي احتكاكات بينهما مجالات شاملة من التجارة والاقتصاد
والأدب والموسيقى والطب والعلوم والفلسفة وعلم الرياضة فالفلك
هذه الاتصالات والاحتكاكات متعددة الجوانب بين الهند والعرب.

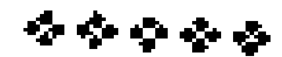
والعدد الحالي لمجلة "ثقافة الهند" يحاول إبراز الجوانب
الأدبية والثقافية لهذه الاتصالات.

من المتوقع أنكم ستتمتعون بمحتويات هذا العدد وتسجلون
آراءكم وتعليقاتكم حولها للمساعدة في رفع جودة المجلة.

راكيش كومار

المدير العام

المجلس الهندي للعلاقات الثقافية



كلمة التحرير

إن الحضارة الهندية في مسارها لخمسة آلاف سنة نمت و تطورت حتى ازدهرت ذروتها في مجالات شتى من الأدب و التقنية المتقدمة فتراكمت تحت أثرها ثروات هائلة في الزمن الغابر فطار صيتها في العالم كله. توافد إليها التجار و العلماء و السياح ليشبعوا غليلهم المادي و الروحي. كذلك جاء إليها الغزاة والمستعمرون فسيطروا عليها واستبدوا الشعب وظلموا عليهم و فرضوا عليهم قيودا و حواجز ونهبوهم وأخيرا مضت هذه الفترة المأساوية لتاريخ الهند وحصلت على استقلالها في منتصف القرن السابق فبدأت الهند مرة أخرى تجتاز مراحل التقدم والتنمية في مجالات متعددة. فمجلة " ثقافة الهند" تهدف نقل أحوال هذه العصور وظروفها وتقدم لكم مقالات على موضوعات مختلفة وتذكركم لما أبدعتها العصور السالفة من تاريخها الحافل بالأحداث و الوقائع الهامة.

وضع العرب أرجلهم على تراب الهند أولا في جنوبي البلاد واتصلوا بالمواطنين الهنود و تبادلوا معهم آرائهم و أفكارهم و بضائعهم و لغتهم وتكثفت هذه العملية على مرور الزمن فأثرت الحضارة العربية في الحضارة الهندية تأثيرا عميقا. فأثرا لهذه الاحتكاكات انتشرت اللغة العربية في ولاية كيرالا و تاملنادو وبرز فيهما كتاب و شعراء عبر العصور يبدعون آثارهم وكتاباتهم في العربية التي يعجب بها العرب و العجم كلاهما. صدقة الله أبا هو من هؤلاء الكتاب و الشعراء الذين أثبتوا كفاءتهم في استخدام اللغة العربية و أجادوها كالناطقين بها. إذ إنه كان رجلا متدينا فأنتج أغلبية أعماله في ذكر النبي صلى الله عليه وسلم و مدحه وتبجيل الخلفاء والصوفيين. مثل صدقة الله أبا أيضا نبغ كتاب ومترجمون في ولاية تاملنادو يستخدمون اللغة العربية و تركوا آثارا عربية مترجمة من اللغة التاملية كما أشار إليها محمد شاه في مقالته المتعلقة بها.

دخل الإسلام شبه القارة الهندية في المنتصف الثاني للقرن السابع الميلادي فأولا انتشر في جنوبي الهند عن طريق الحركات التجارية فاعتنقه الشعب من مختلف الأديان كذلك جاء إلى شمالي البلاد في القرن الثاني بعد أن وصل فيها الصوفيون و المبلغون من الفارس و العرب. ومن العجب أن الهند دولة تكثر الأديان و المذاهب و المبادئ الداخلة إليها من الخارج وتصبغها بالصبغة المحلية التي

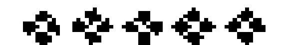
حد تتغير أشكالها و مزاياها من أصلها كما تأخذ الآثار الغربية من مختلف الأديان و الثقافات وتدمجها بالسهولة. فالمقالتان لسيد احسان الرحمن و الدكتور محمد عمر تتناولان هذا الموضوع و تشيران إلي التطورات الثقافية التي طرأت علي المجتمع الهندي تحت أثر دخول الإسلام في الأراضي الهندية.

مجلة " ثقافة الهند" قد نشرت في الماضي مقالات عديدة تناقش مختلف جوانب تطور اللغة العربية في الهند كذلك نقلت إليكم معلومات حول حركة الترجمة و التأليف في العربية من مختلف العصور. ففي هذا العدد أيضا ننشر لكم في هذا العدد مقالة البحث علي هذا الموضوع مبرزة مجهودات الدولة و المدارس الإسلامية في نشرها و ترويجها في ربوع الهند. ولكن المقالة البارزة لهذا العدد هي علي موضوع "الأفكار الاجتماعية في روايات بريم تشند" التي ساهمها الدكتور مجيب الرحمن. وقد اخترنا هذا الموضوع بالخصوص علي مرور مائة وخمس و عشرين عاما علي ميلاد الكاتب والقاص والروائي الهندي البارز بريم تشند الذي قد ترجمت أقاصيصه و رواياته في مختلف اللغات الهندية و العالمية. كذلك ننشر قصته " الامتحان" التي تقدم لكم صورة الهند الريفية و هي من ميزات قصص وروايات هذا الكاتب العملاق.

ومن المتوقع أن تعجبكم مقالات ومواضيع أخرى أيضا يحوي هذا العدد للمجلة ونرجي منكم تقديم آرائكم وتعليقاتكم البناءة لتحسين مستوى مجلتكم المحبوبة في المستقبل.

د. رضوان الرحمن*

مدير التحرير التنفيذي



* أستاذ مساعد، مركز الدراسات العربية والإفريقية، جامعة جواهر لال نهرو، نيو دلهي

الأدباء الكبار من أسرة الشيخ صدقة الله أيا

- د. أحمد زبير*

إن شبه القارة الهندية كانت لها صلة بالعرب منذ عهد بعيد جدا. وبعد ما نشر الدين الإسلامي الحنيف في أرضنا أصبحت صلتها قوية بالعرب واللغة العربية. واهتم مسلمو الهند بتعلم اللغة العربية أنفسهم وبتعليمها لأولادهم. ولها مكان خاص في حياة مسلمي الهند بسبب كونها لغة القرآن الكريم.

ونتيجة لهذا الاهتمام أنتجت الهند الآلاف من الأدباء البارزين ويوجد كثير من مؤلفاتهم في اللغة العربية. ومعظم هذه المؤلفات مثل مؤلفات العرب أسلوبا. وإذا نأخذ بعين الاعتبار نفهم بأن الأدباء وعلماء الهند لهم مساهمة كبيرة فيه منذ زمن بعيد إلى يومنا هذا. ونجد تاريخ الهند في كل زمن من الزمان أدباء في اللغة العربية ولهم مؤلفات في مجالات مختلفة من الأدب العربي. ومن هؤلاء

---

* أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها بالكلية الجديدة، شناي، الهند

الأدباء من يندر نظيرهم في الذكاء وقوة التعبير وحسن الفصاحة والبلاغة. ومن هؤلاء الأدباء من يندر نظيرهم في تفسير القرآن الكريم وشرح الأحاديث بالدقة. وهذا برهان واضح لما يحصل عليه أدباء وطننا من المهارة في اللغة العربية.

لقد ساهم علماء أسرة الشيخ صبغة الله أيضا في نشر الدين واللغة العربية وآدابها كما ساهم العلماء العرب في ترويجها في أنحاء العالم. ولكن يعتبر علماء هذه الأسرة الإسلام واللغة العربية عيني الإنسان. وقد قدم هؤلاء العلماء الكرام خدماتهم الجليلة لنشر اللغة العربية والإسلام بتأليف الكتب وقرض القصائد والمراثي وبعض كتبه تتعلق بمختلف فروع الأدب العربي وعلوم الدين الإسلامي وغيرها.

ويذل علماء الدين الإسلامي وأدباء اللغة العربية وشعرائها البارزون ومشايخ الإسلام جهودهم العظيمة لنشر اللغة العربية ويبقى ذكرهم حتى اليوم بخدماتهم للدين واللغة العربية والأدب وغيرها. ولعبت فيها ولاية تاملنادو دورا هاما وقد قدم علمائهم خدماتهم العلمية والأدبية والثقافية القيمة ولقد استمرت مساهمة علماء تاملنادو في ترقية اللغة العربية وتقدمها وتفوقها حتى القرن الحاضر وازدادت مساهمة علماء هذه الولاية العظيمة التي تتواصل حتى يومنا هذا.

دخل الإسلام إلى أرض الهند أولاً من المناطق الساحلية الجنوبية ثم بعد زمن طويل إلى المناطق الغربية الشمالية عن طريق الفتوحات الإسلامية الناجحة، وسنرى هذه الحقائق بوضوح في الصفحات القادمة. كانت هناك روابط وعلاقات شتى بين العرب والهند من أقدم الأيام إلى عصر النبي صلى الله عليه وسلم من جهة التجارة والمعيشة والثقافة. كان هناك سببان رئيسيان لقدوم العرب إلى ولاية تامل نادو. السبب الأول هو التجارة والثاني هو زيارة أثر قدم سيدنا آدم عليه السلام في سرنديب ومقبرة هابيل بن آدم عليه السلام الواقعة في راميشورم في أقصى جنوبي تاميل نادو.

(١) الشيخ صدق إبراهيم (جد الشيخ صدقة الله أبا) (٩٥٤-١٠٣٨هـ)

كان الشيخ قطب الماجد شاه الحميد الناغوري داعياً ومصلحاً وكان متبعوه يحبونه ويعملون حسب أوامر الشيخ. كان الشيخ صدق إبراهيم مريداً مقرباً للمرشد الشيخ شاه الحميد. فزار الشيخ مع مريده صدق إبراهيم أماكن مختلفة بولاية تامل نادو وكافحا ضد الاستعمار البرتغالي في القرن السادس عشر. كان الشيخ شاه الحميد يحمل أفكاراً وآراء في نهوض المسلمين فلتحقيق هذا الهدف التقى الشيخ صدق إبراهيم بحكام "تنجاور" و"رامناد" وذهب إلى ولاية كيرالا وطلب مساعدة أهل "السامدري" من

كاليكوت. لعب الشيخ صدق إبراهيم دورا هاما في تجنيد "الكنجاليين" الشهيرين في ولاية كيرالا للمحاربة ضد البرتغاليين.

ولد الشيخ صدق إبراهيم في قاهرة باتنم وكان ينتمي إلى أسرة الشيخ محمد الخلجي الذي كان يعيش في المدينة المنورة في عصر خلافة العباسيين وكان مخالفا لحركة المعتزلة. وكان الشيخ محمد الخلجي من ذرية أمير المؤمنين أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

لقد ساهمت أسرة الشيخ صدق إبراهيم مريكار كثيرا في نشر الدعوة الإسلامية وترويج اللغة العربية في ولاية تامل نادو وذلك بعد العصر البرتغالي والنهضة ما حطمه البرتغاليون من الكتب والمخطوطات الإسلامية وغيرها. وبعد وفاة شيخه شاه الحميد في الناغور في السنة ٩٧٨هـ عاد الشيخ صدق إلى قاهرة باتنم، وبدأ يعمل تحت إشراف مرشده. كان صدق متقيا وورعا وخبيرا. فتزوج بأمر شيخه قبل وفاته. وولد له ابن فسماه الشيخ سليمان. بدأت النهضة الإسلامية في هذه المنطقة تحت أثر ابنه الشيخ سليمان ولي الله وأولاد الشيخ سليمان الخمسة.

أسس الشيخ صدق مدارس عديدة ودرب مريديه وهذب احفاده ليقوموا الخدمات الدينية والعلمية لا في ولاية تامل نادو فحسب بل انتشرها في شمالي الهند بأسرها أيضا ووصل أثرها إلى

بلاد الشرق الأقصى كماليزيا وسنغافورة وإندونيسيا وتايلاند وبورما. وعرفوا الثقافات والحضارات المختلفة التي كانت مخفية وغير معروفة حتى القرن العاشر الهجري.

(٢) الشيخ سليمان (١٠٠٠ – ١٠٧٩هـ)

ولد الشيخ سليمان في عام ١٠٠٠ هـ ببلدة قاهرة باتنم بعد ٢٢ سنة من وفاة الشيخ شاه الحميد الناغوري.

تعلم على يد الأستاذ شمس الدين الإمام المخدوم الشيخ عبد القادر شيخنا لبي عالم الذي أصبح فيما بعد أستاذا معنويا للشيخ صدقة الله أبا. يكفينا القول هنا إن الصداقة بين الشيخ سليمان والشيخ عبد القادر شيخنا لبي ازدهرت ونمت[٢].

قام الشيخ سليمان بزيارات شتى لأماكن متفرقة في سبيل دعوة الناس إلى الهداية والرشد. قد زار الشيخ سليمان أماكن مختلفة في ولاية تاملنادو وأسس مدارس عديدة في المدن والقرى. فبدأت النهضة الإسلامية في ولاية تاملنادو بسبب الشيخ سليمان وخمسة جواهر أي خمسة أولاده في القرن السابع عشر ولا تزال هذه الدعوة جارية حتى الآن.

قرض الشيخ سليمان شعرا في اللغة العربية والتاميلية في مدح النبي صلى الله عليه وسلم. كان الشيخ سليمان داعيا كبيرا وله مهارة في علوم الفقه والتصوف وكان الشيخ مؤلفا شهيرا في

اللغتين. قد نظم قصيدة طويلة في اللغة العربية تشتمل على " رثاء لأمه ".

وأنجب الشيخ سليمان خمسة أبناء ويقارنوه بأصابع اليد الخمسة كما يلي:

(١) الشيخ جما شمس الدين كالإبهام

(٢) الشيخ أحمد كالسبابة

(٣) الشيخ صدقة الله أبا كالوسطى

(٤) الشيخ سلم شهاب الدين كالبنصر

(٥) الشيخ صلاح الدين كالخنصر

ارتفعوا كلهم إلى درجة عالية. وتهدف خدماتهم الإسلامية والشخصية إلى إصلاح الناس. كان أولاده الخمسة كانوا عاقلين ومجتدين ومجتهدين. وكانوا بارعين في علوم الفقه والتصوف. فكسبوا شهرة ومهارة كمؤلفين بارزين في اللغة العربية واللغة التاملية كلتيهما.

والأبيات التالية للشيخ صلاح الدين في الرثاء وهو ابن الشيخ سليمان وهو يشتمل على ٩٤ بيتا.

صلاة الله على الهادي الأمينا　　بإسلام الأشياء والمرسلينا

أسير تبني لمن تبني المباني	ولم تبني وعنها بان باني
ولم تسلم المجهول الفاني لما	ولست حال لـد الخصمان
فيأتي والتهاني والأماني	فكأني أي تقي أي فتى
فقير أي فقير فوق فقر	به قد بان بان عن مباني
وعن ملك وملك وفروج	وأهل ثم زوجات حسان
بغير رضاه بل قد جاءه	قضى القاضي قضى لا بالتواني

يختم الرثاء بهذه الأبيات التالية:

وخير كلام مرء ما تراه	قليلاً لفظه جم المعاني
وخير الطير يأوي في القصور	وقول في خيار أولى المكان
صلاة الله صبا ذي السماء	على من كان يولد بالختان
شفيع ورى وآل ثم صحب	هم فتحوا الأقاليم وكل جان

(٣) الشيخ شمس الدين (١٠٣٥ ــ ١٠٩٢هـ)

هو أول أبناء الشيخ سليمان حفظ القرآن الكريم وهو في السابعة من عمره. ومرة جرى النقاش بين العلماء حول كيفية نطق كلمة "الله". وكانت آراؤهم غير مقبولة وليست مرضية. جاء الشيخ شمس الدين إلى مجلس النقاش وشرح لهم الطريقة وهي كما يلي: "إذا جاءت الكلمة بعد حرف مكسور (ـِ) تلفظ كلمة "الله" مرققة مثل بسم الله. أما إذا جاءت كلمة بعد حرف مفتوح أو مضموم (ـَ ـُ) يلفظ مفخماً مثل إن الله أو فضل الله. وهذه القاعدة تطبق في لفظ الجلالة فقط."

يقول أخوه الصغير الشيخ صلاح الدين عن أخيه الكبير الشيخ شمس الدين. وبعض أشعار من هذه القصيدة كما يلي:

بكت السماء عليه والأرضون وال　　　خـــلاق حتى كل ما فيها يقم

وقعت من الدين المعظم ثلمة　　　ولبعض أنواع العلوم بدى العدم

علماء بأربه و أسكنه بارع　　　في جنة بجوار من مثواه أم

من كل أقطار ويشفع في غد　　　ولكل من خرق الهواء منا يلم

تعلم العديد من التلاميذ على يد الشيخ شمس الدين و بلغ عدد تلاميذه حوالي ١٠٠٠ طالب. بذل الشيخ شمس الدين والشيخ أحمد جهدهما لتأسيس المدارس العربية والمدارس الابتدائية الدينية في كل مكان في ولاية تامل نادو.

(٤) الشيخ مادح الرسول صدقة الله أبا (١٠٤٢ – ١١١٥هـ)

ولد الشيخ مادح الرسول صدقة الله أبا الابن الثالث لوالده الشيخ سليمان في عام ١٠٤٢ الهجري بقاهرة بتنم. وسماه أبوه بعد الولادة صدقة. ولما بلغ السابعة من عمره حفظ القرآن الذي جعله إماما هاديا ومرشدا له طول حياته. ومنذ طفولته ظهرت فيه آثار الذكاء والحصافة والنبل وتمنى أبوه أن يكون عالما كبيرا حتى يستطيع جميع الناس أن يهتدوا به ويستنيروا بنور علمه ووعظه. ولا شك في أن الولد المبارك منذ نعومة أظفاره أخذ يحقق أمل والده

وإن الله سبحانه وتعالى أعده بتلك التربية والتمهيد إلى أن يتقلد تاج الولاية ويجلس على الكرسي القطبي.

لقد درس الشيخ صدقة الله علومه الأساسية الإسلامية عند والده الشيخ سليمان وهو يقول في قصيدته " القصيدة الوترية"[1]:

سليمان أصلي مرشدي ومعلمي   له ولأمي إخوتي أشفع فهم أمي

وأرسله أبوه إلى العلماء الماهرين المشهورين الصالحين حينئذ وجدوا. واختار أبوه زميله في الدراسة الشيخ عبد القادر شيلبي إلى أن يكون مدرسا ومعلما لابنه فتبارك صدقة الله أبا. وتوجه الشيخ صدقة الله إلى الأستاذ عبد القادر بافراوباتم[2].

يقول العلامة سيد محمد عالم المعروف بـ" الإمام العروس":

"إن الإمام صدقة الله أبا كان بحر الصدور ومصدر البدور، وقدوة العباد وأسوة الزهاد وحسن الخلق والأوصاف ومنبع الترفق والألطاف......"[3].

عاش الشيخ مادح الرسول صدقة الله أبا ٧٢ سنة منورا قلوب الناس ومرشدا طريقهم، وانتقل إلى كيلكري[4] في عام ١٠٧٠ الهجري. وتوفي الشيخ صدقة الله أبا يوم الخميس في ٥ من شهر صفر عام ١١١٥ للهجرة أي عام ١٧٠٣ للميلاد.

إن المهارة والإتقان وقوة الذاكرة التي أظهرها الشيخ صدقة الله فيا في اللغة العربية هي التي تعكس علو الشيخ أمام العلماء والأدباء المسلمين الهنود وغير الهنود.

زار الشيخ صدقة الله فيا عاصمة الهند دلهي وحضر المؤتمرات ولقي العلماء ونقادهم ولما سمع الملك أورنك زيب عن الشيخ صدقة الله وعن علمه وفضله في التقوى أراد أن يعينه "قاضي القضاة" لجنوبي الهند. فلم يرغب صدقة الله فيا في هذا المنصب فرفضه وأشار إلى الملك العظيم أن ابنه الشيخ محمد لبي شاه يليق بهذا المنصب فعينه الملك أورنك زيب قاضي القضاة للهند الجنوبية. ولقب الملك المغولي أورنك زيب مادح الرسول صدقة الله فيا بملك الشعراء وجعله من لجنة العلماء الذين رتبوا الفتاوى للقوانين الشرعية الإسلامية التي تعرف بـ"الفتاوى العالمغيرية".

كتب النثر

كتب الشيخ صدقة الله عددا قليلا من كتب النثر وكلها تتعلق بعلوم الدين والنحو والصرف وما إلى ذلك. وهي كما يلي:

(١) توضيح الدلالة في تصحيح الجلالة:

هذا الكتاب مفيد جدا لأنه يتعلق بالمعلومات عن كيفية نطق الكلمات الواردة في القرآن الكريم. لقد كتب الشيخ صدقة الله فيا بكل وضوح الأماكن التي يجب ترقيق نطق الكلمات والآيات وتفخيمها.

(٢) استدعاء الأعلام إلى دعاء عتبة العلام:

الكتاب صغير ألفه الشيخ صدقة الله لمنفعة السالكين لأنه يحتوي على كثير من الأدعية والأوراد وطرق الذكر والفكر والمشاهدة والمراقبة وكذا عدة من المعلومات المفيدة للسالكين في سبيل الله.

(٣) تخطيف الجلي إلى تصريف الزنجاني:

وهو شرح الزنجاني في فن الصرف. إن كتاب الزنجاني يدرس في جميع المدارس العربية في ولاية تامل نادو وولاية كيرالا. ويدرس هذا الكتاب للمبتدئين في اللغة العربية ويتناول أحكام صرف الأفعال المتنوعة ومعانيها.

(٤) الحواشي على البيضاوي والدميري والدر المنثور:

ألف الشيخ صدقة الله شروحا للكتب العربية مثل " تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل" للإمام البيضاوي ولكتاب " تفسير البيضاوي" الذي هو من أهم كتب التفاسير للقرآن الكريم. كتب الشيخ حواشي بغية توضيح العبارات والكلمات الصعبة. وكذلك كتب حاشية لتفسير " الدر المنثور " للشيخ جلال الدين السيوطي و "حياة الحيوان" لمحمد بن موسى الدميري وكتب أخرى مثل " طب الأزرق" لعبد الرحمن بن علي.

كتب الشعر:

قد قرض الشيخ قصائد عديدة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، وهي كما يلي:

(١) التخميس والتذييل على القصيدة الوترية:

إن الشيخ صدقة الله نيا قد خمس القصيدة الوترية للإمام أبي بكر بن محمد البغدادي. وهذه القصيدة الوترية تشتمل على ٤٢١٠ مصراعاً بالمجموع وكذا خمسنا منها ١٢١٧ مصراعاً للشيخ أبي بكر يبقي ٢٩٩٣ مصراعاً خاصاً للشيخ صدقة الله أبا. وهو يدل على أن الشيخ صدقة الله نيا قد كتب أكثر من ضعفي ما كتبه الكاتب الشاعر الأصلي الشيخ أبو بكر رحمه الله.

ويقول عن حبه للنبي صلى الله عليه وسلم في البيت التالي:

وحبك في لحمي وعظمي مداخل   به ما لشيطان بقلبي مداخل

ولا شوب في هذا ولا فيه داخل   أكيد رجائي أنني بك داخل

رياض جنان بالأماني تملأ

لا نجد أحداً من الشعراء العرب يصف حبه للنبي صلى الله عليه وسلم كما يصف الشيخ صدقة الله نيا بأن حبيبه النبي منتشر في لحمه وعظمه ودمه بكل ثقة ولا يمكن للشيطان أن يدخل في قلبه

لأن القلب مملوء بحب النبي صلى الله عليه وسلم ولذا الشيطان يهرب بعيداً.

(٢) تخميس قصيدة البردة للبوصيري:

إن الشيخ محمد بن أبي سعيد البوصيري (١٢١١-٦٩٥ الهجري) قرض قصيدة مشهورة باسم "قصيدة البردة" في مدح النبي صلى الله عليه وسلم.

فأراد الشيخ صدقة الله أن يخمس هذه القصيدة ويطلب من الله عز وجل ثواباً عظيماً ببركتها. وتبدأ قصيدة البردة الأصلية كما يلي:

أمن تذكر جيران بذي سلم   مزجت دمعا جرى من مقلة بدم

ولكن الشيخ صدقة الله لما خمسها وهي كما يلي:

يا باكيا لنوى الأحباب ذا ألم   وصار شوقك بين الخلق ذا علم

قل لي وإنك في أمن وفي سلم   أمـــــــن تذكر جيران بذي سلم

مزجت دمعا جرى من مقلة بدم

(٣) تخميس بانت سعاد

أراد الشيخ صدقة الله أن يخمس هذه القصيدة أي بانت سعاد أيضا فأضاف ١٨٩ إلى الأبيات الأصلية التي كانت ٦٣ بيتاً.

وتبدأ قصيدة كعب بن زهير بالمطلع التالي:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول   متيم إثرها لم يفد مكبول

والشيخ صدقة الله أبا قد خمس البيت المذكور أعلاه بالوجه التالي:

حازت السعادة والإقبال متبول   قلبي على حسب من يهواه مخبول

يبغا هواه بحبل الفور مجدول   بانت سعاد فقلبي اليوم متبول

متيم إثرها لم يفد مكبول

(٤) تخميس ذخر المعاد:

قرض هذه القصيدة الشيخ الإمام محمد بن سعيد البوصيري الذي قرض قصيدة البردة أيضا. والأبيات الأصلية في كتاب ذخر المعاد تشمل ٢٠٤ أبيات. ولكن الشيخ صدقة الله أبا قد خمسها التي تكون مجموع الأبيات ١٠٢٠ بيتا. وهذه الأبيات لم تطبع بعد ولكن الشيخ صدقة الله أبا يكرس نفسه في مدح النبي صلى الله عليه وسلم عن طريق هذه القصيدة أيضا كما فعل في بقية القصائد. وهو الذي يقول في قصيدته:

جواهر نظمي في مديح محمد   يضيء جميع الدهر غير مخمد

فصاحته إن تلقه النار تخمد   جنان نعيم أجر مادح أحمد

ومصحف وكل يتحدثان بزوج

وهكذا بقي الشيخ صبغة الله أيضا " مداح الرسول" طول حياته.

(٥) الشيخ سالم شهاب الدين (١٠٤٥ – ١١٢١ هـ)

هو الشيخ سالم شهاب الدين صاحب المؤلفات النافعة الكثيرة. كان الشيخ الأخ الصغير لمادح الرسول الشيخ صبغة الله ثبة رحمة الله عليه ورابع أبناء الشيخ سليمان. ولد الشيخ في عام ١٠٤٥ للهجرة بقاهرة بتنم. هو أيضا تلقى علومه الإسلامية والعربية من والده الشيخ سليمان. وله معرفة باللغات العربية والتاملية و " عرب التاملي" . كان من كبار شعراء " عرب التامل" في أوائل القرن السابع عشر. كتب كتبا عديدة في لغة " عرب التامل" عن الصلاة وصفتها وعن أحكام الإسلام وفرائضه وصنف كتبا في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم. أنشد الأشعار في "عرب التامل" ونظمها حول حياة الرسول العلية وكتب الأناشيد والقصائد بعضها تبرز مناقب النبي وصفاته وقبائح المسلمين وخلافاتهم في ذلك الحين. ونصح المسلمين في أناشيده وقصائده لترك المنكرات.

كتب قصائد عديدة تحتوي على الألف الأبيات في مواضيع مختلفة. وأحسنها "اختلاف مالاي" أي قلادة الأخلاق. وهذه

القصيدة مبنية على " ميزان الكبرى" لعبد الوهاب الشعراني المتوفى في سنة ٩٧٣هـ.

وهو أول من نظم القصائد في لغة " عرب التامل" في تامل نادو وسرنديب. له مؤلفات كثيرة عن حديث النبي صلى الله عليه وسلم. وترجمت الأحاديث النبوية في لغة " عرب التاميل" أشهرها كما يلي:

١- " قلادة الحديث الكبير " التي تحتوي على ١١١٩ حديثا مختارا من الأحاديث النبوية الشريفة كتب مادة الحديث كـ " بيت" من أربعة مقاطع شعرية أي ذكر كل مادة حديث في بيتين.

٢- "قلادة الحديث الصغير " التي تحتوي على ٦٠٤ حديثا.

أنشد الشيخ سام شهاب الدين مرثية عن أخيه الصغير الشيخ صلاح الدين الذي توفي قبله وهي كما يلي:

وكان عجيب علم بين الناس   وأعلم إخوتي في علم بيت

له شغل برب البيت دائما   ويذكر ربه في كل وقت

نظم الشيخ قصيدة " تسمى " مرثية حقيقة" يمجد شخصية أخيه الشيخ مادح الرسول صبغة الله قبا. وتحتوي هذه القصيدة على ٨٠ بيتا. وهذه القصيدة ذات قيمة واستحقاق للقراءة. يمدح الشيخ

في الأسلوب الأدبي، ويقارنه مع الأدباء العرب والفقهاء والمحدثين والمتصوفين والعلماء والنحاة والشعراء والكتاب والماهرين في العلوم المختلفة في ذلك الوقت. ويعجب من المهارة التي استخدمها الشيخ صدقة الله فيها في قصيدته. في هذه القصيدة "مرثية حقية" يسلك الشيخ شهاب الدين مسلكا جديدا ولم يذكر اسم أخيه "صدقة" بل يستعمل الحروف "صاد" و "دال" و "قاف" و "هاء"، يشير إلى طريقة مقطع الكلمة التي يتهجى بها اسم أخيه "صدقة" وهي موجودة في البيت الثاني. وهذه القصيدة كما يلي:

عجبت لتخمــــــيس رزين مـــــــــوقر

لوترية الشيـــــــــخ شيخ المشـــــــــهر

بصاد ودال ثم قـــــــــاف وهاءهــــــــــا

مضمنا لها اسم الله ذلـــــك المــــــــوقر

ووشحه بالالتزام وغيـــــــــــــــــــــره

وفيه من التحسين ما فيه فالفـــــــــــخر

ولم يردهم مثله في العبـــــــــــــــــارة

ألا فاعجبوا يا قوم من ذي العجــــــــب

وتلك الأخبار التي كمـــــــــــــــــثم

وصاحبه والحاكم المتبحر

وفي علم فقه كالنووي ورافع

وفي علم تفسير القرآن كحيدر

لعلم المعاني والبيان وبديعه

كصاحب تلخيص وسكاكي السري

وفي علم نحو سيبويه زمانه

وفي الصرف بزري اخفشاه والزمخشري

وفي علم شعر كالخليل وفي اللغة

كصاحب قاموس حريري والأزهر

وفي وضع رأي ابن فراد كشافعي

واحمد النعمان مالك جعفر

وفي حكمة يبتني نصر له وطوسي آل

كلام معري به كل جوهر

كمحي الدين في التصوف والصفا

وشبلي جنيد بنفعي كالسري

وفي حسن تأليف غزالي عصره

وفي الجود مثل الحاتم والمتبـــــــــــشر

وفي طاعة مثل البيتاني ونســــــــــك

وفي عفة كابن اليسار وجعـــــــــــفر

وفي الحكم يزري أحنفا وابن ضمـــــضم

وفي حسن وجه كالحرير المنـــــــــور

وأوصافه الحسناء بحر مطـــــــــــول

عليه سلام من عبيد محقـــــــــــــر

أيا سيدي لا تنس عبدك المخـــــــطي

وفي كل طاعات دعاه الذي تـــــــري

إذا ما سمعتم للعبيد من الوشـــــــــا

ة سوء فلا تظنن به السوء فانـــــــظر

يركز الشيخ سالم شهاب الدين جل اهتمامه على شعر "غريب التامل". لكنه نظم قصائد عديدة باللغة العربية أيضا. قرض الشيخ قصيدة باللغة العربية عن النبي صلى الله عليه وسلم مادحا وهذه القصيدة تحتوي على ٥٩٤ بيتا. قرض الشيخ في مولد النبي صلى الله عليه وسلم قصيدة تسمى "ميلاد السامي في مدائح النبي التهامي". كتب كتابا يسمى "صلاة الأركان" وهذا الكتاب للأطفال وشرح فيه أحكام وتعاليم وفضائل الصلوات. وهذا الكتاب عليق للصلوة وبعد أداء خدماته العلمية الجليلة تختاره الله إلى جواره يوم

الأحد في ٢٦ من رجب عام ١١٢٤ الهجري إذ كان عمره ٧٦ سنة. ودفن بالقاهرة بالتنم.

(٦) الشيخ صلاح الدين (١٠٥١ ـ ١٠٩٨ هـ)

هو الشيخ صلاح الدين الأخ الأصغر للشيخ مادح الرسول صدقة الله أبا، وهو خامس أبناء الشيخ سليمان ولي الله. ولد الشيخ في عام ١٠٥١ الهجري بالقاهرة بالتنم. اعتبر علماء تامل نادو وسرنديب أن الشيخ صلاح الدين ذو موهبة بين أدباء وشعراء هذه المنطقة. عاش الشيخ ٤٧ عاما. مدة حياته قصيرة لكن خدماته الدينية والعلمية ومساهمته في الشعر والنثر باللغة العربية والتاملية كثيرة التي تدل على براعته وتلقي علومه عند أخيه صدقة الله أبا.

ألف الشيخ صلاح الدين أيضا كثيرا من الكتب. نظم الشيخ قصائد عديدة باللغة العربية بنفسه وترجم ٢٠٥ شعرا من اللغة التاملية إلى اللغة العربية. وكتابه المسمى " عمدة الحجاج" باللغة العربية مشهور جدا لأنه يذكر فيه مناسك الحج وكيفية أدائها بالعبارات الجميلة والبسيطة. في شبابه كان شاعرا بليغا باللغة العربية كأنها لغته الأم. كان لسانه ينطق الشعر دائما.

والشيخ صلاح الدين أيضا نظم قصيدة تسمى " طرف العالم" بالإضافة إلى غيرها من القصائد والأشعار. ولقد قام بالتشطير للوترية. ومعنى التشطير أن ينظم مصراعا جديدا لكل

مصراع أصلي في الوترية ونصفه قبل المصراع الأصلي الثاني. وكذا صارت المصاريع التي نظمها الشيخ صلاح الدين موافقة في العدد للمصاريع الأصلية في الوترية لأبي بكر البغدادي. المصاريع الأصلية تحتوي على ١٢٢٨ بيتاً و الشيخ صلاح الدين نظم ١٢١٨ بيتاً بالإضافة و تماماً على ٢٤٣٦ بيتاً. يمدح هذه مولد النبي صلى الله عليه وسلم وتبدأ القصيدة الطويلة كما يلي:

إنني أنا مادح طـــــــاها خير من أرضين وطاها

ملتمس فاصـــــــد منه جاها وشفاعتـــــــــه حيث وجاها

وبعد كتابة هذه القصيدة يسأل الشيخ صلاح الدين من الإخوة الشيخ صدقة الله و الشيخ شمس الدين و الشيخ سلم شهاب الدين استحسانها له. لكن بعد ما نظروا " إنني أنا" اعترضوا ولم يستحسنوا هذه الجملة في البداية. استعمل الشيخ صلاح الدين "إنني أنا" للتأكيد. قال الشيوخ لأخيهم الصغير إن الشيخ صلاح الدين يستخدم كلمتين "إنني" و "أنا" معا. وهذا الأسلوب ليس صحيحا. لكن الشيخ لم يتردد عن هذا الأمر. وقال الشيخ أن موافقته صحيحة و كاملة. يعطي نظيرها القرآن الكريم أيضا.

" إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني" سورة طه، الآية ١٤.

جلس الشيخ تحت شجرة تين كبيرة مرة يسمى " كلث" باللغة التاملية بعد الظهر للاستراحة. سألت مسافرة من الشيخ إن

ينشد في مدح الشجرة. فأنشد الشيخ قصيدة طويلة عن النبي صلى الله عليه وسلم تحتوي القصيدة على ٢٩ بيتا. يبدأ ويختم كل بيت بنفس الكلمة التي لها قيمة أدبية جميلة. وكل بيت يحتوي على ثلاث كلمات تتشابه في النطق. بعض أشعارها كما يلي:

كنت الفصحا عن تمسكك التي — بالغســــت أبتي كالتي كنت

قلت الأنس المعلقات المصــــفا — ب فاحســـن بها فالتي قلت

بلت الأنس المواصــــفات تها — والفؤاد أحســـب التي بلت

جلت القلب ما عنه حيثما نبت — قد شممت رياح التي جلت

ووضع الألغاز والأسئلة له مكانة خاصة في الثقافات والثقافات المختلفة. كان الكتاب من هذه المنطقة ماهرين في هذا النوع الشعري. ولهم مهارة في الألغاز والأمثال. ومن أشهر ما نظم الشيخ صلاح الدين باستعمال الألغاز. أفضل نموذج منها هي أشعار تحتوي على خمسة أبيات. مدح الشيخ في هذه الألغاز محمدا صلى الله عليه وسلم. وهي القصيدة الأولى من القصائد المختلفة من المدح من هذا النوع بلا ريب. وهي كما يلي:

أفســري على الظاهر المعنى — نســخي الردي صيغته الجلي

بر يحـــــق فضـــــل بر	مـــــــستحق عجز بلا شقي
ثلاج غـــــيث يحوز في فيه	ســـــــوقه شوقه صفي
حقير رســـــول شهير ذكر	بصـــــيد من لامه زهي
ضعيف كضـــــيم يهي يلاقي	لاعنه يغفـــــل وهو حقي

نظم الشيخ صلاح الدين قصيدة تحتوي على ١٣٢ بيتا على أساس بعض الأشعار التاملية الأخلاقية كـ "كنري ويندن" (Konrai Vendan) و"آتي جوتي" (Aathi Choodi) وغيرها. وهذه القصيدة ليست ترجمة حرفية من اللغة التاملية إلى اللغة العربية. ولكن تأسست على القصيدة الأصلية. غير الشيخ صلاح الدين بعض الفكر الإسلامي والتعليمات الدينية حتى تكون هذه الأفكار في شكل كتاب لإفادة طلابه. وتسمى القصيدة "الحكم". طبع ونشر هذا الكتاب في مطبعة "أمير السلام" بـ"تيرور تنكدي" من ولاية كيرالا. أنشد قصيدة تتضمن كلمات في اللغات العربية والأردية والتاملية[٨].

وقد ذهب الشيخ إلى سرنديب وهو يعرف "اللغة السنهالية" (Sinhalese Language) جيدا واستعمل في قصيدة أخرى اللغات العربية والتاملية والسنهالية. واللفظ الأصلي للقصيدة كما يلي:

لا تـــــأكل " تكالتي"	ولا تـــــخـــزن بـ "تامي"

بل كـــل "بلاتي" بلاسي   تقصــف مع الخصــوص باها

المعنى كما يلي:

لا تأكل التبغ ولا تضع مسحوقه (التبغ) في أنفك

وكل ورق الشجر كثيرا فإنه يجعل فمك طيب الرائحة

استخدم الشيخ كلمتين من اللغة السنهالية هما " تكالتي" و"بلاتي" واللتي تعني التبغ وورق الشجر. وقد استخدم كلمتين تامليتين "ناسي وبلاسي" ومعناهما الأنف وكل كثيرا.

كتب الشيخ " تأليف الشعر " لألفية ابن مالك (٦٠٠-٦٧٣هـ) كشرح. هذا الكتاب مفيد لتعلم قواعد اللغة ويسمى " معارف العواصل". توفي الله هذا الشيخ الفاضل في ليلة السبت بتاريخ ١٥ من ذي الحجة عام ١٠٩٨ للهجرة. وكان عمره عند وفاته ٤٧ سنة فقط.

(٦) الشيخ عمر ولي (١١٦٢-١٢١٦هـ)

ولد الشيخ عمر في سنة ١١٦٢ للهجرة في قاهرة بتنم. وأبوه الشيخ عبدالقادر وأمه السيدة فاطمة. كان الشيخ عمر عالما جيدا وماهرا في اللغة العربية وأديبا وشاعرا بليغا. قرض القصائد العديدة مادحا للرسول صلى الله عليه وسلم. نظم الشيخ عمر قصائد عديدة لها ثقافة عظيمة في بيان التصوف وعلومها. ومن أعماله

الرائعة "قصيدة ألف الألف" و "قصيدة إلهي كم تبقيني" وهما قصيدتان مشهورتان في منطقة تمل نادو وجزيرة سرنديب.

الشيخ عمر بايع على يد الشيخ محمد التسكي، ثم استفاد من الشيخ الجفري رحمه الله الذي هاجر من حضرموت واستقر في كاليكوت سنة ١١٥٩هـ. كان الشيخ من أهل البيت وماهراً في اللغة العربية والعلوم الإسلامية. كان الناس يأتون إليه للعلم والبركة. توفي الشيخ الجفري سنة ١٢٢٢هـ في المقام المسمى "مامبورم" على بعد ٢١ ميلاً من كاليكوت بولاية كيرالا.

أصبح الشيخ عمر عالماً كبيراً في اللغة العربية والفقه والشريعة والتصوف. سافر الشيخ عمر إلى الحجاز للحج وبعد تكميل مناسك الحج ذهب إلى المدينة المنورة والتقى بالشيخ السيد محسن المقيبلي، وتعين الشيخ كأستاذ في الكلية التي كان يديرها الشيخ السيد محسن فعمل الشيخ عمر في تلك الكلية خمسة أعوام. وبعد ذلك عاد إلى الهند.

وتعلم بعد ذلك عند الشيخ بخاري ثانكال رحمه الله (١١٤٤ - ١٢٠٧هـ) في كوتشين (Cochin) وهو الذي قاده إلى مجال التصوف ونفخ روحا جديدة من السلوك والطريقة. وتعلم العديد من أسرار التصوف.

وبناء على وصية الشيخ بخاري سافر الشيخ عمر إلى جزر الهندية الشرقية (East Indies Island) المسماة " أتجيت" (Ateeethc) قريب من ماليزيا وقضى أربعة عشر عاماً في هذه المنطقة والغابات المجاورة. وذهب إلى جبل صالح" قريب منها وقابل العديد من العلماء ومكث لمدة قصيرة. وبعد ذلك رجع إلى أتجيت. وأشاع الدين ودعا الناس إليه. كان عاملاً في الدعوة بأمر شيخه. ودعا الناس للإسلام وأسلم على يديه مئات من البشر هناك. وأسس العديد من المدارس تسمى " بيسنترين" (Pasentrina) في هذه المناطق. وما زالت تدرس فيها الكتب مثل " المرشد" و " الإرشاد" و " المحلي" و " العمدة" و "فتح المعين". وقد زار الشيخ الدكتور تكية شعيب عالم هذه المنطقة عام ١٩٧٨م. ورأى هذه المدارس بنفسه[٦].

رجع الشيخ عمر إلى الهند ومكث فيها يعلم الناس الدين ويقرض الشعر في اللغتين العربية والتاملية. كان مشتغلاً في أعمال الدعوة والتصنيف والتأليف على حد سواء وله كتب كثيرة. ولحق بربه عز وجل يوم الجمعة الرابع والعشرين من ذي القعدة سنة ١٢١٦ هـ ودفن بقاهرة بالتمل.

ألف قصائد عديدة وهي كما يلي:

١. نظام المدائح ٢. ما للعبيد ما يشاء يدبر

٣. كنز الجنان ٤. بشارة الله

٥. مبايعة الشيخ ٦. طريق الوصل

٧. غرائب الغنائم ٨. هداية الأغنياء

٩. بحر السر ١٠. سر الشيخ

١١. شكاية الغرام إلى خادم الحرام ١٢. إلهي كم تبقى

وفي الأبيات التالية من القصيدة "ألف الألف" يحذر الناس من طبقات العلماء المضلين و الشيوخ الضالين الذين لا يعملون بالشريعة و الذين لا يعرفون الله سبحانه وتعالى.

رب رب ربه لم يعرفن ولم يربه

ربيبه لكن فضل القوم بالآراء

مثل سبيل سار فيه سيد السادات سر

مثل سبيل شق في الحالات كالسلسال سال

وقصيدة " ألف الألف" لها ميزات عديدة في دقة التعبير حيث أن مجموعة الكلمات الموجودة في القصيدة لها نفس الشكل استخدمت في جملتين في نفس البيت. حيث أن كلمتين في كل بيت تحتويان على نفس الحروف ونفس الترتيب. استخدمت في نفس البيت في نفس الشكل ولكنهما يحتويان على معان مختلفة و هذه

القصيدة ممتعة جداً لقارئها. وتدل هذه القصيدة على مهارة كاتبها، حيث أنه استطاع تبليغ الفكر الصوفي في معان سامية.

وقد كتبت العديد من الشروحات لهذه القصيدة "ألف الألف". لكل بيت من أبيات هذه القصيدة كتب العديد من الصفحات. أحسن منها (لهذه الشروحات) " عوارف المعارف" للشيخ عبد الرحمن النقشبندي. منذ عهد قريب زار الشيخ القارئ الشهير عبد الباسط مدينة ممباي، فرأى الشيخ عبد الباسط هذه القصيدة، وأخذ نسخة ألف الألف" معه ورجع إلى القاهرة.

قد نظم الشيخ عمر قصيدة يخاطب فيها الله سبحانه تعالى ويسميها "إلهي كم تبقيني". وفي هذه القصيدة يدعو الله سبحانه تعالى أن يحفظه من أمراض النفس الثلاثة وهي الأنانية والتمني والوهم. وهي قصيدة مشهورة جداً في ولاية تاميل نادو وجزيرة سرنديب.

ولما بلغ الشيخ الثالثة والخمسين من عمره عرف أن هذه هي السنة الأخيرة له في الدنيا. وقبل ثلاثة أيام من وفاته تكلم مع أعضاء أسرته باللغة العربية وقال ثلاث مرات:

" نلت من عند الله فوق ما أريد [١] "

وبعد ذلك شرح الشيخ هذه الجملة بنفسه أي إنما نلت فوق ما أريد بثلاث خصال أحدها ما اتخذت أحداً عدواً لي من الناس والثاني

أكرمت السادات والمشائخ والعلماء، والثالث ما نسبت في وقت قول شيخي. وشرح لهم أنه نال تلك النعمة لأنه لم يضمر أي مسلم واحترام الشيوخ والعلماء وأنه لم يخالف نصائح شيخه.

(٨) الشيخ عبد القادر تكية صاحب الكبير (١١٩١-١٢٧٢هـ)

كان من أبرز علماء عصره، وقد تعلم على يديه الكثير من علماء تاملنادو وجزيرة سرنديب. وكان خليفة لوالده الشيخ عمر ولي. وقد زار الشيخ سرنديب بعد غزو البرتغال وهولندا. وكان اثنان من تلامذته المقربين وهما الشيخ مصطفى وكلموت محمد لبي عالم من أوائل المصلحين في هذه الجزيرة. ولد الشيخ تكية صاحب عام ١١٩١ هـ في قاهرة باتنم. حفظ القرآن الكريم وبدأ تعليمه تحت رعاية أبيه الشيخ عمر ولي أولا.

كان الناس يقدمون له الهدايا ولكنه كان يوزعها على الفقراء والمحتاجين. كان يتجر في المجوهرات ومن ذلك المال يعيش هو وأفراد أسرته وبقية المال يتصدق به على الفقراء. وكان يساعد أقرباءه الذين يعانون من الفقر. وكان يزوج الفتيات الفقراء ببساطة ويسعد بذلك كثيرا. وقد تجول وسافر إلى كل من تاملنادو وكيرالا ملقيا الخطب الدينية.

جلس في مجلس والده وعلم الطلاب كما كان أبوه يعلمهم وحصل على الشهرة في الدراسة والتصوف وكان يدير المدرسة

العربية كما كان يديرها أبوه. وكان الناس من المسلمين وغير المسلمين يستفيدون منه ويكسبون منه البركة.

سافر الشيخ للحج مع أخي زوجته الشيخ تكية صاحب الصغير وخاله الشيخ وزعي أحمد وشيخنا نايكم وغيرهم. وكان اسم السفينة العيدروس وهي سفينة السخي أبي نيني مريكار. العيدروس كانت تحمل الناس من قاهرة بتنم وكيركيري إلى جدة. والأبيات التالية تصف السفينة والرحلة:

تخلى بأعـــــــــلام الكمال مجللا

على كنف الرحمن في شـــــامخ العلا

فيا عيدروس السعد لازلـــــت مسعدا

ولا زال منك الفضل فخـــــرا مكملا

حويت كمالا لا يضاهي ورفعـــــة

وأضحى لك الفخر الجليل مبـــــجلا

فيا مركبا قد شاع في الناس فضـــــله

بعز تماشي في المعالي مجلـــــلا

لشيخ حوى من كل فضل منـــــاره

قطعا وعزا قد حماه مفضـــــلا

إمام له في المجد أسنى فضـــائل

حوى كل فن ما إليه توصـــلا

فإن جئت في ناديه لا زلت مكـــرما

بكل جميل فيك يبدي مجمـــلا

جليل له مجد عظيم مـــؤثل

وناهيك من نسل كريم له اعتـــلا

ومركبه يبدي الفقير مكـــارما

فمن أمه نال الكمال المجـــملا

فإن سار بالحجاج فالكرم بعـــدا به

يقوم بها في كل شأن تعـــولا

وإن دار في هذه البلاد فحبـــذا

رئيس به في كل أمر تفضـــلا

وناهيك بالشيخ الأجل مكـــرما

وناخوذة أيضا أمير تبجـــلا

كأن سلطانا فيه حاكت مصابيـــحا

مولده في كل عام ترتـــلا

وخيرته تبدي نظاما مجوهـــــــرة

تيمّن على المركب ثرا تهلـــــــلا

تسمى باسم القطب يرجو تفـــــــاؤلا

فيا عيدروس الفضل منكم قد تجـــــملا

فيا رب سلّم مركب العز دائمـــــــا

فلا زال في حفظ الإله مكمـــــــلا

بسر رسول الله والغوث في المــــــلا

بعون إله العرش يجري مهـــــــرولا

وصل الشيخ تكية صاحب مكة المكرمة ولقي مئات من العلماء والأدباء الأجلاء فيها ثم ذهب إلى المدينة المنورة وقرأ قصيدته "أحمد الله الولي" أمام قبر الرسول صلى الله عليه وسلم قائما باحترام وتوقير شديدين.

فلما رجع الشيخ من الحج إلى الهند وجد أحوال الهند السياسية وخاصة أحوال الهند الجنوبية متغيرة جدا فوجد سلطان تيبو وحيدر علي (Tippu Sultan & Hyder Ali) وحماة الفرنسا مغلوبا ومطرودا والبريطانيون قد غلبوا على أمرهم والعلماء في ذلك

الوقت كانوا يكرهون القوات البريطانية والفرنسية وكانوا يؤيدون النواب محمد علي والاجاه (Walajah) في هذا الأمر.

وقصائده تكشف عن إسهامه بوضوح في النشاطات السياسية من أجل الاستقلال. حيث كتب رسالة إلى النواب أن يقاتل الحكام الأجانب. وأخبرهم أنه إذا كان مساعدا هو وأتباعه فإنهم سينجحون.

فانتقد الشيخ أهل كير الا وقال لهم " أنهم يحسبون الإنجليز قادة لهم وليس لهم نحن وهم نصارى". ويورثون من الأخت بدل أولادهم ويحرمونهم من الورثة. وقال إن النصارى هم سلاطينكم ونبين النصارى جعلتم دينكم وتعيشون في الدنية كالكلاب. والكلاب يأكل الميتة. وكان ينكر على مسلمي كير الا ممارستهم غير الإسلامية. حيث كانوا يتبعون حكم الورثة المتوارثة خلاف الشريعة الإسلامية التي تسمى " مرو ما كتايم"(قانون الوارثة).

انشد الأنظمة الكثيرة في اللغة العربية وحمد الله تعالى فيها ومدح رسول الله صلى الله عليه وسلم. كان الشيخ تكية صاحب منذ صغر سنه يتفكر في أعمال الدين الإسلامي ويسعى لمحو الجهل والجور والبدعات. حينما أصبح قلمه قادرا ولسانه خطيبا باللغة المحلية التاملية قام ضد هذه الأعمال الشنيعة وحارب الجهل ودعا إخوته المسلمين إلى الدين وإلى أحكامه وإلى أحكام النبي صلى الله عليه وسلم. كان تأثير كبير في اللغة العربية لمحافظة تامل نادو

بسبب الشيخ عبد القادر تكيه صاحب, وكذا جاهد كثيرا في ارتقاء اللغة العربية وأصبح معروفا في عالم الشعر وقد عرف بحبه للأدب والتصوف وإلقائه الخطب وبراعته في القول والكتابة.

حضر الشيخ المحافل والمجالس للوعظ والنصيحة فالناس يقومون وينهضون لتكريمه وتحريمه. وقد نظم قصيدة يبدأ كل بيت منها بحرف من حروف الهجاء العربية في فنّ الرسول صلى الله عليه وسلم ومدحه المسمى قصيدة " أحمد الله" تبدأ بقوله " أحمد الله" وهي مشهورة في تاملنادو وسرنديب. يقول الشيخ في هذه القصيدة:

قدمتني قدمتني قدمتني مشربي   كلمتني كلمتني كلمتني يا نبي

تحوي القصيدة المذكورة الكلمتان " قدمتني وكلمتني" مرارا وتكرارا. أي ثلاثة مرات. لكن كل الكلمات مستعملة لمعان مختلفة. الكلمة الأولى " قدمتني" من فعل قدم والكلمة الثانية قد تقرأ كـ قد ودمتني والكلمة الثالثة قد ومتني. وهكذا تحوي كلمة أخرى " كلمتني" في ثلاثة معان. الأول "كلمتني" من فعل كلم وبعد كل ومتني وبعد ذلك وكل لمتني.

مضت حياته الباقية في التعليم والإرشاد وزيارة الأماكن والمدن والقرى ودعوة الناس إلى الرشد والهداية . توفي الشيخ عبد القادر تكية صاحب سنة ١٢٧٢ هـ.

(٩) الشيخ عبد القادر تكية صاحب الصغير[١١] (١١٩٢-١٢٦٧هـ)

ولد الشيخ عبد القادر تكية صاحب الصغير في قاهرة بانتم سنة ١١٩٢هـ. كان تكية صاحب عالما وشاعرا بليغا باللغة العربية و التاملية المحلية. كان هو أول من أدخل نظاما جديدا في معاهد التعليم في ولاية تامل نادو. وكان على طلاب اللغة العربية أن يدبروا المسكن و الطعام بأنفسهم منذ البداية. كانت المدارس العربية تقدم لهم التعليم المجاني فقط من غير الطعام والمسكن و ذلك لأن المعلمين أنفسهم كانوا يقدمون هذه الخدمة وليس لهم القدرة على تأمين المسكن والطعام لطلابهم. كان الشيخ تكية صاحب أول من أدخل نظام المدرسة الداخلية والمسكن في سنة ١٢٢٨هـ. وقد ألف الشيخ أربعين عملا شعريا في اللغة "عرب التامل" في مختلف الموضوعات بعضها عن التصوف و الطب.

لم ينجب ابنا فقام صهره سيد محمد العالم المعروف بـ "الإمام العروس" بمقامه وأدار الزاوية و أصبحت الزاوية مشهورة و مركز الطلاب العلوم الإسلامية واللغة العربية ونالت مكانة عالية سميت بالزاوية العروسية وبعد ذلك " المدرسة العروسية". كان عدد طلابها أربعمائة في ذلك الزمن.

كتب الشيخ تكية صاحب مقالة عن التصوف وهي مخطوطة تسمى " مجموع الدين" حوالي ٢٠٠ صفحة. يوجد هذا

الكتاب عند الشيخ عبد القادر ثيي من مدينة عالي (جاقنتي) سر تدريب. شرح الشيخ تكية صاحب في الأبيات التالية شرحا فريدا للحروف التي تكون الكلمتين "شيخ" و"مريد".

اعلم معـــــــاني حروف الشيخ فالشين

علم الشريعـــــــــة للمختار فالياء

يأس من الشيء في الكـــــونين والخاء

خلق تخلق بإله الخلق ها يـــــــاء

أما حروف مريد فاعلمـــــن بها

فالميم موت إرادي بلا امـــــتراء

علم الرضى بقضاء الله والبـــــلاء

علم اليقين بقول الله هو الخـــــاء

والدال علم دوام الذكر من عنـــــت

هذي بذين هم الشيخ والإحبـــــاء

قرض الشيخ تكية صاحب أشعارا من خمس أبيات تسمي مخمس من أشهرها " القصيدة الشفعية في مدح شافع الجمعية" مشهورة بـ " القصيدة الشفعية". مدح فيها سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم. وهي تشبه القصيدة الوترية في كل شيء. كما رأينا أن

القصيدة الوترية تتكون من ٤٢١٠ بيتاً منها ٢٩٩٧ بيتاً لمدائح الرسول صلى الله له، لكن القصيدة الشفعية تحتوي على ٣٩٢٠ بيتاً كلها أصلية. وقد أتت على النحو التالي:

" ألف تكملة صاحب ٢٨ مخمس على أساس الحروف الهجائية. كان المخمس يحتوي على ٢٨ خطاً. أي ألف ٢٨ حرفاً من الحروف العربية. حتى كان مجموع الأبيات ٣٩٢٠ بيتاً. أي أنها أقل من القصيدة الوترية بـ ٢٩٠ بيتاً".

فتبدأ القصيدة الشفعية بالمخمس التالي:

ا بسمل بسم الله بدأ القصائد   أحمد ل للرحمن رب الموائد

ا فاض للرحيم ما صلاة على يد   أمان وآله مع صحاب فوائد

لبهية حصا سواها نبر ا

يستعمل الشيخ مهارة خاصة في قسم من أعماله وهذا خير ما أبدع مؤلف أي " القصيدة الشفعية" أحدها التي استعملت فيها الحروف المنقوطة فقط وهذه طريقة نادرة وغير مألوفة في أصول الشعر حيث نعطيه اهتمام خاص بهذا الموضوع. رأينا هذه الخصائص في الأبيات التالية:

جنيت بنتني تجني تبت نقني   نقي نقي زين ظني يشفني

تقي يشين جنب نفب فبقني   تخيف بقن يشقن بنيفني

غلي تغنيتي وخبب ترين

وجدت هذه الأبيات المذكورة في قافية النون.

هكذا يستعمل الشيخ نكية صاحب حروف غير منقوطة كما يوجد في التالية :

علو وإكرام مسـذح لمرمد ولا هـسو إلا هو كسر محمد

هو الأحد معلوما لعلما وأحمد ادوم لعلوع الله هو علوع أحمد

وعاص لـسه عاص لما هو مؤمن

وفي الأشعار المذكورة أعلاه يستخدم الشيخ حرف النون في سبيل إيقاع قافية.

كتب نكية صاحب أربعين كتابا في اللغة التاملية عن التصوف وقد سجل أربعة آلاف فتاوى عن الأعمال الحسنة في الإسلام الأساسية. ألف الشيخ كتبا في النحو وقواعد اللغة العربية أيضا. وكتابا آخر تحت عنوان "خلاصة الدراية" الذي وضع فيه الفقه الإسلامي والعقائد الإسلامية.

(١٠) الشيخ سيد محمد "الإمام العروس" (١٢٣٢ – ١٣١٢هـ)

كان الشيخ سيد محمد حافظ القرآن وعالم الدين ووليا صالحا وصوفيا مخلصا وكاتبا مشهورا ومحررا معروفا ومؤلفا متقنا

وشاعرا بليغا وخطيبا فصيحا وفقيها شافعيا. وكان أعرف الناس في العلوم وحقائقها في زمنه. ولد الإمام العروس الشيخ سيد محمد سنة ١٢٣٢ هـ بقاهرة بتنم بولاية تامل نادو. منذ طفولية الإمام العروس تظهر فيه آثار الذكاء والصفوة والنبالة واشتاق أبوه أن يكون ابنه في المستقبل عالما كبيرا حتى يستطيع جميع الناس أن يهتدوا به ويتنوروا بنور علومه ووعظه. وإن الله تعالى أعده بتلك التربية والتمهيد إلى أن يتقلد تاج الولاية ويجلس على الكرسي القطبي.

كان الإمام العروس يتجر في الأدوات المعدنية بمدوراي في وكان له هناك محل يسمى "محل التكية للأدوات المعدنية" (Takya Hardware Store) وذلك لإعاشة عائلته. وبدأ هذا المحل في سنة ١٨٣٥م. وفتح فيما بعد محلا آخر بكيلكري. فهو كان محلا عاما يبيع أقساما متنوعة من البضاعة المنقولة من أماكن بعيدة مثل ممباي وكاليكوت عبر البحر. سافر الشيخ إلى أماكن مختلفة في ولاية تامل نادو وكيرالا وجزيرة سرنديب للتجارة.

توفي الأستاذ الشيخ عبد القادر تكية صاحب في سنة ١٢٦٧ هـ. وبعد وفاة الشيخ تكية صاحب أخذ الشيخ سيد محمد الإمام العروس زمام الطريقة والسلوك وأصبح شيخا في الطريقة القادرية في الهند الجنوبية وفي سرنديب. ونشر علوم الطريقة في عدة بلاد في آسيا. وبايع كثير من المسلمين على يده من المناطق المختلفة في وسط القرن التاسع عشر وجعلوه هاديا لأنفسهم. أسس الشيخ سيد

محمد التكية العروسية القادرية وهذه التكية العروسية القادرية قدمت خدمات كثيرة لتعليم العقيدة الإسلامية والفقه الإسلامي والشريعة الإسلامية وتعاليم الطريقة القادرية لمسلمي ولاية تاملنادو وسرنديب. بنى المساجد والمدارس والتكايا والخانقاه[1] لذكر الله عز وجل وقام بنفسه بتأسيس الزوايا والمدارس والمساجد في سرنديب.

وكان شاعرا بليغا في كلتي اللغتين العربية والتاملية. وكانت أبياته مشتملة على أحكام الدين ومسائل الطريقة. وكانت له مهارة في اللغة الفارسية والأردية أيضا. سافر الشيخ سيد محمد الحجاز والعراق واليمن والشام وإيران. ولما قام بزيارة مكة المكرمة والمدينة المنورة استقبله النبلاء هناك بكل عزة واحترام حتى أن البعض منهم أصبحوا مريديه وأن علماء العرب كلهم أعجبوا بما عرضه شخص أعجمي مثله من المهارات الأدبية والخطابية وأنهم ابتهجوا بأسلوبه الرشيق واختيار الكلمات المناسبة وفصاحته وبلاغته. وكان مسرورا جدا عندما شاهد نسخة من كتابه بعينيه "منحة سرنديب في مولد الحبيب" موجودة في إحدى مكاتب الحجاز. وقع هذا الحدث في عام ١٢٨٧هـ. وإن الله سبحانه وتعالى اختار الإمام العروسي إلى جواره يوم السبت بتاريخ ٥ من شهر رجب عام ١٣١٦ الهجري.

وشارك الإمام العروس بنشر كثير من الكتب القديمة باللغة العربية واللغة التاملية ولغة "عرب التامل". كتب الشيخ كتبا عديدة باللغة العربية ونذكر أسماءها كما يلي:

١. منحة سرنديب في مولد الحبيب

٢. مواهب المجيد في مناقب شاه الحميد

٣. أحسن المواعظ وأزين الملاحظ

٤. مواهب الزين في مناقب الحسنين

٥. زنجبيل سلافة قريشية في سجنجل مرآة مطلبية

٦. منائح رتب الأربعة في مدائح قطب الأقطاب

٧. مراتب أولي الثمن في مناقب القطب الحسن

٨. منحة الباري في منحة البخاري

٩. مولد عطاء الرسول في سحت سخاء البتول

١٠. مواهب الرحمن في مناقب حسن بن عثمان

١١. موجبة الواهب في منقبة الشيخ نكية صاحب

١٢. فيض المجيد في مناقب إبراهيم الشهيد

١٣. راتبة جلالية ووظيفة حالية ومقالية وأذكار قادرية

١٤. مرثية عبقرية على صاحب صومعة كركرية

١٥. مرثية على الأيويين

منحة سرنديب في مدح الحبيب

هذا الكتاب حول مولد النبي صلى الله عليه وسلم الذي يقرأ في شهر ربيع الأول من أول يوم إلى ثاني عشر. ذكر فيه عن حياة النبي صلى الله عليه وسلم وسيرته على أحسن أسلوب باللغة العربية الفصحى بحيث يتعجب كل من يقرأه.

يقول الإمام العروس في المقدمة:

الحمد لله الأول بلا ابتداء والآخر بلا انتهاء والظاهر بلا اقتداء والباطن بلا اختفاء، كان الكنز أحديته في عماء، لا تحته من تحت ولا فوقه من سماء، كان ولامعه لفظة كان، ولا زمان ولا مكان، بل كان كنزا مخفيا ورمزا خفيا. فأحب أن تعرف وحدته وتوصف قدرته وأن ينفس كرب أسمائه الجلالية وأوصافه الجمالية وأسراره الفاعلية والقابلية. فخاطب حبيبه فقال كوني محمدا. ومولد الأكوان ومحمدا. فاقتبس منها نوره. وزاد ضياءه وظهوره. فصوره على حسن صورته. وأقامه في مقدس حضرته. وقال بك أبدي حقائقي الإلهية وخلائقي الكيانية. أسيرك في المراتب طورا طورا. وأديرك الأفلاك نورا نورا لا أذكر إلا وتذكر معي بك أثيب وأعاقب، وعلى وفق مراتك أخاطب. لولاك لم أسطر القلم، ولا

أسقي الظمآن. فلبك عرشي ولبك فرشي. أتوجك تاج خلافتي وأكسوك خلع هدايتي. فأنت مجمع البحرين...

الإمام العروسي يمدح عن جمال طبيعة البلاد وحسن بيئة أجزاء سرنديب وهي:

قال الفقير الكركروي: لا طفه الله القوي، سافرت إلى جزيرة سرنديب مهبط آدم عليه السلام المتبركة بآثار قدمه في ذروة جبل من جبالها الأعلام، ودرت بين قراها بعض الأيام فرأيتها بلدة طيبة بأنواع النعم مخصبة كأنها قطعة من سبإ مميزة ومسكية بالأمطار ومخضرة بالمزارع والأشجار مسبلة أنهارها، ومثقلة أثمارها مفعمة أنوارها، ومنعمة أكوارها متعالية جواهرها متلألئة متشعرها متكمنة بالأسرار أفنيتها ومتضمنة بالأنوار أكنانها، وفيها على ما زعم مقام الخضر وإلياس عليهما السلام ومحافل رجال الغيب مجتمعين في الظلام ومراسيم لياليهم في بعض تفاسيرهم بالأقلام، فتعجبت منها وسألت عنها فقيل إن تلك ببركة إحياء الربيع الأول وقرآة المولد للنبي الأفضل والتصدق على اسمه للأعلى والأسفل؟

بعض الأبيات من هذا الكتاب:

يا أيهــــــــــا الحضر هلما على المختار

في الأصل والأبــــــــــكار تسعدوا سفر؟

اقرؤوا مولد المصطفى تبعا

شرعه ذلك من كدح من يسعد

لا تبخلوا بمن يصنع المولدا

ثريا فهو فسق به يبعد

صلوات الكريم شهرا وحولا

ألف ألف على الرسول المعلى

وقال أيضا:

وثانيه إدريس جاها وقال هو

رئيس لكل الرسل حتى أولي الخطر

وعيسى أتاها تاسع الشهر قائلا

هنيئا هنيئا للجنين الذي استقر

ويشمل هذه المنحة ١٤ قصيدة و ١٨٨ بيتا.

مواهب الزين في مناقب الحسنين:

هذا المولد مكتوب عن شرف الإمام حسن رضي الله عنه والإمام حسين رضي الله عنه سبطي النبي صلى الله عليه وسلم

وهذه القصيدة المخمسة التي يقرأها كثير من المسلمين بجنوبي الهند في بيوتهم كلما يقومون باحتفاظ عائلي أو حزني.

يقول الإمام العروس في المقدمة:

ولم أذكر شيئا من تعصبات وخصومات جرت بينهم وبين رضي الله عنه لأن رواياتها ولو كان بعضها صحيحا تورث الطعن في بعض أبناء الصحابة الكبار وسوء الظن في من يخطر ببابه كثير من تلك الأخبار.

وقال أيضا:

الحمد لله الذي أذهب الرجس عن أهل البيت وطهرهم تطهيرا وركبهم على أسمية المكارم وأسمية المعاظيم ووقرهم توقيرا واجعلهم مفاتيح أبواب النبوة ومصابيح أرباب الفتوة ونورهم تنويرا وخيرهم بين أن يكونوا أبناء الدنيا أو الآخرة فاختاروا الباقي على الفاني وحقروه تحقيرا.

بعض الأبيات:

ويا تصغير منه ذي بسبسته   أخو حسن بكر لفاطم شهوة

فإن قلت تصغير لشفقة جده   فنعم أتى ياء إليها بشعر قضية

وأنشد أيضا:

حب الرسول وحب الآل ركنان　　لا فرق بينهما يا أهل إيمان

من ود طائفة ولا يرضى عشيرته　　فهو المداهن والعاصي لرحمان

وهم نجائب ســــــــــادة سفن　　ينجو بها غارق في بحر طغيان

كتب الدكتور نثار أحمد [٤] قاموسا سماه " الجمول" وهو حصيل بكثرة الألفاظ الأجنبية التاملية التي لا نكاد نجدها في القواميس الأخرى. ذكر الدكتور في الصفحة الأولى: " إني أنسب هذا الكتاب إلى الشيخ الإمام العروس الذي صنف عدة كتب في اللغة العربية وعرب التاملي والذي كان سببا لبناء أكثر من مائة مسجد". إن ذكره يخلد لأجل خدمته لأدب اللغة العربية وقيامه بنشر الإسلام.

(١١) الشيخ عبد القادر المعروف بـ" صاحب الخلوة" (١٢٦٤ – ١٣٣٤ هـ)

ولد الشيخ عبد القادر " صاحب الخلوة " الابن الأكبر لوالده الشيخ سيد محمد " الإمام العروس" في غرة الشهر رجب في عام ١٢٦٤ هـ بكيلكري. وهو من العلماء البارزين و البارعين الذين أنجبتهم ولاية تامل نادو. وبعد ما حفظ القرآن أخذ الشيخ عبد القادر يقرأ عند أبيه مختلف الفنون العربية والدينية مثل التفسير والحديث والفقه والنحو والصرف والأدب والمنطق والمعاني وتاريخ الأدب وتاريخ الإسلام والنظم والنثر وغيرها من العلوم التي تبحر فيها بعمق دراسته ووضوح فهمه وإدراكه.

قضى في الخلوة إحدى وثلاثين سنة للحصول على رضا الله تعالى وخرج الشيخ من خلوته مرتين فقط وحينما كان في الخلوة سأل الله تعالى بعض الأذكار للمريدين وقد ألهمه الله تعالى بعض الأذكار في قلبه وهي:

١. بسم الله الرحمن الرحيم على نفسي وديني وأهلي ومالي
٢. أستغفر الله العظيم
٣. إنا لله وإنا إليه راجعون
٤. لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم
٥. حسبنا الله ونعم الوكيل
٦. سبحان الله
٧. الحمد لله
٨. الله أكبر
٩. لا إله إلا الله
١٠. اللهم صل وسلم على محمد وآله وصحبه عدد ما في علم الله صلاة دائمة بدوام ملك الله

اشتغل الشيخ بالتجارة والعبادة كما كان يقوم بالبحوث الإسلامية وقراءة الكتب. فكان يذهب كل يوم إلى المدرسة العروسية القادرية في الساعة التاسعة صباحا ويدرس الطلاب هناك ثم يذهب بعد ذلك لأعمال تجارته. وبين الظهر والعصر كان يكتب ما بين عشرين وثلاثين ردا على رسائل عديدة. وينقطع للعبادة بين العصر والمغرب ثم يذهب إلى دكانه فيرى دخله ومصاريفه ثم يذهب لصلاة العشاء.

ذات مرة جاء عالم من اليمن يسمى مولانا سيد يحيى إلى كيلكري فطلب صاحب الخلوة منه البيعة فأعطاه العالم كتاب "إحياء علوم الدين" للإمام الغزالي رحمه الله عليه وقال له: أنا يحيى خذ إحياء علوم الدين لتحيى أنه قولك وطلب منه قراءته كاملا حتى ينور الله قلبه بعلمه. ومن ذلك اليوم أخذ الشيخ يقرأ يوميا ٢٠ صفحة يقرأ لكل صفحة ثلاثين مرة. واستمر في ذلك ٩ سنوات ختم خلالها ذلك الكتاب فأصبح مفهوم كتاب "إحياء علوم الدين" أكثر وضوحا في قلبه.

نظم الشيخ قصيدة تبدأ بـ "حمدا لإلهي تعالى" تحتوي على ٢٦ بيتا وهي جديرة بالتفكر والمدح. وتبدأ هذه القصيدة بهذه الأبيات:

حمدا لإلهي تعالى قولا وفعلا وحالا شكرا له إفضالا

شوقا إليه وصالا

صلى وسلم ربي على الرسول المجتبى وكل آل وصحب

حووا جمالا كمالا

دعوتك ربي قريبي لتجب دعاء الغريب عبدك ذا التثريب

أعصى العصاة ضلالة

ظلمت نفسي وإن لم تغفر لنا ثم ترحم نكن خاسرين بإثم

فاغفر لي وارحم نوالا

وتسمى هذه القصيدة المذكورة باسم "قصيدة الوسيلة".

تعقب الشيخ شخصيات من الشخصيات الأكابر مثل الإمام الغزالي والشيخ محيي الدين ابن العربي والشيخ عبد الكريم الجيلي والشيخ عبد الوهاب الشعراني رحمة الله عليهم وأخذ المعلومات العديدة من حياتهم وأعمالهم. اعتبر الشيخ صاحب الخلوة الإمام الغزالي والشيخ ابن العربي والشيخ عبد الكريم الجيلي نموذجا له. كان الشيخ صاحب الخلوة يقرأ ويبحث بعض الكتب الروحانية مثل الكتاب "فتوحات مكية" و"فصوص الحكم". قرأ الشيخ شروحات عديدة للكتاب "فصوص الحكم" ويقول أحسن الشروحات لهذا الكتاب يسمى "شرح فصوص الحكم" للشيخ عبد الرزاق القاشاني.

وكان يقرأ ويبحث أيضا كتابا باسم " الإنسان الكامل" للشيخ عبد الكريم الجيلي رحمه الله.

هو كان مشهورا في تامل نادو وسرنديب حتى يقال لم يبق مسلم لم يعرفه. وكان الشيخ عبد القادر صاحب الخلوة يضحي حياته كلها من أجل ربه ورسوله صلى الله عليه وسلم. واستطاع أهل بلدة كيلكري أن يعيشوا بفضله عيشا مريحا مع الأمن والسلام كما قال الله تعالى:

" وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون" (سورة هود: ١١٧)

توفي الشيخ في الساعة العاشرة وربع ليلا بتاريخ ٢٢ من شهر شوال عام ١٣٢٠هـ وكان عمره ٦٧ سنة.

١٢. الشيخ شاه الحميد المعروف بـ" صاحب الجلوة" (١٢٧٢ - ١٣٢٩هـ)

ولد الشيخ شاه الحميد المعروف بـ"صاحب الجلوة" سنة ١٢٧٢هـ اليوم العشرين لشوال بكيلكري. وبعد ما حفظ القرآن المجيد اخذ الشيخ شاه الحميد يقرأ عند أبيه مختلف الفنون العربية والدينية وتاريخ الأدب وتاريخ الإسلام. وكان أبوه أستاذا ماهرا في جميع العلوم والفنون الإسلامية وتعلم عنده التفسير والحديث والفقه

والتصوف والعقائد. حصل من والده على كثير من العلوم وبعد ذلك من أخيه الشيخ "صاحب الخلوة".

ولما بلغ التاسعة من عمره حفظ القرآن الكريم كما فعل أخوه الكبير. بجانب كونه تاجرا كان عالما صوفيا أيضا. حينما سافر الشيخ صاحب الجلوة إلى مكة المكرمة لأداء الحج [illegible] في جواره بعد خدمته العلمية الجليلة. وافته المنية في قرية "بحرة" قريبة من جدة ونقل في جدة ودفن في جنة المعلى بمكة المكرمة بين قبر خديجة رضي الله عنها والشيخ ابن حجر رحمه الله.

كتب كتابا واضحا في علم النحو يسمى "مرقاة النحو" باللغة العربية. وكتب لذلك الكتاب مقدمة بشكل قصيدة من أبيات كما يلي:

كتاب صغير جل قدرا ومنزلا　　　وسفر عزيز بالوجازة قد علا

أيا طلبة النحو الشريف عليكم　　　بمرقاة نحو فاجعلوها لديكم

جزى الله خيرا للمؤلف أعظما　　　وأحسن أجرا ما طيور ترنما

ألف الشيخ صاحب الجلوة مرثية على أبيه الإمام العروسي تحتوي على ٢٢ بيتا. نظم الشيخ صاحب الجلوة العديد من القصائد التي كان لها دور كبير في مختلف المجالات الدينية والأدبية واللغوية. كان الشيخ صاحب الجلوة معهودا على قرض الشعر

طالبا من الله فضله على القرى والمدن التي كان يقدم فيها خدماته الدينية. شعره ذو درجة عالية من الفصاحة والبلاغة. القصيدة التالية كتبت في دكولي (Dickwelle) إحدى المراكز الإسلامية في جزيرة سرنديب.

يا رب احفظ كل مسلمينا   في دكولي من شرور الدنيا

وجميع آفات الدنا والأخرى   وارحمهم أوجب لهم غفرانا

ويا رب كن رحيم في أمورهم   وزدهم وعرفهم رحمتنا

أعمارهم طول واخلص عملهم   لوجهك الكريم يا منانا

ووسع أرزاقهم حلالا   وارضن معاشهم دينا

وطهرن قلوبهم من الريا   ومن سوء والهوى سلطانا

بجاه سيدنا محمد النبي   والغوث محي الدين يا برهانا

وببركة الدعا لعالم عروس   سيد محمد الولي سبحانا

واقبل دعا شاه الحميد وأحمه   واحفظه كل ساعة أحيانا

اشترى قرية صغيرة تسمى كاتاكلم (Kathakulam) قرب بلدة مدوكلتور (Mudukolathoor) وأدار هنا كملاك أراضي. وبسبب هذه الثروة أصبح عضوا في مجلس ويسراي (Viceroy Council) وكان الشيخ شاه الحميد مؤهلا للتصديق في انتخابات مجلس ويسراي.

بعد وفاة والده أصبح رئيسا للطريقة العروسية القادرية وصار له العديد من التلاميذ وقام بأعمال تجارية. واعتبر الشيخ شاه الحميد أن الحياة الروحانية لا تتوقع مالا في أحد. لذلك ركز اهتمامه على الأعمال التجارية أيضا. خدماته لجزيرة سرنديب كانت عظيمة حيث نشر الطريقة العروسية القادرية وأسس العديد من المدارس وساهم في توحيد المسلمين وجمع كلمتهم. وكان الشيخ مفتيا في ولاية تمل نادو وكيرالا وجزيرة سرنديب.

(١٣) الشيخ تكية أحمد عبد القادر عالم المعروف بـ "الشيخ نايكم" (١٣٠٩ – ١٣٩٧هـ)

الشيخ أحمد عبد القادر مشهور باسم " شيخ نايكم" ولد صباح يوم الجمعة الساعة التاسعة والنصف في شهر صفر ٢٧ سنة ١٣٠٩ الهجري. كان الشيخ تكية أحمد عبد القادر صوفيا عظيما وعالما ذكيا باللغة العربية ومناضلا من أجل نيل حرية واستقلال الهند. كان الشيخ يكتب اسمه في مؤلفاته " العبد العاصي العاجز الجاهل". اختار الشيخ صاحب الخلوة ابنه الشيخ أحمد عبد القادر خليفة للطريقة العروسية القادرية لذا فقد زار العديد من الدول لأداء تلك المهمة. لم يكن لعمه صاحب الخلوة أولاد ذكور لذا فقد اعتبر الشيخ نايكم كابنه. أصبح الشيخ أحمد عبد القادر شيخا رئيسا للطريقة العروسية القادرية وأستاذا ماهرا في التعليم والتعلم

ومصلحا اجتماعيا وإماما لعامة الناس ورئيسا سياسيا في وقت واحد.

حج الشيخ تكية أحمد عبد القادر مرتين. مرة في سنة ١٩٢٦م وفي تلك السنة لم يتمكن من زيارة المدينة المنورة بسبب مرض زوجته. وفي المرة الثانية عام ١٩٢٥ حج مع أخته السيدة مريم ومكث هناك سنة واحدة زار خلالها العديد من الكليات والمكتبات وتحدث مع العلماء عن أمور التربية والتعليم. واستحسن مهارته في اللغة العربية.

كان الشيخ مفتيا لأكثر من خمسين سنة. ولم تسبب فتاواه أية مشكلة بل كانت مقبولة لدى الجميع. وقد أفتى بجواز تعلم اللغة الإنجليزية حيث كان هناك خلاف حول تلك المسألة أيام الاستعمار. وقد ساهم في دعم الحركات الداعية للحرية. وكانت له علاقات وصلات مع كثير من القادة السياسيين. وكان يلقب بـ"شمس العلماء" في البلاد الأجنبية وقد قدم خدمات جليلة لتلك الدول. وقد شكره المجلس البلدي في سيلان (Corporation of Ceylon) في جزيرة سرنديب لخدماته في بناء المساجد والتكايا في المدن والقرى. وقد رحبوا به أشد ترحيب. كان معروفا بخدماته الاجتماعية. فعند انتشار الأمراض الوبائية كمرض الكوليرا (Cholera) كان يوزع صناديق الطعام والأدوية للمرضى. وكان يحمل مصباحه في الليل ويوصي الناس.

كتب الإمام محمد جعفر البرزنجي (المتوفى ١١٧٧هـ/ ١٧٦٣م) قصة معراج النبي صلى الله عليه وسلم بالإيجاز وطبع الشيخ نكية أحمد عبد القادر "شيخ نايكم" رسالة البرزنجي في اللغة العربية وتوزع هذه الرسالة مجانا على عامة الناس في ولاية تامل نادو وجزيرة سرنديب.

توفي الشيخ نكية أحمد عبد القادر "شيخ نايكم" في سنة ١٩٧٦م في الرابع عشر لفبراير يوم السبت صباحا بعد أداء صلاة الصبح ودفن في كيلكري.

تعلم الشيخ "شيخ نايكم" عند أعلى حضرة الشيخ عبد الوهاب في الباقيات الصالحات بفيلور (Vellore) وأخذ منه كثيرا من العلوم والفنون. وقد انتخب رئيسا لمجلس جماعة العلماء بتامل نادو وبعد ذلك رئيسا لجنوبي الهند. بايع على يديه كثير من الناس وصار تلاميذه كلهم ناجحين في حياتهم وصالحين في أعمالهم وخادمين لهذا الدين الحنيف. ألف قصائد وأشعارا في اللغة العربية والتاملية. كتب كتابا باللغة العربية و لغة "عرب التامل" يسمى "أهم المهمات". شبه الشيخ "شيخ نايكم" الإسلام الحنيف ببناء مكون من أربعة أجزاء في كتابه "أهم المهمات".

(أ) أحكام الشريعة كأساس البناء

(ب) مبادئ الطريقة كتركيب البناء مثل الجدران والأسقف

(ت) علم الحقيقة كالأثاث والزينة

(ث) إذا وجدت هذه الثلاثة، الرابعة هي المعرفة وهي كساكن هذا البناء.

وهذا الكتاب جدير بالذكر في الأمور الدينية. وكانت له منزلة رفيعة لدى سكان ولاية تامل نادو وجزيرة سرنديب لعمقه ومرونته واعتداله.

بنى الشيخ مسجدا في قرية راجاكل بتيام (Rajakalpalayam) من مديرية ترونلويلي (Tirunelveli) كما بنى مسجدا في قرية "إدم باتي" (Idampadai) أيضا. كانت توجد ٣٠٠ كتاتيب في مديرية "رامناد بورم" بولاية تامل نادو تحت إشراف الشيخ "الشيخ نايكم" خلال ١٩٥٠-١٩٧٥م. وهذه الكتاتيب كانت تتلقى مساعدة مالية من رعاية الشيخ "شيخ نايكم". وألحق الشيخ بخمس كليات عربية في ولاية تامل نادو وجزيرة سرنديب وقدم خدماته الجليلة لنشر اللغة العربية والعلوم الإسلامية.

(١١) الشيخ الدكتور أفضل العلماء تكية شعيب عالم صاحب حفظه الله

ولد الدكتور تكية شعيب عالم في التاسع والعشرين من يوليو عام ١٩٣٠م بكيلكري. كان الشيخ ذكيا من صغر سنه وعلمه أبوه اللغة العربية والعلوم الإسلامية. ثم تعلم العلوم المدرسية في

المدرسة الحميدية بكيلكري لأربع سنوات. وكان له الدرجة الأولى في جميع العلوم والفنون وكان مواظبا في الدروس. وكان الشيخ مكية شعيب عالم طالبا نموذجيا. وبعد أن كمل تعليمه المدرسي حصل في السنة ١٩٦٧م على شهادة البكالوريوس في اللغة العربية من "جامعة سيلان".

تعلم الشيخ شعيب عالم في الكلية العربية الجمالية بمدراس ومدرسة الباقيات الصالحات بفيلور والمدرسة العروسية بكيلكري واستفاد من علمائها، ومن أساتذته:

(١) شيخ الحديث عبد الرحيم رحمة الله عليه، العميد السابق للباقيات الصالحات بفيلور

(٢) أفضل العلماء سيد عبد الوهاب البخاري رحمة الله عليه، العميد السابق للكلية الجديدة

(٣) الدكتور سي. أي. لطيف

(٤) الدكتور إم. أي. إم. شكري، الرئيس السابق بجامعة سيلان

(٥) شيخ التفسير الشيخ عبد القادر، عميد جامعة العروسية بكيلكري

ولقد لازم بالمدرسة العروسية بكيلكري ومدرسة الباقيات الصالحات بفيلور والكلية العربية الجمالية بمدراس وزار كذلك الجامعة الإسلامية بديوبند والجامعة الملية الإسلامية بدهلي والجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وجامعة القاهرة بمصر. وحصل الشيخ على شهادة " المولوي عالم" من المدرسة العروسية عام ١٩٤٩م و " المولوي فاضل" بنفس الكلية عام ١٩٥٥م. وحصل على شهادة " فضل العلماء" من " الفريقة البحارية" بكولمبو في عام ١٩٧٧م. تعلم الشيخ شعيب عالم اللغات العربية والتاملية والأردية والإنجليزية ويجيد التعبير البليغ في هذه اللغات. وحصل الشيخ على شهادة " الماجستير " من جامعة كولمبيا الباسفيك، سان رافل، سان فرانسسكو (Columbia Pacific University, San Raphel San Francisco, USA) بـ "كاليفورنيا" (California) بالولايات المتحدة الأمريكية. وقدم الشيخ شعيب عالم بحثا حول موضوع "مساهمة المسلمين التامليين للغة العربية ولغة عرب التامل " في سنة ١٩٨٧ وحصل على شهادة الدكتوراة من "جامعة كولمبيا فاسفيك".

بدأ الشيخ شعيب عالم تدريس اللغة العربية لطلاب المدرسة العروسية بكيلكري منذ صغر سنه كما بدأ تدريس العلوم العصرية لطلبة المدرسة المحمدية في المساء. تعلم منه ١٢٠٠ طالبا اللغة العربية والدراسات الإسلامية وقاد الشيخ شعيب عالم أحد عشر

طالبا للحصول على شهادة الدكتوراه. لأنه جمع المقالات والبحوث عن "الإسلام واللغة العربية" و"عرب التاميل" من المسلمين وبلغ عدد المقالات غير المطبوعة إلى ٢٥٠ تقريبا.

مهما كان عنده من المسؤوليات المتعددة – الأهلية والتجارية وغيرهما – يهتم الشيخ تكية شعيب عالم بتأليف الكتب والرسائل. وقد ألف الشيخ شعيب عالم ٣١ كتابا [٢]. وهي كما يلي:

١٤ كتابا في اللغة التاميلية

١٣ كتابا في اللغة الإنجليزية

كتابان (٢) في اللغة الأردية

كتاب واحد في اللغة الأروية

الدكتور تكية شعيب عالم هو رئيس المنظمة العروسية القادرية في الهند وفي جزيرة سرنديب وماليزيا وسنغافورة وتايلاند وبعض الدول العربية. وهو يخدم الدين والعلم ويسافر ويحضر لأجلهما وهو يتعلق بالمعاهد المختلفة ويساهم في ترويجها ورفعة شأنها.

شارك الشيخ شعيب في كثير من الندوات والمؤتمرات في الهند وخارجها مثل سرنديب وماليزيا وسنغافورة وتايلاند واليابان وكنتن (الصين) وبريطانيا والولايات المتحدة وبلدان العرب. وكان

قائدا للوفود في مختلف الندوات والمؤتمرات العالمية. وسافر إلى البلدان الأوروبية مثل بلجيكا وفرنسا وسافر أيضا إلى بلدان الشرق الأوسط مثل العراق والأردن والإمارات العربية المتحدة وألقى هناك محاضرات.

العربية والأردية والفارسية في سرنديب وتامل نادو

كتب الدكتور تكية شعيب عالم كثيرا من الكتب وأشهرها ما يعتبر سببا لنيله "جائزة رئيس جمهورية الهند" في السنة ١٩٩٤م وهو "العربية والأردية والفارسية في سرنديب وتامل نادو". يحتوي هذا الكتاب على ٨٢٤ صفحة. وهذا الكتاب مشتمل على الرسالتين اللتين قدمهما الدكتور شعيب عالم لنيل شهادة الماجستير والدكتوراة من جامعة كولمبيا فلسطين، الولاية المتحدة الأمريكية. وهذا الكتاب نتيجة جهد الشيخ شعيب لأكثر من ثلاثين سنة خلال حضره وسفره. منح رئيس الهند الدكتور شنكر ديال شرما (Dr. Shankur Dayal Sharma) الجائزة التقديرية الوطنية للشيخ شعيب عالم في السابع من شهر مايو سنة ١٩٩٤ اعترافا بخدماته الجليلة في مجال اللغة العربية وآدابها.

ويفكر الشيخ تكية شعيب عالم كثيرا في تقدم المسلمين ويجتهد لهذا الغرض بماله وبنفسه. وهو يخدم كثيرا من المنظمات منها الكليات الدينية والكليات العصرية وكليات الهندسة في مدينة تشنائي وكيلكري وغيرهما.

المراجع والمصادر:

١. تقع هذه البلدة في مديرية "تونوكودي" على مسافة أربعة أميال بالجانب الشمالي من مدينة "تروشندور". وهذه البلدة الساحلية تسمى "كايل بتنم" أيضا لكثرة اشتغال الناس في الأيام القديمة بإعداد الملح من مياه البحر.

٢. الإمام الشيخ صدقة الله القاهري، بقلم محمد عبد القادر، ص: ٨٠٨

٣. الدكتور أحمد زبير "سيرة الشيخ صدقة الله وخدماته الدينية والعلمية"، ص: ٦٣

٤. الشيخ سيد محمد "الإمام العروس"، نور العبير، ص: ٦٧

٥. تقع هذه البلدة الساحلية "كيلكري" في مديرية "رامناتبورم" على مسافة سبعة أميال، ويوجد ميناء وهذا الميناء الساحلي كان ميناء طبيعيا عميقا مناسبا للبواخر بسهولة. وكان ميناء كيلكري مركزا لإتيان الأشياء ورسو مختلف البواخر القادمة من شتى الجهات مثل البلدان الأسيوية والبلدان الأوروبية وكانت بواخر البلدان الأسيوية لا تجلب إلى ميناء كيلكري سوى العرب فحسب بل كانت تأتي بالمصنوعات في غيرها من القارات العالمية. وكان الخليج الفارسي في ذلك الزمن مركزا عظيما للتجارة مثل "هونج كونج" المعاصر. وكان هذا الميناء في القرن الماضي يستعمل كميناء السفن في جنوب الهند وتوجد حتى الآن آثار وجود بعض مستودعات السوق للتجار المحليين. هذا أيضا يدل على ازدهار التجارة واهتمام المملكة في هذه البلدة منذ زمن بعيد. وهي البلدة التي قضى الشيخ صدقة الله أيا

معظم عمره فيها وقام بهداية الناس بنور علومه وسلوكه الإسلامية الصادقة حتى اشتهر بين الناس لا في كيركري فحسب، بل خارج تلك البلدة أيضا باسم الشيخ صدقة الله كيركري.

٦. الدكتور أحمد زهير من مقالته باسم "الشيخ صدقة الله لبا" في "الحميد: مجلة الكلية الجديدة، ٢٠٠٠-٢٠٠١م.

٧. عرب التامل أو بهاشا اللغة الأروية أي كتب بحروف العربية ولكن ألفاظها ألفاظ التاملية والعربية. هذه نظمت لتعميم التعليمات الإسلامية بين الناس وبين أبناء المسلمين خاصة

٨. الدكتور أحمد زهير، أسرة الشيخ صدقة الله لبا وخدماتها الدينية العلمية، ص ١٠٠

٩. الدكتور تكية شعيب عالم، العربية والأروية والفارسية في سرنديب وتامل نادو، ص ٢٠٥

١٠. الأستاذ محمد يوسف كوكن العمري، العربية والفارسية في كرناتك"، ص ٤٥٧

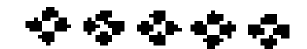
١١. كان الشيخ تكية صاحب الصغير ابنا لزوجة تكية صاحب الكبير. كان الشيخان تكية صاحب الكبير وتكية صاحب الصغير يسميان تكية صاحب من قاهرة ناتم وتكية صاحب من كيركري بالترتيب.

١٢. منور في من أكبر المدن الواقعة في ولاية تامل نادو على بعد ١٠٠ كيلومتر من كيركري.

١٣ . الصوفياء وأهل الطريقة القادرية وغيرها يعزلون أنفسهم ويعبدون الله تعالى للذكر والتسبيح ويجلسون في مكان خاص يسمى هذا المكان "خانقاه".

١٤ . الدكتور نثار أحمد هو الآن رئيس قسم اللغات العربية والفارسية والأردية بجامعة مدراس

١٥ . الدكتور علي عبد المالك من مقالته باسم الدكتورة زكية شعيب - حياتها وخدماتها" في "التجديد" مجلة الكلية الجديدة، ٢٠٠٢-٢٠٠٣م.



المجتمع الهندي – الإسلامي – تبادل ثقافي

د/ محمد عمر*

ترجمة: أورنك زيب الأعظمي**

كان القرن الثالث الميلادي على وشك النهاية عندما تمكن الأتراك من شمال الهند وفي فترة ربع قرن غلب جنودهم على المناطق الهندية من بنجاب إلى آسام ومن كشمير إلى جبال فنديها وكان لفتحهم هذا أثر بالغ في تطوير الثقافة الهندية وفي بادئ بدء بدا كأن الانكسار هو قد ألحق الدمار بكل شيء في الهند بما في ذلك هيكل الديانة المحلية حيث حرم علماؤها وكهنتها عناية الحكومة بهم وانصرفت رعاياها عن الأدب المحلي مما انعكس سلبا على تطوره ويبدو كذلك أن هذه الهزيمة السياسية هي عين الانحطاط الثقافي

---

* أستاذ سابق، قسم التاريخ، جامعة على كره الإسلامية، علي كره.

** باحث، مركز الدراسات العربية والأفريقية، جامعة جواهر لال نهرو، نيودلهي.

ولكنها في الواقع أسفرت عن نتائج بعيدة المدى نستعرضها فيما يلي:

ونظرا للمصالح السياسية والإدارية اضطر الملوك المسلمون إلى إقامة الروابط مع الشعب غير المسلم فكان مما لا بد منه أن يوظفوا الهندوس لتنفيذ نظام الحكومة وبناء عليه فإن قطب الدين أيبك امتنع عن فصل الهنود عن وظائفهم لمعرفتهم بنظام الحكومة المدني للبلاد ولعدم إمكان الفوز بجباية الضرائب بدون عون منهم وبما أن الملوك المسلمين لم يأتوا معهم بالتابعين والموظفين والمحاسبين فقد تم بناء مبانيهم على أيدي الهنود الذين أدخلوا تعديلات في فن العمارة الهندية القديمة طبقا لمتطلبات العصر الحديث كما قام الصرافون بسك النقود للحكومة الحديثة وقام الموظفون الهنود بأداء مسئولية المحاسب وعلماء القانون الهنود بالإشارة على الملوك عن تنفيذ القوانين الهندية وأما المنجمون منهم فقد عاونوهم في الأمور العامة للحكومة ، والواقع أن المسلمين الذين جاءوا الهند أقاموا بها واتخذوها وطنا لهم ونظرا لعددهم القليل الذي يختصر به الهندوس قد صعب عليهم الاستمرار في العداء لهم فتوثقت العلاقة بين الطائفتين بفضل الاتصالات ومقتضيات العصر وقد كان من بينهم عدد كبير من الذين بدلوا دينهم ولم يبدلوا مواقفهم. ولذلك فلما سكتت الأوضاع الساخنة للفتوح الأولى حاول الهندوس

والمسلمون جميعا أن يظهروا بمظهر وسط يعيشون به عيشة الجارين فقد بدءوا يبحثون عن حياة جديدة وخلق ذلك البحث ثقافة جديدة لم تكن هندوسية تماما ولا إسلامية خالصة بل الواقع أنها كانت ثقافة هندوسية - إسلامية أظهرتها عملية التبادل إلى حيز الوجود فأخذت الأديان والفنون الجميلة والآداب والعلوم الهندوسية من العناصر الإسلامية وحدث تغير واضح في روح الثقافة الهندوسية واتجاهها الفكري وفي الجانب الآخر استجاب المسلمون لذلك وجاءوا بتغير مماثل في كل شعبة من شعب حياتهم ومن الطبيعي عند تلاقي الثقافتين أن يتم تبادل الآراء بينهما وتعطي إحداهما الأخرى بعض عناصرها كما تأخذ مثلها منها.

وهكذا أثر الإسلام على الفرق الدينية للهندوس في شمال الهند وجنوبها وقبلت أديانها وثقافتها العناصر الإسلامية. شركت العبادة الدينية في مهاراشترا وغوجرات وبنغال عناصر الدين الهندوسي القديم واهتموا بغيرها من العناصر التي هي إسلامية قحة وهكذا حاولوا إيجاد مماثلة بين العقائد الإسلامية والهندوسية وفي الجانب الآخر نجد بين الصوفية والكتاب والشعراء المسلمين نزعة وطنية لقبول الأعراف والعقائد الهندوسية وقد أسفر هذا التبادل في بعض المناطق عن أن أصحاب بعض الفرق الإسلامية بدأوا يعبدون الآلهة والإلهات الهندوسية.

وهناك ميل إلى امتزاج في مجال الهندسة المعمارية الهندية لذلك العصر فلم تعد القصور والمعابد الهندوكية والمباني الدينية تبنى على طراز فن العمارة الهندوسية القديمة فلم تتبع عناصر الهندسة المعمارية الإسلامية فحسب بل كانت تتخذها روح جديدة يبدو منها كيف كانت تتغير القيم القديمة وهذا كان قد أثر في جميع نواحي الهند حتى في المواضع المعظمة أمثال متورا وبندرابن وورنسي ونظرا لهذا الجانب فما بني من المساجد والمقابر والقصور في هذا العصر هندي وقد أوجد المسلمون بتأثرهم بفن العمارة الهندية طرقا جديدة منها في العمارة الهندوسية ولا نبالغ إذا قلنا إن فن العمارة في العصور المتوسطة سواء كانت هندوسية أو إسلامية مثله مثل فرعي شجرة لهما أصل واحد فلو كانا قد اختلفا مدة ولكنهما تشابها نظرا لأهمية الطرق.

وكذا وقع التغير في فن التصوير الهندي فنجد فيه طرقا كثيرة بالنسبة إلى فن العمارة ومن الممكن أن نقدر ذلك بصور دلهي وججفور بما توجد بينهما متشابهة إلى حد أننا نلاحظ تشابها في طريقة تصويرهما فالفرق ليس إلا أن هذه الصور قد قام برسمها مصوران يختلف أحدهما عن الآخر.

وقد حدث تبدل ملموس في الأدب الهندي وفقدت السنسكريتية المكانة الأدبية التي احتلتها منذ مدة مديدة ولأن الاتجاه الفكري يأخذ طرقا جديدة لبروزه إلى حيز الوجود فتحولت المكانة

الأدبية إلى الهندية في شمالي الهند والمراتية في جنوب غربيها والبنغالية في شرقيها وقد قام كل من الهندوس والمسلمين بتطوير هذه اللغات المحلية فبرزت لغة جديدة مشتركة وترك المسلمون التركية والفارسية في حياتهم اليومية واختاروا لغة التحادث الهندية فاللغة التي وجدت بهذا التبادل سميت " الأردية" في القرن الثامن عشر الميلادي وقد نماها الهندوس والمسلم كلاهما كلغتهما ثم برع المسلمون في اللغات المحلية والسنكريتية فيتضح من تذكرة شعراء الفارسية أنه كان هناك هنود قرضوا الشعر بالأردية والفارسية ومسلمون كتبوا القصائد بالهندية فقد ذكر السيد غلام علي آزاد البلغرامي ثمانية شعراء مسلمين قالوا الشعر باللغة الهندية وكذا أثر المسلمون أثرا واضحا على اللغات المحلية أمثال المراتية والبنغالية والغوجراتية والبنجابية والسندية.

وكانت علوم الرياضيات والطب والعرافة أرقى علوم الهند وأشرفها فاستفاد العرب وإيران من علماء الهند إلا أن العرب قد درسوا علوم اليونان وقاموا بمحاولات ناجحة في تطويرها ولذلك فلما جاء المسلمون الهند جاءوا بنظامهم العلمي الذي شمل عناصر منفردة أخذها الهنود نظرا لجدتها وبدعتها فقد أخذ المنجمون الهندوس المصطلحات الفنية من المسلمين فمثلا طريقة قياس طول البلد وعرضه وعددا من مصطلحات الزيج وقام ملك الملوك جاي سينغ (١٦٨٦-١٧٤٣م) بتصليح علم الزيج الهندوسي وتأسيس

المراصد في جيفور ومتورا ودلهي وفارانسي وترجم فلاسفة هندوس بلاطه كتاب "المجسطي" من العربية إلى السنسكريتية واستخدموا في إعداد الزيج المحمد شاهي الجدول الفلكي (Astronomical Tables) الذي أعده ألغ بيغ ونظير الدين الطوسي والقرغان وجمشيد كاشي وغيرهم من المنجمين وكذا أخذ علم طب الهندي من المسلمين طرق الحمض الفلزي (Metallic Acid) وطب الكيمياء (Iatro-Chemistry) ومما قام بتطويره المسلمون في الهند من الصناعة اليدوية وغير اليدوية صناعة الأوراق والأقمشة المختلفة القابلة للنسيج وزخرفة الجدار وتطريز الثوب.

ولو أنه قد حدثت عدة تغيرات في الحياة الهندية الاقتصادية ولكن التي وقعت في الحياة الاجتماعية والسياسية أكثر منها فقد أثرت على الحياة الهندية الاجتماعية أصول الأخوة الإنسانية واتجاهاتها الفكرية تأثيرا بالغا فقلت أهمية الميزة الأسرية والجبلية وبالتالي إشتد الشعور بالمساواة الاجتماعية في الدين الهندوسي وحاولت هذه الحركة أن تبعد العوائق التي كانت قد سببت تقسيم المجتمع الهندي في الطبقات المهنية وأما على الصعيد السياسي فقد قام المسلمون بالقضاء على المراكز السياسية لملوك الهند الذين ضعفت دائرة سيطرتهم وحاولوا أن يخلقوا جوا من الاتحاد والوحدة السياسية وخلقوا عاطفة الوطنية فيهم.

قال الدكتور تارا تشند معللا مدى تأثير الإسلام على الثقافة الهندية:

" ومن الصعب جدا أن نبالغ في تحديد مدى تأثير الإسلام على جميع شعب الحياة الهندية إلا أنه واضح جدا في الأعراف والتقاليد وفن الموسيقي والألبسة وطرق تجهيز الطعام وتناوله وتقاليد الزواج والأعياد وأساليب الإحتفال بالطقوس والمواسم والقسام وتقاليد بلاط الأمراء والحكام المراثين والمسيخ وقد كانت توجد في عهد الملك بابر مشابهة في أسلوب معيشة الهندوس والمسلمين واتجاهاتهم الفكرية إلى حد أن نضطر إلى النظر إلى أسلوبهم الهندي الخاص وقد طور خلفه هذا الإرث بأسلوب تستطيع الهند أن تفتخر به.

وقد أحدثت أثر الإسلام على الحياة الهندية الدينية والروحية ثورة نفخت روحا جديدة في حياتها الدينية والروحية فنشأة " حركة بهكتي" (حركة العبادة الخالصة) مما سببه الأثر الإسلامي وتبنى تعاليم أئمة هذه الحركة إلى حد بعيد علىتعاليم الإسلام فمثلا فلسفة التوحيد فإنها كانت توجد لدى الهندوس إلا أنها كانت تفقد توحيد الإله وعدم الإشراك به

كبيره وبالرغم من ذلك فالإسلام يعطي فلسفة التوحيد بأنه "وحده لا شريك له" وقد اختار أئمة هذه الحركة فلسفة التوحيد للإسلام فقد علّم كبير (Kabir) ونانك (Nanak) الإنكار بالآلهة والإلهات بالإضافة إلى نشر فلسفة التوحيد وهكذا أعطوا تصور إله لا شريك له وكذا أكد كبير المبادئ التي تنحصر فيها الكرامة الإنسانية ونبذ الكرامة الجبلية وهذه هي فلسفة الإسلام " إن أكرمكم عند الله أتقاكم ".

هذا استعراض عابر لتأثير الإسلام على الثقافة الهندية والآن سوف نرى مدى تأثر المسلمين بالثقافة الهندية؟ هذا مبحث طويل ولا يمكن لنا أن نستعرض بالتفصيل ولكن لا نتجاوز الحق إذا نقول إن الثقافة الإسلامية قد تأثرت بالثقافة الهندية أكثر مما أثرت عليها والسبب الأكبر لذلك أن الأباطرة المغوليين لاسيما الإمبراطور أكبر قد حاولوا أن يقطعوا دابر الاختلافات الدينية لشعب بلادهم وأراد أكبر أن يجعلهم يتبعون دينا يشتمل على الأقوال الجميلة لكل من أديان العالم ويبعد عما يسبب الاختلافات الدينية والنزاع الدائم ولذلك أعلن:

" لا يحسن في بلد له ملك واحد أن يختلف شعبه فيما بينهم فلذلك ينبغي لنا أن ننظمهم في سلك واحد

> بحيث ألا يفوتهم خصوصيات "الوحدة"(Wahdat) و"الكثرة" (Kathrat) لكي يستفيدوا من التمسك بمحاسن دينهم ويأخذوا ما في غير دينهم من الأمور الحسنة وهكذا تحمد الله ويسلم الناس ويحفظ البلد من الأعداء داخليا وخارجيا.

وهكذا قام الإمبراطور أكبر بمحاولة منظمة لتوطيد علاقات الوحدة بين الهندوس والمسلمين وتأصيل هذه الوحدة على أصول ثابتة بصرف النظر عن الاختلافات الدينية والاجتماعية للشعب وفتح بابا لأصحاب كل دين وطبقة للوظائف الرسمية ونظمهم في سلك الاتحاد وعزز حركة الاتحاد الديني والاجتماعي للهند وهكذا زادها بلبنة جديدة ولم يكن خلف هذه العاطفة سوى الغرض السياسي لأن أكبر كان بعيد النظر ذا بصيرة سياسية وذهن واع فتفطن متطلبات العصر وأجبره الرغبة في تأصيل الحكومة المغولية في أرض الهند على أن يطرد كل ما يصده عن السبيل إلى تحقيق ذلك الهدف فإنه كان يعرف حقا أنه إذا بقيت الاختلافات الدينية تشتت شمل حكومته يوما كما أصاب حكومة عهد السلاطين بسقوط معلوم ولا يمكن لحكومة أن تدوم ما دام شعبها غير مؤيدين لها ولو أنهم يتعلقون بأي دين أو ملة والحكومة الهندية الراهنة تواجه مثل هذه القضايا والمشاكل ولذلك فقد اعتنى الإمبراطور أكبر عناية

بالغة بالقضاء على الاختلافات الدينية وعمل بما وصاه بابر همايون وهو:

> "ينبغي لذهنك ألا تمسه العصبية الدينية وتنصف بدونها وتعتني عناية بالغة بالتقاليد الدينية لكل طائفة وعلى الخصوص أن تتحاشى ذبح البقرة التي تمكنك في التمكن من أهالي الهند وبالتالي تنظمهم بسلك الشكر ويلزم كذلك ألا تهدم معابد أية طائفة وتنصف دائما لكي تبقى العلاقات الحسنة بين الملك وشعبه ويعم البلاد الأمن والسلام وينتشر الإسلام بالمحبة والعهد بدلا من الظلم والعدوان. بني! إن الهند يستوطنها أصحاب الأديان العدة ومن لطف الله بك أنه وهبك إياها"[١].

فأسفر هذا عن أن مغول الهند ومسلميها قد أصبحوا حتى عصر الإمبراطور بهادر شاه ظفر (١٨٥٧م) تفور في عروقهم دماء الهند أكثر من دماء إيران وتوران[٢] وقد اصطبغ المسلمون، ملكا وأمراء وشعبا، بصبغة ثقافتها المحلية بكل معناها.

وقد خلق الإمبراطور أكبر جوا من احترام الأديان والثقافات الأخرى بالزواج مع الهندوس وإزالة الحواجز التي كانت قد جعلت

للشعب المملوك في بوتقة اجتماعية وقد أعطيت الملكات وخادماتها الهندوسية حرية كاملة في أداء تقاليدها والعمل بما توحي إليه عقائدها الدينية.

١ - فقد بدأ الإمبراطور أكبر يحتفل بالأعياد الهندوسية في بلاطه كأعياد وطنية بكل أبهة ورغبة ثم تبعه في ذلك الملوك المغولية الذين جاءوا بعده حتى رغب فيها العامة إتباعاً لملوكهم فمثلاً قد كان المسلمون يحتفلون بأعياد "الهولي"[2] (Holy) و"الديوالي"[3] (Devali) و"الدسهرة"[4] (Desehrah) و"البسنت"[5] (Basant) و"السلونون"[6] (Saluwan) و"الجنم أشتمي"[7] (Janm Ashtami) وكانوا يقامرون ليلة الديوالي وقد يعيد "كوبردهون"[8] (Gobardhn) في القلعة الحمراء وكان المسلمون ولاسيما النسوة يقضون تقاليد مناسبات "الدسهرة" و"الهولي" و"الديوالي". يقول عنها الشيخ ميرزا جان جنان:

---

١ - "توران": كلمة إيرانية تطلق على البلاد الواقعة على شمال شرقي إيران. أطلقت فيما بعد على بلاد الترك (الأعظمي)

٢ - "الهولي": عيد من أعياد الهنود يحتفل به في الربيع مع الألوان (الأعظمي)

٣ - الديوالي: عيد فيه يعبد فيه الهنود آلهة "لكشمي" ويشعلون كثيراً. (الأعظمي)

٤ - الدسهرة: عيد فيه يحرق فيه تمثال الملك "راونا" (الأعظمي)

٥ - البسنت: عيد موسم الربيع للخصب (الأعظمي)

٦ - "السلونون": عيد موسم الأمطار (الأعظمي)

٧ - "الجنم أشتمي": ٨ من شهر "بهادون" (من النصف الآخر للشهر القمري إلى النصف الأول للشهر الشمسي) يحتفل فيه بميلاد كرشنا (الأعظمي)

٨ - كوبردهون: حفل شهير من الهندوس (الأعظمي)

"جماعه در ايام دوالي كفار جهله اسلام علي الخصوص زنان ايشان رسوم كفر بجا مي آرند وعيد خود مي سازند وهدايا شبيه بهدايا أهل كفر بطبقهاي منقش وخوانچه‌ها در رنگ آهل شرك مي فرستند[٩]."

ترجمة: ولذلك فيقضي جهلة المسلمين لا سيما نسوتهم تقاليد الكفر بمناسبة الاحتفال بعيد الديوالي ويهدون الأشياء المصاحبة بهدايا الكفار إلى بيوت البنات والأخوات بأسلوب يشبه طريقة المشركين.

٢ـ وبدأ نظم المجتمع الإسلامي يصطبغ شيئا بصبغة نظام الجيل الهندوسي بسبب الميزة الجيلية القديمة في الهند وكلما مرت العصور ازدادت في القبائل التي جاءت أولا والتي كانت تلتحق بالأجيال الأخرى نظرا للزواج وهكذا فتح في الهند منذ عهد سلاطين دلهي باب لتكوين مجتمع إسلامي جديد بلغ أوجه في العصر المغولي. فقد بدأ عصر حديث لتكوين وتنظيم المجتمع المسلم منذ عهد حكومة الأمير تطور أكبر وتطورا لتحسين الوضع الاقتصادي للبلاد وتأصيل الجانب السياسي فيها، أشرف أكبر ومن جاءوا بعده على أصحاب كل طبقة ووظفوا أصحاب الصناعة في كل ميدان في المصانع الحكومية فأسفر ذلك عن القيام بإعطاء

---

٩ ـ معمولات مظهري ص ٤٨

المناصب الملائمة للمواطنين الأصليين الذين لم يفوزوا بها في المجتمع الإسلامي بعد إعلانهم بالإسلام ولكنه أيضا جاء بتقسيم المجتمع الإسلامي في طبقات مهنية وقد هيأت قسمة الهنود الطبقية نموذجا للمجتمع المسلم وبدأت تبرز فيه طبقات مهنية وكلما مر الزمان جعلت كل طبقة مهنتها مما أورثها آباؤها وعينت لها تقاليد خاصة وحددت أمور الزواج في نطاق لا يسع إلا أصحاب طبقتها وهذه القسمة نشاهدها حتى عصرنا هذا وقد قال السيد مظير صير حسن إنه كان من المعروف في عشائر السادات في لكناؤ أن بعض العذارى قد كانت تعيش في حالة التجرد لمحض فقدان الأكفاء في الدائرة التي حددوها لهم.

٣- من التقاليد التي تمارسها من العهد إلى الآن هي نفس التقاليد التي كانت رائجة في الهند قبله وكل ما نرى من تقاليد من حمل الأسرة حتى وضعها في مستشفى الهند مما روجه الهنود وتبناها المسلمون فمنها ما هو معروف باسمه القديم وقد تغيرت قليلا فمثلا "تيجا"[١٠] لدى الهنود و"الفاتحة"[١١] أو "جمع الزهور"[١٢] (Phul) لدى المسلمين ولو أن كلمة "زهور" تشترك فيهم لأنها تعني لدى الهنود "رفات الميت المحروق التي تجمع من المحرقة بعد ثلاثة أيام

---

١٠ - تيجا: يوم ثالث من وفاة أحد (الأعظمي)

١١ - "الفاتحة" الدعاء للميت بتلاوة آيات من القرآن. (الأعظمي)

١٢ - "پھول": رماد العظم المحروقة للميت (الأعظمي)

من إحراق الميت" وكذا تقليدا "سنوقسا"[13] و"ترماسا"[14] اللذان يتعلقان بالحامل كانا يشملان المسلمين والهنود جميعا وأما تقليدا "بتي"[15] (Patti) وتشتي[16] (Chutthi) فهما مأخوذان من الهنود وكذلك تقليد "التشوتشاك"[17] (Chuuchak) الذي يدل إسمه على كونه مما مارسه الهنود.

وكذا كان قد عم القبائل المغولية ومسلمي الهند تقليد إزالة شعر المولود لكوالحسب وهنالك كانت تقاليد بتلك المناسبة أخذت من الهنود وكذا تقليد "الميلاد" من الهنود والتقاليد بمناسبة الزيادة في مدة الرضاعة مما جاء من الهنود وهكذا ركب المولود الحجر بمناسبة العقيقة تقليد " هندوسي".

تقليد الزواج:

يقول ميرزا قتيل العارف بتقاليد المسلمين والهندوس:

"إن مسلمي الهند يؤدون بمناسبة زواج أبنائهم وبناتهم تقاليد كلها هندوسية إلا الدوران حول النار فمثلا إلباس الزوجة اللباس الأصفر وطي الحرير الأحمر في المعطف وحمل الزوج سلاحا من حديد حتى

---

13 - سنوقسا: تقليد يتم أداؤه بعد الحمل بسبعة أشهر (الأعظمي)
14 - ترماسا: تقليد يظهر بعد الحمل لتسعة أشهر (الأعظمي)
15 - "بتي" تقليد لطبخ الأوراق بمناسبة الولادة (الأعظمي)
16 - "تشتي": تقليد يأتي بعد وضع الحمل بستة أيام (الأعظمي)
17 - "التشوتشاك": مثل "تشتي" (الأعظمي)

تمام العقد وتبادل أولياء العريس الأشتام وحمل الزواج الحلويات وغيرها إلى بيت الزوجة قبل يوم الزواج مما يختص بالهند وحدها[١٨].

وفي عصرنا هذا تقليد زواج الولد في صغره، الذي يعم الزواج المسلمين في المديريات والأرياف يدل بوضوح على أخذه من الهنود ومثل هذه التقاليد الزوجية قد عمت المجتمع الإسلامي إلى حد لم يشعر المسلمون بأنها غير إسلامية فقد ذكر الشاعر سودا التقاليد الهندية بين تقاليد زواج القاسم ذكرا كأنها قد عمت لدى المسلمين العرب ونذكر على سبيل المثال حمل الزواج الحلويات وغيرها إلى بيت الزوجة والحناء وموكب العرس (Barat) والرقص والغناء والضجة والنسج من الألوان البودرة عند توديع العروس وغيرها وأسباب الجهاز التي يعطيها المسلمون لبناتهم تشابه إلى حد كبير ما يعم في الهند.

نكاح الأيامى:

نكاح الأيم الآخر لم يكن معروفا لدى الهندوس منذ قديم الزمان فقد ذمه مسلمو الهند، يقول الشاه ولي الله الدهلوي:

---

١٨ . ثقافت تمدن از سبحة منظفر، ص ١٢٩

> "من القبيح لتقاليد الهندوس أنهم لا ينكحون الأرملة مرة أخرى على خلاف التقاليد العربية قبل الإسلام وبعده فصاعداً"[١٩]

وذلك أن امرأة إذا مات زوجها منعها أولياءها عن الزواج الثاني وإن فعلت ذلك ذموها ولعنوها فهذا يجبرها على قضاء بقية أيام حياتها في حالة الأرملة.

وقد كان الناس يمارسون هذا التقليد في القرن الثامن عشر المسيحي إلى حد أن الأخت الأيم للشاه اسماعيل الشهيد لم تنكح زوجا غيره وهذا مذموم في عصرنا أيضا ولكم أمثلة متعددة في كتاب "ابنة دلهي" لأحمد علي.

ألعاب التسلية:

لقد جاء المسلمون بألعاب التسلية ولكنهم اختاروا بين القديمة والعينة ألعابا هندية قديمة للتسلي وحتى جعلوها إسلامية بتسميتها أسماء عربية أو فارسية والقيام بإدخال تغييرات قليلة فيها فمثلا اللعب بالطيارة الورقية (Patang Bazi) لقد كان ذلك معروفا لدى المسلمين في عصر المغول وقد كان يرغب فيها المسلمون عامتهم وخاصتهم في القرن الثامن عشر الميلادي فقد ذكرها الأستاذ آنند رام مخلص في مدينة دلهي وهي معروفة في يومنا هذا وتلعب في

---

١٩. وصيت نامه (الوصية) ص ٧٤

دلهي فحسب بل هي كانت معروفة في كل مدينة كبيرة في شمالي الهند فقد ذكر السيد مير حسن علي رغبة مسلمي لكناؤ الخاصة فيها وكذا كانت تجري مباراة للطيارة الورقية في مدينة أغرة(Agra) وذكرها نظير الاكبر ابادي بشيء من التفصيل وكذلك كان أمراء بنغال وأوده والإقطاعيون يهتمون بها إهتماما بالغا.

رقص الأطفال (Bhagat Bazi): أخذ المسلمون هذه اللعبة وهذه المهنة من الهنود وكانوا يكتسبون بها وكان هناك قبيلة في دلهي تسمى هذه الفرقة رئيسها رجل يسمى " نقيا" وقد تطور هذا الفن في لكناؤ تطورا بالغا وكان النواب (الأمير الحاكم) واجد علي شاه راغبا في رقص " رهس "[٢٠] وتكره أماثت في "إندر سبها" وكذا اختار المسلمون لعبة "لعبة خشب"[٢١] (Kath Putli) وسموها " مباراة الليل" وهذه المباراة كانت اكثر المباريات شهرة في عصر المغول وكان في مدينة ليتاوا (Etawah) قبيلة للمسلمين بارعة في فن "المباراة بالليل" ذكر البيروني جماعة المشعوذين فالهندوس كانت مثلها موجودة في المسلمين وقد رغبوا فيها إلى حد أن النسوة كانت يتعلمن هذا الفن وكانت إمرأة تسمى "شيها باتي" قد تضلعت فيها وكذا فرقة "المتنكرين بأزياء الغير" (Bahrupies) ممن جاءوا من الهندوس وكذا كانت في قديم الزمان توجد فرقة "المشعبذين"

---

[٢٠] رهس: نوع من رقص نرتبط هي مع المذكرى التي تلعب معه (الأعظمي)

[٢١] لعبة خشب: نوع من الرقص يصنع فيه الرقص تمثالا من الخشب على ظهره سجبت يظهر منه نصف جسده الأعلى ثم يرقص. (الأعظمي)

(Razigar) بين الهندوس التي خلقت جماعة مثلها في المسلمين وذكر الإمبراطور بابر "السحرة" (Madaries) وكان أصحاب هذه الجماعة يسمون أنفسهم "المسلمين" لمجرد ممارستهم عملية العقيقة وتقاليد الزواج بأيدي الشيخ والقاضي ولم يكن لهم بالإسلام إلا هذا القدر من الصلة وأما التقاليد الأخرى فقد كانت مثل التي مارسوها قبل اعتناقهم الإسلام وألعاب الشطرنج والتشوسر[22] (Chausar) والتشوبر[23] (Chaupar) التي تعودوها في بيوتهم ألعاب هندية قديمة وكان الملوك والأمراء وحتى العامة يرغبون فيها في العصر المغولي لقد وضع بابر بساط الشطرنج على الأرضية وكان يضع الجواري في مواضع قروص الشطرنج وكذا كانت نسوة حريم الملك تلعبن الشطرنج وكانت زيب النساء مولعة بلعبة " التشوسر " وقد أخذ المسلمون غيرها من لعبتي "تشندق منغل"[24] (Mangal (Chandal) و "غنجفه" (Ganjifa)[25] من بلاد الهند.

مباراة الطيور والبهائم:

وكانت لمسلمي الهند في كل عصر هواية وهي عبارة عن إجراء مباريات لمقاتلة الطيور المتنوعة الأقسام ومنها مباريات

٢٢- "تشوسر": لعبة يلعب بها بسبع صدف (الأعظمي)

٢٣- تشوبر: مثل "تشوسر" (الأعظمي)

٢٤- تشندق منغل: لعبة يلعب بها الأطفال بحيث يجلسون على حافة دائرة منكسي رؤوسهم ويدور عليهم ولد يسمى "سارقا" بسوط من الثوب ثم يضعه خلف أحد ويدور فإذا لم يشعر الذي وضع خلفه يضربه به ويسمى ذلك "سارقا" فيفعل هذا حتى تلك وهلم جرا (الأعظمي)

الدجاج والسماني والدراج والبلبل والسلوى والببغاء والقبج والأسد والظبي والفهد والخنزير والنمر والفحل والكبش وغيرها من الطيور والبهائم وقد قال السيد أصغر إنه كان يجتمع عدد من السلاطين قدام القصر في الساعة الرابعة مساء ويملون بهادر شاه بمباراة دجاجهم ولعلها كانت شغلا يوميا وكذا كان عامة الناس في لكناؤ وخاصتها يقضون أوقاتهم في مباراة الطيور والتمتع منها لحصولهم على أموال كثيرة.

ومن أعمال التسلية الأخرى مباراة المنطاد الأرجوحة وسباق عربات الثيران وإثارة البحر وكذا كانت للأطفال ألعاب هندية قحة سميت بأسماء هندية وتناولها السيد إنشاء الله بشيء من التفصيل في كتابه " دريائ لطافت " (بحر اللطافة)[26].

المراكب:

ولما وجد المسلمون أنفسهم في مواجهة تقاليدها اختاروا لركوبهم مراكب غير الإبل والفرس وأضافوا إليها بعض التغييرات والإصلاحات فمثلا إنهم استخدموا الفيل وأنواعا عديدة من المحفة وعربات الخيل والثيران والعرش الملكي ومما يختص بالمسلمين الهنود من المراكب والبهائم وأنواع المحفة وعربة الخيل وعربة

---

٢٥. غنيمة لمحة تمثيلك ٩٣ هنغا (الأعظمي)
٢٦. دريائ لطافة ص ٢١-٢٢

الجمل الكبرى وعربة الثورين وعربة الصاروخ وعربة صغيرة للثورين والبقل والفرس والفحل وغيرها.

العلوم والفنون:

كان في التنجيم الرمل في الهند ذكر حسن لعلوم العرافة والأفلاك فرغب المسلمون فيها وفي عصر السلطان علاء الدين الخلجي هام المسلمون، عامة وخاصة، بالعرافين ويبدو من قول البيرني أن هذا الفن كان معروفا لدى عامة المسلمين في ذلك العصر فلم تكن حارة في دلهي إلا وسكنها منجمون فقد كان الملوك والأمراء يطلبون منهم إعداد طوالع أولادهم وقد كان للعرافين أثر بالغ في حريم السلطان علاء الدين الخلجي. ذكر البرني منجمي ذلك العصر ومن نال منهم صيتا ذائعا ثلاثة رماليين: صدر الدين الموتي والغربي (من أهالي كوئل) ومعين الملك الزبيري وكان قد شغف بها السلطان فيروز شاه تغلق وإنه كان يأخذ المعلومات عن الكواكب من المنجمين النساك والكهنة الدقيقي النظر. درس هذا العلم وتم تأليف عدة كتب في هذا الموضوع بأمره. إنه أوجد اصطرلابا "الأصطرلاب الفيروز شاهي". ظفر بكتاب بالسنسكريتية عن النجوم في معبد جوالا مكهي (Jwala Mukhi) فأمر عز الدين خالد خاني بترجمته وسماه "الدلائل الفيروز شاهية" وكذا أمر بترجمة "بارا هي سنكهتا" لبارا همر. يرى البروفيسور خليق أحمد النظامي أن هذا العلم كان يدرسه الطلاب في مدارس ذلك العصر.

وبقيت هذه الرغبة الزائدة في علم العرافة في عصر المغول فقد كان أكبر مشغوفا به وقد تمت ترجمة كتاب " تاجك" في علم الأفلاك إلى اللغة الفارسية ومن أشهر المنجمين في تلك العصر السيد مير. ويروى أن الإمبراطور أكبر قرر علم العرافة والرمل من المواد الاجبارية في منهاج المدارس.

وقد كان لفن العرافة صيت ذائع في القرنين السابع عشر والثامن عشر وكان العامة والخاصة من الناس يحترمون المنجمين ولا يخوضون في أي مهمات بدون مشورتهم حتى أنهم كانوا يسألونهم عن أوقات الحروب ومواليد الأطفال وممن اشتهروا في بلاط الملك محمد شاه من المنجمين مشير خان وميرزا حسن خان المؤرخ ويبدو من دراسة الأدب في القرن الثامن عشر المسيحي أن عددا كبيرا من المسلمين برع في هذا الفن فمثلا قلندر بخش الجرأة الذي يقال فيه " در علم نجوم هنديان مهارت دارد" ترجمة: " إنه كان بارعا في علم العرافة الهندية". والحكيم مؤمن خان مؤمن فإنه تضلع فيها إلى حد أعجب المنجمين الكبار وغيرهما من المنجمين الذين برعوا عندهم على المائة وقد ردد الملك شاه عالم الثاني بمناسبة هذا المثل " آنچه بود دزد برد وآنچه از دزد باقي ماند رمال كرفت" ترجمة: " كل ما كان ذهب به السارق وأما ما بقي منه فطار به العراف".

وقد برع هؤلاء المسلمون في فن السحر والشعوذة وبالتالي فبدأ عامتهم يؤمنون به ونجد عابداً من عباد القرن الثامن عشر برع في سحر السامري يقال له "تقي"[٣٧].

الإيمان بالأوهام:

كان عامة المسلمين يؤمنون بالأوهام فكانوا يعملون بأنواع منها بمناسبة الزواج وفي يومنا هذا لم تنقطع سلسلتها ونذكر على سبيل المثال وضع علامات من الزيت أو الكلس على الجدران خارج بيت العريس وربط الخيط الأصفر غير المعروف بالدقة وتقاليد أخرى لا تمت إلى الإسلام بصلة وهي مما نشأت في جو هندي قح ومن تلك التقاليد أيضا تبديل اللون من ناصية العريس.

وكذلك كان الناس يطلقون ضفائر من شعر الرأس في اسم شاه مدار أو غازي ميان أو شخصية دينية كبرى فقد اهتم الشاه عالم الثاني بترك ضفيرة على رأس ولد له على اسم الشاه شرف الدين الباني بتي ولحلاقتها زار به مقبرة الشيخ وكذا كانت توضع الأطواق في أعناق الأطفال والسلاسل في أرجلهم وكانوا يؤمنون بالتعاويذ والتمائم وكانت تعبد الآلهة سيتلا بمناسبة مجيء المرض المعدي الجدري وأما نسوة المسلمين فقد ابتعدن عن صيامها باسم

٣٧- روزنامچه شاه عالم (يوميات شاه عالم) ج ١، ص ٢٦٨ (ب)

شخصية بارزة كما تفعله النسوة الهندوسية وسميتها بأسماء إسلامية ولكن يحتفين بمناسبتها علنية خاصة.

ولعل الهنود يؤمنون بالأرواح الخبيثة أكثر من شعب أي بلد آخر. فقد قال صاحب " نصيحة المسلمين" حضور السيد عباس وصحن السيدة فاطمة و الجندي عشر للشيخ عبد القادر الجيلاني و الحبيبة لشاه مدار وطحين الحمص لأبي علي قلندر و عريس الشاه عبد الحق لمجرد قضائه حاجته ثم العناية بالدعوة وفاتحة السيد عباس علي بمجرد الكباب والخبز الأحمر أعلاه (Roghani) وفاتحة الشاه عبد الحق علي بمجرد الكباب الشامي و القرص المقلي و الحلوى وفي يوم خاص معد ابتدعته الهند وكذا التكميع و وضع الماء مع الطعام وحتى غليون التدخين و الأفيون. هذا كله يأتي تحت تلك البدع و الخرافات"[٤٨]

وهكذا كانوا يفرضون الفاتحة على أسماء سبع نسوة ورجال مثلهن فكانت النسوة يعتقدن أن كلا منهم يحل في امرأة وأسماء الرجال هكذا: الشيخ سدو وزين خان ونهي خان وصدر جهان وجهان تن و الشاه دريا و الشاه سكندر وأسماء النسوة: لال پري (الحورية الحمراء) وسياه پري (الحورية السوداء) وزرد پري (الحورية الصفراء) وآسمان پري (حورية السماء) ودريا پري (حورية البحر) ونور پري (حورية النور).

تغير الطريق:

وكان المسلمون لا يرجعون من نفس الطريق الذي يذهبون فيه إلى قصد.

قصة السيدة:

وكما كانت تقص قصة ساتيا نارائنة (Satya Narayana) في الهندوس بمناسبة المسرات والأفراح فكذلك جعل المسلمون يستمعون إلى قصة السيدة نذرة لهم ومن العجيب جداً أن بعض أجزاء قصة ساتيا نارائنة تشبه أجزاء من قصة السيدة.

وكان يعم بلاط المغول ألا يقدم النذر إلى الملك إلا وهو وتر مثل ٥١ أو ١٠١ وهذا التقليد يبقى بين المسلمين بمناسبة الزواج فالنقود التي تتحف للعريس عند تعارفه على الأقرباء والأصدقاء الحميمين لأول مرة، فيكون المبلغ وتراً ولا شفعاً، وهذا التقليد مأخوذ من التقاليد الهندوسية.

نذر العصا على المقابر:

ولم يزل يبقى الهندوس منذ مدة بعيدة أنهم كانوا يستعدون للاحتفال السنوي في المعابد الهندوسية وكان يزورها الزوار من مناطق بعيدة حاملين بأيديهم العصي فاختاره المسلمون بتصرفه

---

٢٨. نصيحة المسلمين ص ٢٣ و ٤٤-٤٦

وبدأوا يزورون مقابر الشيوخ في موسم العرس حاملين الأعلام والرماح وقد ذكر السيد رأي تشترمن (Rae Charraman) وغيره من الكتاب هذه الأعلام والرماح التي كانت تجو وتمر من مدينة دلهي فمثلا عصا الخواجة معين الدين الجشتي الأجميري وعصا غازي ميان وعصا شاه مدار وعصا سخي سرور وغيرهم.

وكان المسلمون خلال زيارة مقابر الشيوخ يمارسون تقاليد لعلها كانت مأخوذة من الهندوس لأنهم كانوا يقدمون النذور التي الإلهات في المعابد الهندوسية وكانت للفاتحة والنذر أطعمة خاصة بها فكما قال الشاه إسماعيل الشهيد " والهدف لطرق هذه الأطعمة ليس إلا مشابهة الهندوس لأنهم كثيرا ما يعبدون البذور والغلات والأطعمة وكذا توجيه القيود إلى الأكلة فالإذن لبعضهم بينما بعضهم الآخر منع عنها وقد وصل تقليد النذر من المواد الغذائية إلى البهائم".

وقد انتشرت عبادة القبور في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر إنتشارا لم تترك مقبرة إلا وقد زارها المسلمون ونذروا لها النذور وقدموا إليها الهدايا فأعطيت زيارة القبور مكانة حج كعبة الله الحرام فكانت المساجد خرابا بينما المقابر معمورة فكل عام كانت تقام المواسم بمناسبة العرس ويزورها المسلمون من قريب وبعيد وقد شملهم البؤس إلى حد اضطر الشاه ولي الله أن يقول للمسلمين "إنكم تحجون مقابر السيد مدار والسيد سالار. إن ذلك من أقبح

إهمالكم وأسواقها" فالقرون الوسطى لاسيما القرن الثامن عشر كان عصر عبادة القبور وكان الإسلام قد فقد وجهه الأصلي تحت غمام الثقافة الهندية فلم يبق إلا الصلوة والصيام اللذان يميزان المسلمين عن غيرهم.

وكذا كان المسلمون يتبعون تقاليد الكسوف والخسوف فقد قال حسن علي " إن الهندوس والمسلمين -- على حد سواء -- كانوا يعملون في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر بالتقاليد المعروفة بمناسبة الكسوف".

عبادة الأصنام:

ونلفي لدى بعض طبقات مسلمي الهند ميلا إلى عبادة الأصنام وإنها كانت تعبد ما كان يعبده الهنود من الآلهة والإلهات وتنذر وتذبح فيها الهنود وهذا يتضح من قول لسبحان رائ بندري (Subhan Rae Bhandari) جاء فيه "كان هناك معبد هندوكي لبوانى (Bhawani) تحت قلعة كانغره (Kangharah) وكان يزورها الناس من جميع مناطق الهند بما فيهم المسلمون الذين يؤمنون بتوحيد الإله لا بتنويعه فهو يقول:

"وصرفا عن الهنود الذين يعبدون الأصنام فيأتي المسلمون قاطعين مسافة بعيدة وينذرون وتتحقق أمانيهم بحكمة الله ومصلحته"[29].

وكذا كانت النسوة المسلمات في بنجال (Bengal) تعبد يوكي وهكذا كان يعبد الهندوس والمسلمون – على سواء – ست بير (Sat Peer)

ليلة البراءة:

ويوجد ذكر تفصيل تقاليد ليلة البراءة في كتب الشاه ولي الله والشاه إسماعيل الشهيد والسيد أحمد البريلوي فتشابه تقاليد كناكتهم (Kanagat) – على حد قولهم – تقاليد ليلة البراءة وتضاف إليها تقاليد أخرى وكذا تقاليد يوم الأربعاء وشهري رجب وشعبان برزت إلى حيز الوجود إتباعا لتقاليد الهندوس.

أثر التصوف على الهند

تأثر التصوف الإسلامي بالتصوف الهندي في إيران لاسيما صوفية الخراسان تأثروا بتعاليم بوذا وترجم الصوفي مير أبو القاسم الفندرسكي في القرن الحادي عشر المسيحي كتاب "يوغا" للهندوس إلى الفارسية لأن فيه دراسة مشعبة وتصورا كاملا على أعمال

٢٩ . خلاصة التواريخ ص ٢٤٧ ونصه الفارسي هكذا: "قطع نظر هنود كه بت پرستي نمي ايند است گروها گروه مسلمين مسافت بعيد طي كرده نذورات مي آرند

والشغل وطرق وجهود الفقراء التاركي الدنيا لبلاد الهند ثم كتب له شرحا ويرى السيد سعيد النفيسي أن أصول تصوف إيران لم تزل مدفونة في الهند ولذلك فتبقى السلاسل الصوفية أمثال الجشتية والسهروردية والقادرية والنقشبندية في عصرنا هذا حتى أنها معروفة جدا في الهنود لا سيما اليوغيين فلم يطور المسلمون التصوف في هذه البلاد فحسب بل الهنود أيضا لعبوا دورا فعالا في هذا المجال"[٣].

يرى توزي ودان كريمر المستشرقين أن التصوف مأخوذ من فلسفة "فيدانتا" (Vedanta) وإلى هذا ذهب البروفيسور حبيب بأن التصوف قد تسرب إلى فكرة الإنسان قبل ظهور الإسلام بسنوات وإنه قد قيل داراشكوه أن أول شرح موثوق به يوجد في الأرض هو رسائل "أبنيشاد" (Upnishad) وهذا القول قد ذكره داراشكوه في كتابه "مجمع البحرين" بعد ما بذل جهودا مرهقة في البحث عنه.

واعترف غيرهم من الكتاب بأثر "فيدانتا" في التصوف فيقول البروفيسور خليق أحمد النظامي:

> "لما وصلت حركة التصوف إلى آسيا الوسطى فكان من الضروري أن تقبل بعض الآثار من البوذية فقد كتب الشيخ علي الهجويري عن بعض مجموعات

---

* [illegible]

الصوفية. إقرأ وتفكر فسوف تجد أثرا كبيرا للبوذية في هذه المجموعات من الصوفية ولما وصلت هذه الحركة إلى الهند فكان طبيعيا أن تتجذب إليها أصول الدين القديمة التي لا تخالف أساسياتها وقد درس عن هذا الجانب الشاه محمد غوث الغوالياري والشطاري في كتابه "بحر الحياة" ودارا شكوه في كتابه "مجمع البحرين" التصوف الإسلامي والفلسفة الهندوسية[٣٠].

١ - فلسفة الاصطلاح مع الجميع : هذه الفلسفة في التصوف الإسلامي فهي مأخوذة من البوذية. قال حافظ الشيرازي:[٣١]

حافظا گر وصل خواهي صلح كن با خاص و عام

با مسلمان الله الله با برهمن رام رام

ترجمة: أيا حافظ: ان أردت إيجاد الاخوة مع آخرين من الناس (المنتمين الى مختلف الديانات) فينبغي لك ان تصطلح معهم جميعا وان تقول الله الله مع المسلم كما تقول رام رام مع البرهمن.

وفي ذلك يرى داس غوبتا (Das Gupta) أن تصور المصالحة مع الجميع في التصوف الهندي في أواخر القرنين السابع

---

٣٠ - سر چشمة تصوف در ايران (مأخذ التصوف في إيران) ص ٤٠١، ٤٠٤

٣١ - تاريخ مشائخ چشت (تذكرة مشائخ الجشتية) ص ٢٢، ٢٣

عشر والثامن عشر قد أخذ بدون مباشرة من عقائد كتاب "مهايان بوذا" بدلا من عقيدة المراقبة للنفس.

٢- ترك الدنيا: يرى المؤرخون أن فضيل بن عياض وإبراهيم بن أدهم البلخي أخذا تصور ترك الدنيا من البوذية فالذي نجد من التشابه بين بوذا وإبراهيم بن أدهم في ترك الإمارة. يقول عنه غولدزيهر "إن تصور ترك الدنيا في عقائد الصوفية مأخوذ من البوذية."

٣- المماثلة بين أصول التصوف الإسلامي والتصوف الهندي.

(ألف) تصور الفناء: وتوجد المشابهة بين تصور الفناء الإسلامي وتصور النجاة للبوذية فتصور الفناء الإسلامي يبدأ من بايزيد البسطامي. قال سعيد النفيسي "وأين همه أصول معروف نروانه در تعليمات بوداي است كه نتيجة أن فناست".

ترجمة: وكل ما نجد في البوذية من أصول النجاة تفضي إلى الفناء"

(ب) فلسفة وحدة الوجود: والذي أدخل فلسفة وحدة الوجود في التصوف الإسلامي هو ابن العربي ولكن البرونيقسورحبيتب يقول: أول من علم فلسفة وحدة الوجود هي رسائل "البتيشاد"[٣١].

(ج) تصور المعرفة: ويبدو مما حققه البيروني أن ما تشير إليه أقوال الصوفية عن منزلة المعرفة يشابه ما تلفظه الهنود عنها[٣٢] ويوجد في اللائحة الخامسة والعشرين لكتاب عبدالرحمن جامي "اللوائح" وهو تلخيص لتعاليم الصوفية، قول ينطبق على تصور النجاة للبوذية.

(د) وتوجد مشابهة - على حد قول غولدزيهر - بين طريقة المراقبة للتصوف وطريقة التفكير للبوذية.

(هـ) الحلقة الدائمة للشيخ (Khanqah): يقول غولدزيهر إن هذه الحلقة مأخوذة من البوذية.

(و) حبس النفس: أخذ هذا التصور من "يوغا بردشام" إحدى عمليات اليوغية وقد ألقى دارا شكوه ضوءاً كاملاً على ذلك في كتابه "رسائل حق نما" (الرسالة الهادية إلى الواقع) وقد أخذه دارا شكوه من الشيخ الشاه بدخشي وكان الخواجه الأجميري أيضاً يعمل

---

٣١ - نفس المصدر ص ٢١
٣٢ - كتاب الهند ص ٨٠

وقد كتب بختاور خان خوشگو عن أمير الأمراء خان دوران خان (القرن الثامن عشر المسيحي):

"وي در فن جوك اشغال باطن حبس دم خود را
بغاية كمال رسانيده بود چنانچه كما لات وي در فن او
بحساب بودند"[٣].

ترجمة: إنه بلغ غايته في حبس النفس، إحدى عمليات المراقبة الباطنية ولذلك فقد فاق البارعين في هذا الفن".

وهذا معروف في السلاسل النقشبندية والقادرية والشطارية.

(ز) يرى السيد عزيز أحمد أن وجهة نظر تصور الشيخ النقشبندية مأخوذة من البوذية والواقع أن مصدرها تصور التفكير للعهد الفيدي وقد عد نظر جنن جانان تصور الشيخ مماثلاً للوثنية والفرق بينهما ليس إلا أن الصوفية الكبار لم يتصورون صورة مرشدهم ويستفيدون منه ولا ينحتون له صنماً.

(ح) اللباس الوردي الفاقع: يروى أن تلامذة بوذا كانوا يلبسون اللباس الوردي الفاقع ثم تعين هذا للرهبان ولما التاركو الدنيا من الفقراء والأمراء فقد اختاروا ذلك ثم أخذ الصوفية لاسيما صوفية الجشتية وحتى في يومنا هذا نجد فيهم نكلبة وضع العمامة ذات اللون الوردي الفاقع وكشاه عبد الرزاق الباانسوي مع كونه في

القادرية، كان يضع على رأسه العمامة الوردية الفاقعة وكان رداءه ومنديله أيضا من هذا اللون[٣٤].

(ط) الرهبنة المتعبة- هذا أيضا ما جاء به المتأثرون الهنود فيقال عن الخواجة محمد الجشتي " در خانه خويش چاهي داشت درآن چاهي خود را سرنگون آويخته خداى تعالى را عبادت كردى" ترجمة: كان في بيته بئر يعلق فيه منكوسا ويعبد الله" والحال أن الرهبانية لا تجوز في الدين القيم الإسلام[٣٥]

(ي) ولقد تركت مراقبة المرتاضين اليونية على المستوى الأعلى والتجريد العقلي أثرا بالغا على التصوف الإسلامي ومن خصائص صوفية الهند أنهم كانوا قد أخذوا التعاليم الخلقية من أساطير الديانة الهندية وأقواله المتصوفة لتعميم " الطريقة" (Tareeqat) لأن مسلمي الهند كانوا قد أنسوا إلى القصص الهندية أكثر مما تأثروا بالإسلامية وكان سهلا لهم فهم الرموز الروحية عن هذا الطريق فقد استخدم الشيخ بنده نواز كيسودراز قصص الهندوس المزعومة لتعليمهم الأخلاق ونرى أن هناك أثرا كبيرا بين صوفية الإسلام اليونية وفلسفة ترك الدنيا والرياضة والتجول في الغابات فقد يحدث الشيخ شرف الدين يحيى منيري طويلا عن موضع

٣٤- سفينة خوشگو (سفينة خوشگو) ص ٢٢١
٣٥ - ملفوظ رزاقي ص ٧٢
٣٦- القول الجميل ص ٦٦

على شاطئ شلال بمكده (Magadha) للتطور الروحي، بعده الهندوس والبوذيون معظما لهم وهو معروف الآن بـ" مخدوم كند" (حوض مخدوم) وتوجد لدى الفرق غير الشرعية عناصر لأنشطة التاركين من فقراء الهندوس وأغنيائهم وقد أخذت السلسلة الشطارية العناصر الهندوكية من المراقبة ولاسيما الطرق الأخرى للتصوف الهندوسي فقد كان بعض شيوخها مثل الفقراء التاركي الدنيا في الكهوف والغابات وكانوا لا يأكلون إلا قليلا وفي الغالب يقضون أيامهم معتمدين على الفواكه أو أوراق الشجر ويعملون برياضات مرهقة وكان يجوز فيها ممارسة الأشغال بأية لغة هندية كانت أو عربية أو فارسية ومنها مصطلحات أخذتها مباشرة من التصوف الهندوسي فمثلا "أو هي هي" (Oo Hay Hay) تبدو فيها لمحات لأركان عبادة رسائل "أبنيشاد" وكان من عملياتها البدنية مجلس الفقراء التاركي الدنيا وحرفتهم. يوجد تفصيل أنشطة وأشغال المراقبين في كتاب "بحر الحياة".

وكان صوفية الجشتية يلبسون القبعات فقد كان يلبسها البابا فريد وكان الذي يعطي الخلافة يسلمها مع الأسباب الأخرى.

وقد نشأت فرق غير شرعية بين المسلمين طبقا للفقراء التاركي الدنيا من الهندوس مثلا جماعة المشعوذين فإنهم كانوا يطوفون عريانا ويمسحون جلودهم بالرماد ويجلسون عند النار ويعلقون الضفائر على رؤوسهم ويزينون أنفسهم بالسلاسل

ويمشون متجردين ويتحاشون -- في الغالب – من أكل اللحم ويشربون البنج كما نرى لدى الفقراء التاركي الدنيا وأما أصحاب الفرقة العباسية فإنهم سكنوا السند. إنهم كانوا قد تأثروا بتعاليم السيخ. كانوا يحذرون من إستخدام الموسيقى والفرقة الملتفية (Malangi) يرأسها مخدوم جهان غشت. إنهم كانوا يشربون البنج والأفيون ويربطون الثيابين أو يمشون عريانا ويطلقون الضفائر على رؤوسهم وأصحاب الفرقة الرسول شاهية كانوا يمسحون جلودهم بالرماد ويحلقون اللحواجب والشوارب والرؤوس ويكثرون شرب الخمر والبنج.

وبالجملة فالتصوف الإسلامي أو الهندي تأثر بالعقائد الهندية كثيرا وتشابه الأقوال والأفعال والأوضاع وطرق الصوفية – على حد كبير – عناصر الثقافة الهندية والتصوف الهندوسي.

الموسيقى والغناء الجماعي:

حرم الإسلام الإستماع إلى الغناء الجماعي (Sangeet) بالمعزف ولكن سلاطين دلهي والملوك المغولية أشرفوا في الهند على الموسيقى والمغنين إشرافا بالغا فلقي فن الموسيقى تطورا واضحا في عهد السلطان علاؤ الدين الخلجي. ذكر البرني بالتفصيل عازفي ومغني هذا العهد. كان معظمهم مسلمين وقد تم في عصر فيروز شاه تغلق تأليف الكتابين على هذا الموضوع. أولهما: "أغنية

الهندية" ذكر فيه الغناء الاجتماعي الهندي والثاني "فريد الزمان في معرفة الألحان" ترجم إلى اللغة الفارسية ويبدو من إشادة أمير خسرو بالغناء الاجتماعي الهندي أنه أول مسلم هندي برع في الموسيقى الهندية. صنف في عصر سكندر اللودي كتاب على فن الموسيقى إسمه "اللهجات السكندرية".

وقام الإمبراطور أكبر خلال قيامه بخلق المعايشة بين الهندوس والمسلمين، بإيجاد المشابهة في فن الموسيقى وتعرف على من اشتهر من مغني الهند باستخدامهم في بلاطه وذكر أبو الفضل بالتفصيل في الموسيقى والرقص الهنديين والإمبراطور شاهجهان نفسه كان يرقص جيداً وذاع صيت أكبر لبراعته في العزف على العود الهندي والملك أورنغ زيب كان يرغب في الرقص والتطريب قبل توليه الحكومة وبعده بإحدى عشرة سنة قبله وزن خوشحال خان بالفلوس وأعطاه إياها كجائزة.

ونشأ في القرن الثامن عشر جماعة من العازفين والراقصين المسلمين، ذكرا وأنثى، برعت في استخدام المعزف والرقص الهندي فذكر شاكر خان فهرساً طويلاً لمطربي المغول يوجد ذكر مفصل في كتاب "مرقع دلهي" للمغنيين والراقصين المسلمين فكانت أسماؤهم هندية أيضاً مثلاً عنقا وكالي غنغا وسرس روب وتميلا سروب وجمني وغيرهم.

ولما استقرت الحكومة المستقلة في لكناؤ إعتنى الأمراء الحكام في أوده بفن الموسيقى والعزافين والمغنين إعتناء بالغا وبرع عدد كبير من المسلمين في الموسيقى الهندية فيعتبر القرن الثامن عشر عهدا ذهبيا في تطور فن الموسيقى الهندية فقد نشأ في هذا العهد عدد لا يحصى من العزافين والمغنيين من المسلمين،طوروا هذا الفن فكان هناك سوى العزافين والمغنيين المهنيين من برع في الفن فكان محمد محسن الندوي وقلندر بخش جرأة يضربان نوعا من الطنبورة (Setar) ضربا جيدا وكذا برع ففي الموسيقى الهندية مير سوز ومير عبد الله والحكيم بناه خان بناه وعبد الرزاق بيهوش وميرزا صادق علي ميرزا ومحمد رفيع سودا والحافظ غلام أشرف وهذا الحافظ قد أوجد معزفا جديدة سماه "سندربين" وكذلك كان الحافظ غلام محمد سرخوش يضرب نوعا من الطنبورة والقيثار جيدا ويغني نغمتي "بتة" (Patta) و"خيال" جيدا وقد برع قزلباش خان أميد،على أنه فارسي، في فن الموسيقى الهندية ومولوي حيدر علي خان السنديلوي كان ماهرا في أداء النغم "بيروي" (Bhairvi) و"بساس" (Bhahras) و "توري" (Tori) و"أساوري" و"بلاتل" و"الهيا" و"تيو غيري" و"خيال" وغيرها من الأنغام الهندية وكذلك قال مير عبد الجليل البلغرامي مسدسا (قصيدة تتكون كل قطعة منها من ستة مصاريع) في مدح بلغرام، استخدم فيه مبادئ كثيرة

الموسيقى[٣٢] وكذا لدى أنغام الموسيقى الهندية باللغة الفارسية في مسدس قاله في زواج الملك فرخ سير مع ابنة أجيت سنغ ومير غلام بن البلغرامي كان بارعا في أداء الأنغام الهندية وضرب المعزف الهندية كذلك وقام السيد نظام الدين مدهنايك بتأليف كتابين في فن الموسيقى الهندي أحدهما "ناد وتسنكا" و الثاني " مدهنايك سنغار " وكان نروشن ضمير أستاذية في الموسيقى الهندية وكتب رسالة في هذا الفن وقد ترجم كتاب هوبل "پارجاتك" من السنسكريتية الكلاسيكية إلى اللغة الفارسية وكان عمدة الملك أمير خان أنجم ماهرا في فن الموسيقى وضرب الطبل وهناك أعلام مسلمون آخر برعوا في فن الموسيقى ونما في القرن التاسع عشر فقد ذاع فيه أيضا صيت المهرة في الموسيقى الهندية. أفرد سر سيد أحمد خان بابا في كتابه "آثار الصناديد" بأسماء الماهرين في الموسيقى.

وقد رغب الصوفية لاسيما أصحاب السلسلة الجشتية في الموسيقى رغبة زائدة ونذكر بعضهم فمنهم مسيح الجشتي برع الخواجه مير درد فيها وكذا الشيخ بهاء الدين البرناوي خاتم التاركين الذي قد كلف بها وقرض شعرا في أنغام "جكري" و"خيال" و"تشتلة" و"ترانة" و"قول" و"سادرة" و"هوري" و"بشن پد" وغيرها. أوجد معزفي "خيال" و"كتهرس" (Kathoras).

٣٢ ـ نسخة الفارسي مكتبة " آكثر قواعد موسيقي ضبط نموده" (الأعظمي)

احتل الشيخ عطاء الله المعروف بالشيخ رتن المكانة العليا في فن الموسيقى.

قد لعب الصوفية دورا بارزا في تنقيح وتطوير فن الموسيقى فكما إنهم كانوا مولعين بالموسيقى الفارسية ونغمتي "القول" و"ترانه" فكذلك لم تخل حلقاتهم من الموسيقى الهندية. ودنوا أن يستمعوا إلى الأنغام في اللغة السنسكريتية. برع الشيخ بهاؤ الدين زكريا الملتاني في هذا الفن فنغمة "ملتاني دهناسري" مما أوجده هو نفسه. وكذا الشيخ سعد الله غلشن رغب في الموسيقى. ألف في هذا كتبا عدة طارت بها العنقاء.

الكتب :

وقد برع المسلمون في فن الموسيقى الهندية إلى حد صنفوا عددا من الكتب فيها ونورد فيما يلي تفصيل عنها:

١- غنية المنية: تم تأليفه على نهج الكتب الهندية وأساسها.

٢- اللهجات السكندرية: استفاد في تأليفه عمر بن يحيى من "سنغيت رتناكر" و"سنغيت ملتك" و"نرت سنغره" و"الوبرت" (Ubharat) و"سنغي ندهي" و"سنغيت ساميا" و"سنغيت تشنكرو".

٣- كنز التحف.

٤- أفرد أبو الفضل بابا في كتاب "آيين أكبري" (القانون الأكبري) بالموسيقى الهندية.

٥- بار جاتك: ترجمة كتاب هوبل بقلم روشن ضمير يقول صاحب "مرآة الخيال" إن روشن ضمير صنف باللغات العربية والفارسية والهندية كتبا أخرى ذهب بها الدهر.

٦- كتب صيف خان رسالة في موضوع النغمة سماها " راغ دربن".

٧- راغ دربن: ترجمة وشرح "متن كتوهل" بقلم أمير فقير الله خان.

٨- مفتاح السرور: صنفه القاضي حسن بن خواجه طاهر.

٩- معرفة النغم: كتبه أبو الحسن قيصر.

١٠- شمس الأصوات: ترجمة رلس برس لكتاب في الغناء الاجتماعي الهندي.

١١- أصول نغمات الآصفية : صنف بالفارسية في عهد النواب آصف الدولة.

١٢- تحفة الهند: كتب الشيخ ميرزا خان في عصر أكبر الثاني بعون من علماء الهندوس وأصحاب السنسكريتية. جمع عددا من الفنون فناقش علم النجوم (Jotish) و"الفراسة" (Samudrik) و"الصوت الحلو" (Kook) و"الحبيب للنساء" (Naika Bhaid) و"سحر الإله للبشر" (Indr Jal) وغيرها من الموضوعات وفيه ذكر الموسيقي.

١٣- تذكرة مشاهير عالم: تم تصنيفه في ١٨٠٤م. فيه ذكر مفصل للمغنيين المسلمين الهنود.

وخدمة المسلمين لا تنحصر في الزمن الماضي بل نجدهم في هذه الأيام جنبا إلى جنب أخوتهم الهنود في البراعة في هذا الفن ويقدمون الخدمة الجليلة من أجل ذلك.

ورقة التنبول واستخدام الشيشة:

رغبة المسلمين في التمتع بورقة التنبول والشيشة مما أعطاهم الهند لأن ورقة التنبول لا توجد في أي بلد آخر غير الهند وقد مدحها أمير خسرو بقصيدة الفنان. عادة استخدام شيشة التدخين والتمتع من ورقة التنبول من العادات الموجودة في كل طبقة من طبقات المسلمين.

الملابس والحلي ولوازمات الزينة:

ونظرا لبيئة هذه البلاد كان إختار المسلمون قبل عهد الملك أكبر، ألبسة الهنود بتصريف قليل وأما أهلها فلم يزالوا لابسين أزيائهم بعد إعتناقهم الإسلام فقد ذكر أبو الفضل في كتاب "آئين أكبري" ألبسة نسوة الهنود خلال القول عن طرق الزينة ونذكر بعضا منها على سبيل المثال فهي القصيرة للثديين (Angia) والتورة الطويلة و"نوع من الأقراط" (Chandiay) و"الخمار" والجلباب" و"القميص بلا كم" (Kurta) والقميص. تقول جميلة برج بوشن (Bhooshan).

"كانت نسوة المسلمين يلبسن الألبسة الإيرانية حتى عصر الإمبراطور أكبر ولما تولى الحكومة إخترن أزياء راجبوت (Rajpoot) وهذا لا يتحقق ما لم تقم عمامة الملوك والحكام المسلمين مقام خمر نسوة راجبوت ويذهب رداءها مذهب اللثام والقناع فقد راج منذ في راجستان من القصيرة للثديين والقناع والسروال الواسع ذيله (Gbagra) في حريم الملك في القرن السابع عشر بعد تغييرات في صنعتها وشكلها".

وتدل على كونها هندية أسماءها أمثال القميص والقميص بلاكم والخمار والصديرته للثديين والسروال الواسع الذيل والساري (Saree) والتنورة التحتانية وغيرها.

وقد راجت بين النسوة المسلمات الهندية نحو ١٥٠ حلية التي هي هندية ولم تتغير أسماءها إلى الآن وسمي بعضها بالأسماء الفارسية كمثل " اربسي " (Arabsi) كلمة هندية تعني " القلب" وهي تتعلق في صدر النسوة أو الخاتم[38] وغيرهما وليس هنا مجال لذكر هذه الحلي تفصيليا.

الزينة:

تهتم النساء ويملن إلى الزينة أكثر من الرجال وقد ذكر ملك محمد الجائسي في كتابه "بدماوت" (Padmawat) أساليب زينة النسوة الهندوسيات وواجباتها كما ذكر أبو الفضل ست عشر طريقة لزينة نسوة الهندوس فقد كانت النسوة المسلمات أخذن طرق الزينة من النسوة الهندوسيات ولذلك فأسماءها هندية وتوجد أمثلة عديدة لها باللغة الأردية أمثال (Teeka) (حلية الناصية) "Ubtan" (معجون التطهير) و "Argaja" (العطر) و " Kajal" (الكحل) و "Ghazah" (المعجون الأحمر للوجنتين) و "Missi" (معجون الزينة) و "Pan" (ورقة التنبول) وغيرها وكانت تمشط الأشعار بأسلوب جميل

---

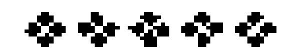
٣٨. ويسمى باللغة الأردية " انكوتهي" يعني ذا الإبهام. (الأعظمي)

الضفيرة وجمع الأشعار وربطها خلف الرأس وكانت ترتيب الأشعار بالمشط وكان الحناء من علامات أول ليلة الجماع.

الخلفية الاجتماعية الأردية:

وقد أوجد تعامل الفارسية والعربية مع اللغات المحلية للهند لغة سميت بادئ ذي بدء "ريختة" (Rekhta) ثم "الأردية" وفي أول الأمر كانت هذه اللغة تستخدم للتحدث اليومي ولكن سرعان ما أصبحت لغة وطنية وأدبية ولو درسنا كلام فحول الشعراء المسلمين بغور لوجدنا أنه متأثر باللغات المحلية ولو لم تجد بيئة هندية لما وسع نطاقها باعتبارها مشتملة على مختلف الموضوعات ولما تمكنت مكان لغة تعم بلاد الهند كلها كلاماً وفهماً فنعتبر الآداب الأردية ولاسيما كلام الشعراء المسلمين صورة للثقافة الهندية وعقائدها وتقاليدها وأساطيرها ومواسمها المتعددة فلو نسخناه باللغة الهندية لصعب لنا تعيين ديانة الشاعر هندوكي هذا أم مسلم لأن فيه ذكرا للكنج وجمنا بدلا من الفرات ودجلة وتفصيلا للفصول والألبسة والحلي والمواسم الهندية دون الطيور والوحوش والفصول والحشيات والألبسة والحلي والزينات ومشاغل الشعب الفارسية فالثقافة التي ذكرها هؤلاء الشعراء المسلمون قد صارت ثقافتهم التي اصطبغت بصبغة الهند إلى حد صعب للناظر التمييز بين ما هو إسلامي وما هو هندوكي.

هذا ولو لا كراهة التطويل وضيق صفحات المقال لسردت الكلام حول هذا الموضوع إلا ألا نبالغ إذا نقول إن معظم أجزاء ثقافة مسلمي الهند مشتمل على عناصر ثقافة الهند التي إختاروها متأثرين بما كان حولهم ولو درسنا بغور عميق تقاليد وأوهام وحياة عامة المسلمين في العصر الحديث لا سيما الذين يسكنون في المدن والأرياف لا تضح لنا مدى تأثير حضارة الهند المحلية عليهم.



القضايا الاجتماعية في روايات بريم تشاند

د. مجيب الرحمن*

سطع نجم كبير في سماء الأدب الهندي وبالأخص الأدب الأردي والهندوي في النصف الأول من القرن العشرين وبهر العيون ببريق أدبه العظيم في الرواية والقصة. وليس هذا النجم إلا "نواب راي" أو " دهنبت راي" المعروف في عالم الأدب الهندي بـ "بريم تشاند" (١٨٨٠-١٩٣٦) الذي يرجع إليه الفضل في ترسيخ الواقعية الاجتماعية في الرواية الأردية والهندوية وإبراز قضايا الفلاحين والكادحين والطبقات المستضعفة والمهمشة من المجتمع الهندي في شمال الهند من خلال رواياته وقصصه الكثيرة في بناء فني محكم وحساسية بالغة وتعاطف عظيم مع الإنسانية. ولا

---

* - أستاذ مساعد مركز الدراسات العربية والإفريقية جامعة جواهر لال نهرو

نبالغ إذا قلنا إن بريم تشاند بإيجابياته وميزاته الأدبية الكثيرة يجدر بأن يعتبر من بين الأدباء العالميين الكبار في القرن العشرين. وأما في الهند، فإنه يحتل مركز الصدارة في قائمة الروائيين الهنود بجدارة واستحقاق.

إن تاريخ الأدب القصصي لأية لغة يرتبط بالعهود والعوامل المختلفة لتاريخه الاجتماعي ولذلك اعتبر أرسطو الأدب الإبداعي عكسا حقيقيا صادقا لتاريخ ذلك العصر أكثر من التاريخ (١). وإذا نظرنا إلى الإنتاجات الروائية لبريم تشاند من هذا المنظور، وجدنا أن رواياته تعطي صورا بانورامية حية وواقعية عن الجوانب الاجتماعية والسياسية والاقتصادية للهند في مطلع القرن العشرين. وبما أن الهند كانت تمر بمرحلة حاسمة من تاريخها: تاريخ التحولات الاجتماعية والانقلابات السياسية، فكان على الأديب الواقعي أن يسبر أغوار العوامل الفعالة في عملية التحول، ويصل إلى كنه المقومات التي تقوم عليها الأنظمة السياسية والاقتصادية والاجتماعية. وفعلا قد وصل بريم تشاند إلى أغوار المجتمع الهندي، بدراسته للنظام الاجتماعي في الهند، وتحليل أسسه وقوائمه، وتوصل بدون جهد إلى أن النظام الاجتماعي في الهند الذي يتوزع في طبقات، قائم على استغلال الطبقات الكادحة التي تشكل الغالبية العظمى وتسكن في القرى والأرياف. ومن هنا بدأ رحلته الأدبية في الرواية والقصة، وأخرج في ضمنها روايات

كثيرة مستمدة من واقع المجتمع الهندي بشتى مسائله وقضاياه، وبذلك اكتسب لنفسه مكانة شامخة في الأدب الهندي الحديث.

وتستغرق رحلته الإبداعية في الرواية زهاء ثلاثة عقود ابتداءً من "أسرار معابد" في عام ١٩٠٥ إلى "گئودان" في عام ١٩٣٦، عرض خلالها القضايا الاجتماعية والسياسية الهامة في المجتمع الهندي في شمال الهند. وقد انصب اهتمامه على النظام الاقتصادي الريفي الذي له تقاليده ومشاكله وانحطاطه، حيث يسود الاستغلال والاستبداد، وحيث توجد تمييزات وفوارق طبقية خطيرة. لقد شاهد بريم تشاند الحياة الريفية أمام عينيه فأدرك مدى بؤسها وشقائها وحرمانها، كما شاهد حياة المدينة وضجيجها وتأثير الثقافة الغربية عليها، ولكنه مال إلى الحياة الريفية واختار الريف مسرحاً لأحداث رواياته، ليصور آلامه وآماله وليكون جندياً في الحرب على النظم الاقتصادية والاجتماعية السائدة في الريف وليساهم بدوره في تحسين أوضاع الفلاحين والفقراء والمنبوذين ويمثل أصواتهم التي ظلت غير مسموعة منذ القرون والأجيال.

إن الخيوط البارزة لنسيج الموضوعات في روايات بريم تشاند خمسة. أولها رجال الدين في المجتمع الهندوسي الذين استعبدوا الإنسان واستغلوه بأسوء الطرق، وألحقوا بهم أسوء العذاب، حتى لا يستطيع أحد أن يحيا بدونهم ويموت بدونهم، وثانيها الطبقة الإقطاعية وأصحاب الأملاك الذين لا هم لهم في الحياة

إلا الارتزاق على حساب عرق الجبين وكد اليمين للطبقات الكادحة وإرهاقها بضرائب ثقيلة والتزلف عند الحكام الإنجليز، وبعض من هؤلاء يتظاهرون بحب الوطن حتى تقوم لهم مصداقية في أعين الناس، ولكنهم في نفس الوقت موالون للحاكم المستعمر. وثالثها، المرابيون الذين يقرضون المال ليكسبوا أكبر فائدة من الفقراء ويتحول القرض إلى أداة لاستغلال دائم، وإذا لم يقدروا على السداد، حصلوا ممتلكات الفقراء، ورابعها الفلاحون، الذين يزرعون الأراضي الهندية لكنهم ليسوا مالكين لها، ويتحملون المشقات وأعباء القروض طوال حياتهم، وخامسها قضية زواج الأرامل، التي اهتم بها سوامي ديانند وأصحاب حركة " آريه سماج" بصفتهم مصلحين اجتماعيين. تلك هي الخطوط البارزة للموضوعات الاجتماعية في روايات بريم تشند، غير أن هناك قضايا أخرى نبه إليها بريم تشند مثل حالة المنبوذين في المجتمع، واهتمامه بالوحدة بين الهندوسيين والمسلمين وتركيز عنايته على الثقافة المشتركة، واهتمامه بإحراز الاستقلال(١).

وأهم ما يميز بريم تشند هو اهتمامه البالغ بحياة الريف بشتى جوانبها ومواقفها وإبرازه لقضايا ومشاكل الفلاحين وتصويره لأفراح وأحزان وآمال وآلام طبقة الفلاحين وطبقة الكادحين. فجاءت رواياته صورة واقعية ودقيقة لحياة الفلاح الهندي، ولأول مرة في تاريخ الأدب الهندي أصبحت قضايا الفلاحين ومشاكل الريف

موضوع اهتمام الأدباء والساسة، وهو بذلك يشبه الكاتب الروسي العظيم ليوتولستاي الذي أبرز قضايا الفلاحين في المجتمع الروسي في رواياته، وجلب لنفسه شهرة عالمية واسعة. وقد استطاع بريم تشاند أن يرتبط بقضايا الفلاحين هذا الارتباط بحكم نشأته في بيئة الطبقة المتوسطة من القرية، فقد كان أبوه موظفا صغيرا في شعبة البريد، وكانت لأسرته بعض الأملاك الأرضية تشتغل فيها بالزراعة ولذلك فإن خلفيته خلفية الطبقات المتوسطة والسافلة التي مثلها في رواياته.

ويقول الدكتور وحيد أختر عن تنوع موضوعات بريم تشاند:

" وإذا نظرنا إلى موضوعات بريم تشاند وجدنا أنها قد أحاطت بحياة الهنود في خمسة وثلاثين عاما من القرن العشرين إحاطة شاملة تبلورت فيها الآلاف من الشخصيات بتجاربها المتنوعة في نطاقه العلاقات العائلية، وصراع العواطف النفسية فيها، والحب، والحقد، والغيظ، والحرمان، والصداقة والعداوة في العلاقات الاجتماعية، والتعاطف، والصدام، والاستغلال، والاحتجاج، والحركات الإصلاحية في السياسة، والعوامل الدينية، والثورة من أجل الاستقلال، ونقابة العمال، والحقل، والمصنع، ورجال الدين (العلماء والبراهمة)، والفلاح، والعامل، والمنبوذ، والمعتقد، والدكتور، والمحامي، والإقطاعي، والأمير، والضابط، والمربي،

والموظف الحكومي، والأديب، والتاجر، والصحافي، والبروفيسور، ومعلم المدرسة، والمرأة في الريف وفي المدينة، ورغبات الأطفال، وبراءتهم وألعابهم، وأعياد المسلمين والهندوسيين، وأعراف الزواج والولادة والموت، وبالجملة تجلت فيها الهند الكاملة لعصر بذاته، التي لها تاريخها وماضيها والتي تحلم بعهد جديد، وتحاول من أجل تحقيقه، وهذه الهند ليست جزيرة مغلقة، بل تمتص المؤثرات الخارجية مثل الكساد العالمي، والاستعمار وكل موج من أمواج عاصفة الحروب. ليست جميع روايات بريم تشاند مكتملة من حيث الفن والتكنيك ولكنها بمجموعها تمثل الحياة وحركتها تمثيلا بارعا وكاملا. وإن جمعت الروايات كلها التي كتبت بعده، لا تقترب من روايات بريم تشاند في السعة وتنوع الدائرة"[٢].

بريم تشاند وموضوع رجال الدين:

إن قضية رجال الدين تتبلور كقضية مهمة في رواياته، ابتداء من " أسرار معابد" إلى " كئودان"، ولا تقل أهمية من قضية الفلاحين التي اشتهر بريم تشاند بإبرازها في الرواية الأردية. لقد أدرك بريم تشاند أن رجال الدين في المجتمع الهندوسي يملكون نفوذا كبيرا في المجتمع، ويستغلون الناس إرضاء لمصالحهم الشخصية، فثار ذهنه على هذا النظام المستغل الذي أوجده رجال الدين واستبقوه استعبادا واستغلالا للناس، فحاول الكاتب كشف القناع عن الصورة الحقيقية للنظام الديني والقائمين عليه من رجال

بالدين، وهذه الطبقة البراهمية قد استغلت الغالبية من الناس المتكونة من الطبقات الضعيفة. فلا تخلو رواية من رواياته من رفع صوته ضد هيمنة هذا النظام البراهمي الجائر. و" اعتبر بريم تشاند أن من أهم أسباب جهل الفلاحين وشقائهم، إضافة إلى النظام الاقتصادي الذي أسسه الإنجليز، هو بطش النظام الطبقي (ورنا آشرم) في المجتمع، فالفلاح لا يستطيع أن يحدث وعيا فكريا في مجتمعه نتيجة لعدم تخلصه من بطش هذا النظام، والطبقة العليا تعتبر هذه الفوارق الطبقية الصارمة جزءا من الدين ويستغلها لمصلحتها"[٤].

ومن هذا المنطلق، افتتح بريم تشاند رحلته الروائية بكتابة " أسرار معابد" واتخذ منها موضوع كشف القناع عن المفاسد الاجتماعية الناتجة عن التصرفات السيئة لرجال الدين، وانتهج فيها منهجا إصلاحيا[٥]. ويستمر بريم تشاند في عرض صور الاستغلال لرجال الدين في روايته الثانية " هم خرما وهم ثواب" (١٩٠٦) ولكنه وسع دائرته في هذه الرواية إذ هي تتضمن المفاسد الاجتماعية في المجتمع الهندي [٦].

وتتمثل في رواياته مواقف حساسة متنوعة تصور قسوة النظام البراهمي وتأثيرها في حياة الناس. كما نرى في رواية "غوشه عافيت" حيث يرفض غيان شنكر أن يتناول الطعام مع شقيقه لأنه سافر إلى أمريكا ولم يؤد كفارته ولكن فكرة عدم شمول أخيه في الطبقة البراهمية من جديد بحيث لا يكون شريكا في ميراث

أجيه تعطيه لذة خاصة. ولا تلتقي زوجة بريم شندر " شردها" مع زوجها لأنه غير طاهر في نظر الدين بدون أداء الكفارة، وإن كان عليها أن تبقى على حيتها فعليها أن يهجر زوجها. ولا يقتصر هذا على الطبقات الضعيفة فحسب، بل إن شخصا من الطبقة البراهمية "ماتا دين براهمن" لا يمكن له أن يدخل من جديد في دائرة الطبقة البراهمية لأن أشخاصا من طبقة "التشمار" (طبقة المنبوذين) ألقوا عظم البقرة في فمه، ولا يملك هذا المسكين مبلغ ٥٠٠ روبية لأداء الكفارة، وما دام لا يؤدي الكفارة إلى رجل دين كبير في "كاشي" لا يدخل في الدين. ويسخر الكاتب من هذا النفاق الديني قائلا: " سمعت أن "ببنت" ذهب إلى كاشي، فهناك بندت (رجل دين) شهير، يطلب خمسمئة روبية في الكفارة، ما أسوأ الحال! لو ذهب الدين فلا فائدة في أداء الكفارة ولو مائة مرة". وتختتم روايته كئودان (آخر رواياته وأروعها) بتصوير موقف حساس جدا، حيث يكون بطل الرواية "هوري" طريح فراش الموت، ويموت بدون أن يتخلص من بطش النظام البراهمي " وارتفعت أصوات.. هذا وقت إهداء البقرة... فأوصي به.

نهضت " دهنيا" بسرعة المسكينة وجاءت بعشرين "آنة" (روبية واحدة وربع روبية) التي كسبتها من بيع الجوتة ووضعتها في يد هوري الباردة. ثم قالت لـ داتا دين: سيدي، ليست البقرة في

البيت ولا العجل، ولا النقود، هذه هي النقود، وهي إهداء البقرة بالنسبة له... ثم أغمي عليها"(٢).

إن هذه الجمل الاختتامية لبريم تشاند تبرز مدى قسوة وجور النظام البراهمي على المجتمع الهندي، وليس إغماء دهنيا إلا رمزا لإغماء الإنسان المعلم تحت وطأة النظام البراهمي الذي لا سبيل إلى الخلاص منه إلا الإغماء، ولذلك ركز بريم تشاند اهتمامه على إصلاح النظام الاجتماعي الهندي، لأن أي تقدم للطبقات الضعيفة رهين بإصلاح النظام الديني الذي تتشابك خيوطه في كافة النسيج الاجتماعي والسياسي وغير ذلك.

قضايا الفلاحين وأهل الريف في روايات بريم تشاند:

لقد أصبح قلم بريم تشاند مترادفا لقضايا الفلاحين، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على عمق ارتباطه بقضايا الفلاحين وأهل الريف وقد سلفت الإشارة إليه من قبل. وفي هذه الخلفية نلاحظ ارتقاء ملحوظا في التزامه بقضايا الفلاحين وأهل الريف بطريقة مباشرة في " غوشه عافيت" التي أكمل كتابتها في عام ١٩٢٠. والرواية تعكس حياة الفلاحين وأهل الريف بكافة جوانبهم بحيث تتجلى للقارئ خصائص كل طبقة من طبقات القرية. ففيها شخصية " غاتري" ملكة مقاطعة المشيعة التي تمثل البيئة الرأسمالية، وفيها أيضا شخصية " غاين شنكر" المتسلطة والماكرة والمغرضة، كما

أن فيها شخصية "بريم شنكر" التي تخشى الرب وتتعاطف مع الفلاحين وتؤثر الفلاحين على نفسها ولو أنها تنتمي إلى طبقة الإقطاعيين. وفيها شخصيات طامعة مغرضة وباعثة للتمييز والكراهة الإنسانية مثل " غوش خان" و " غردهر" التي تتوسط بين أصحاب الملاك والفلاحين وتمتص دماءهم، وفيها شخصيات من الطبقة المتوسطة التي توالي لأرباب النظام الإقطاعي في أول الأمر، ثم تأخذ في التعاطف مع الفلاحين، ثم هناك أبطال حقيقيون للرواية، وهم الفلاحون والكادحون من مختلف الأنواع. فمنهم فلاحون ثوار مستعدون دائما للاصطدام مع جميع القوى مثل "منوهر" و "بلراج" وفيهم المتصالحون والمتفاهمون مثل " قادر خان"، وفيهم عامة الفلاحين مثل " دخرن بهغت" و " سكهو تشودهري" الذين يكدون ويجتهدون من أجل تحسين أحوالهم المعيشية. وهكذا رسم بريم تشاند لوحة كبيرة للريف تتضمن شخصيات متنوعة مع حياتها العقلية والعاطفية والثقافية والاجتماعية. وقد برع بوجه أخص في تصوير الصراع بين الطبقة الرأسمالية والطبقة الكادحة وجوانب مختلفة من هاتين الطبقتين، وفي أثناء تصوير الصراع قد أبرز الكاتب صورا واقعية عن الظلم والاستغلال الذين يتعرض لهما الفلاحون، والذين يصفهما جواهر لعل نهرو بكلماته التالية:

" لقد علمت أن الفلاحين مثقلون بالضرائب، فتجمع النقود منهم قهراً وقسراً، ويبعدون من الأراضي والحقول، وتسلب أكواخهم، وفوق ذلك يواجهون ضربات من الأعلى. ملخصاً تندفع عليهم نسور تمتص دماءهم من جميع الجهات (يعني عملاء الإقطاعيين، والمرابين والشرطيين) ويقطعون أجزاء أجسادهم. وهؤلاء المساكين يجهدون طول النهار فتسيل العروق من جبينهم إلى قدمهم، ولكن يدركون مساء أن كل ما عملوه ليس ملكاً لهم، وليس نصيبهم إلا الشتائم والركلات، وليس حظهم إلا الفاقة" [8].

لقد عرض الكاتب كل هذه الحقائق في هذه الرواية. ومن هنا جمعت الرواية في طياتها روح العصر. ولهذا السبب يعتبر النقاد أن " غوشه عافيت" أفضل رواية بريم تشاند في تصوير حياة الفلاحين بعد رواية "كئودان".

وفي رواية " ميدان عمل" التي تركز أصلاً على النشاط السياسي لذلك العصر، يتناول الكاتب أيضاً قضايا الفلاحين بالبحث مصوراً فيها تعاسة الفلاحين وخبث العقلية الإقطاعية، فبطل الرواية " أمر كانت" ينفخ روحاً جديدة في فلاحي القرية ويؤلبهم ضد الحكومة والإقطاعية، وأما زوجته " سكهدا"، فتترك حياتها المرفهة لتقف إلى جانب العمال والمنبوذين، وتنضم إلى حركة العمال والمنبوذين كقائدة لها وتضحي بحياتها في المعركة.

وفي رواية " بردهء مجاز " التي تتخذ من فكرة تناسخ الأرواح موضوعها أصيلا لها، نجد إشارات واضحة إلى صور الظلم والحرمان التي يتعرض لها الفلاحون، فعندما يقام حفل تتويج الملك بشكل سخي، يعرض الفلاحون لأنواع من الظلم والعذاب ويفرض على العمال والمنبوذين أن يقوموا بالأعمال بلا أجرة، ولكنهم يتحملون أنواع الظلم ولا يرفعون أصواتهم ضدها، ولما يشتكي "تشكر دهار" إلى الملك عن هذا الظلم، تثور ثائرة الملك ويطلق عليه النار، فيصاب " تشكر دهار " بجروح في كتفه، وتثير هذه الحادثة البشعة حفيظة العمال والفلاحين والمنبوذين. وعلى هذه الشاكلة أبرز يقظة العمال والفلاحين.

إن أشهر رواية بريم تشاند هي " كئودان"، التي اكتسبت شهرتها العالمية لارتكازها على حياة الفلاحين من ألفها إلى يائها، وتصويرها للفلاحين تصويرا واقعيا ودقيقا. وقد عرض الكاتب فيها أسباب شقاء الفلاحين والتي من أبرزها العمل بلا أجرة، والنظام الزراعي القائم على ملكية الإقطاعي للأراضي وتصور الفلاح على دور المزارع بدون أن يكون له حق على حقوله، وهي الخيوط الرئيسية للنظام الاستغلالي الذي كبل الفلاح بأوامره وقيده بأغلاله، لقد عرض بريم تشاند الفلاح الهندي العام لذلك العصر في شخصية " هوري"، الذي يتعرض لشقاء مالي على أيدي الذئاب من البشر التي كانت تنهش جسمه وروحه من جميع الأطراف، فهناك صاحب

فالمالك رائي صاحب، وحواريوه "السيد خنا"، و "جنغري سنغ"، و "منغرو شاه"، و "نوخ لال"، و "لاله بتيشور"، وعلى الطرف الآخر، هناك الفلاحون من القرية، سذج ومظلومون ومقهورون، يعملون ليل نهار ولكن لا يحصلون على ما يسد رمقهم، ولا يتمكنون على حقوقهم شيئا. ويقضي هوري نحبه في خضم النضال للحصول على لقمة العيش.

وقد كتب بريم تشاند روايته هذه بعد أن تعمقت دراسته لقضايا الفلاحين ووصل إلى كنه جميع الأبعاد التي تخلق مأساة الفلاحين. وكان يتمنى في آخر عمره أن يقضي حياته في خدمة الفلاحين ومعهم، كما يظهر من رسالة أرسلها إلى أوبندر ناث أشك: "أخي! غاية ما أتمناه أن أستقر في الريف، وأربي عددا من المواشي وأكرس حياتي لخدمة الفلاحين"(٩).

إن نجاح الرواية يعتمد على أمور عديدة، منها قدرة الكاتب على عرض صورة كاملة عن الحياة في الريف بجميع خصوصه وملامحه البشرية، والرواية من حيث المجموع ترشد القارئ إلى فكرة عميقة وكاملة لأن الكاتب أدارها على دائرة واسعة من الحياة الريفية، فالبطل الرئيسي فيها فلاح عادي اسمه "هوري"، وله زوجة "دهنيا" التي هي صورة صادقة عن المرأة الريفية، وله ابن اسمه "غوبر" وتمثلت فيه المحبة الأفلاطونية بين "مالتي" و"مهتا"، والجذب الجنسي بين "متادين" و"سليا"، وفيها تصرفات

صاحب الصالك "راي صاحب"، وفيها مقتل شرف الأثرياء وكرامة الفقراء، وفيها تصوير للحقد والعداوة بين راي صاحب، وبين هوري وهيرا، وفيها عرض لمباحث تجريبية على القواعد الخلقية عند بعض المثقفين والأمراء، كما أن فيها تصويرا لعزيمة الفلاحين على الصبر على جلادة الحق، وفيها عرض للقوى الطاغية والظالمة التي تمطر على الفلاحين بوابل من الظلم والاضطهاد والاستغلال، كما أن فيها عرضا لبراءة الفلاحين وقدرتهم على تحمل الصدمات، وفيها كشف للقناع عن مكائد رجال الدين ومدى بطش النظام البراهمي على الفقراء والضعفاء، وفيها صرخة للظلم العظيم الواقع على المنبوذين كما أن فيها سببا لانتقام المنبوذين من البراهمة، وفيها عرض لصور الجمال الطبيعي الهادئ في الريف إزاء صخب واصطناع المدينة، وبالجملة لا تخلو ناحية من نواحي الحياة الريفية الهندية إلا ويصورها الكاتب تصويرا بارعا، كأن حياة الريف في فترة ما تتحرك أمامنا ماثلة، في اتزان كبير، وحركية هائلة.

ومن الأمور الأخرى المساعدة على نجاح الرواية هي عرض حياة الفلاحين في خلفية العوامل المسئولة عن استغلال الفلاحين، وهي عند الكاتب النظام الاقتصادي القائم على الإقطاعية. والنظام الإقطاعي هو المجرم الأكبر لمأساة الفلاحين وشقائهم منذ أمد مديد. ولا يعرض هذه الفكرة عن طريق الخطاب المباشر، بل

من طريق الأحداث، بحيث يبدو كل شيء طبيعيا وحقيقيا، فحياة البطل الرئيسي " هوري" منذ البداية تنم عن موته التدريجي تحت وطأة هذا النظام الاستغلالي الجائر. ومن الميزات الأخرى للرواية، هي الواقعية الدقيقة والصدق الكامل في تصوير حياة الفلاحين، فعرضها الكاتب كما هي بدون أن يلجأ إلى تلوين، فبلغت الرواية ذروة الواقعية بحيث يندر نظيرها في تاريخ الأدب الهندي. " وقد اختار الكاتب فلاحا عاديا بسيطا كالبطل الرئيسي للرواية ليصور بذلك الفلاح الهندي الحقيقي، فأصبح " هوري" رمزا حقيقيا للفلاح الهندي الذي يمر بنفس التجارب في الحياة كما مر بها هوري"[١٠].

بريم تشاند وقضايا المرأة:

لم يكن اهتمام بريم تشاند بقضايا المرأة أقل من اهتمامه بقضايا الفلاحين وذلك لإدراكه أن المرأة متعرضة للظلم منذ أبد الآباد على أيدي النظام الذكوري. ومن هذا المنطلق أبرز بريم تشاند القضايا الشائكة للمرأة في عديد من رواياته، ومن أبرز القضايا التي عالجها في رواياته: قضايا الأرامل، وزواج بدون الكفوء، والمهور (الذي يدفعه ولي البنت أو أسرتها لزوجها أو أسرته). وقد عرض الكاتب هذه المسائل كلها على المجتمع الهندوسي في رواياته " هم خرما وهم ثواب"، و "نرملا"، و "غبن". فتتركز رواية " نرملا" على لعنة المهور، والآفة الاجتماعية الناتجة منها، وتدور القصة حول بنت بالغة من عمرها ١٥ سنة حيث تخطب للدكتور " سنها"

ابن " بابو نهال شاند"، ولكن تفسخ الخطبة لعدم قدرة أسرة البنت على أداء المهور. فتزوج نرملا من " طوطا رام" بالغ من عمره أربعين سنة، وكان لـ طوطا رام أولاد من عمر نرملا من زوجته السابقة، وكان من الطبيعي أن لا تقضي حياتهما بسعادة لتفاوت العمر بينهما، ورغم ما تعانيه ترملا من الشقاء، إلا أنها تظل صابرة على حظها وتبقى مخلصة ووفية لزوجها، إلا أن زوجها يشك في علاقتها مع ابنه " منارام" الذي تتعامل معه " ترملا" بحنان وشفقة، ويرسل الأب ابنه إلى سكن الطلاب، حيث يقع مريضا بفعل الصدمة النفسية التي أصيب بها نتيجة لمعاملة أبيه معه، ويقضي هذا المرض على حياته، وتهائيا يدرك طوطا رام خطأ موقفه، ويتضح له أن شكوكه كانت عديمة الأساس فيتأسف على فعلته ويحسب نفسه مسئولا عن الدمار الذي ألم بالأسرة.

وهكذا يبرز بريم تشند قضية خطيرة في المجتمع الهندي التي لها آثار خطيرة طويلة المدى وهي قضية المهور، وقد أصبحت هذه القضية بمثابة العفريت الذي يكاد يبتلع المجتمع، وبهذا الخصوص يقول هر سروب ماثر: " لا يعتبر الروائي قضية " نرملا" قضية امرأة فحسب، بل يعتبرها قضية اجتماعية، فليست القصة، قصة " ترملا" واحدة بل هي قصة نرملاوات كثيرات، ويعرض لفهم الآثار المترتبة من قضية المهور وزواج عدم الكفوء على المجتمع، يجب علينا أن نقرأ " سيواسدن" و " نرملا"[١].

ولا يبرز بريم تشاند خطورة مشكلة المهور من خلال الأحداث فحسب، بل يبرزها من بيانه المباشر حيث يقول: " من سوء حظها أنها لا تحظى ببيت جيد وزوج مناسب وكان على أبيها أن يؤدي الثمن، ويتخلص من العبء، ويدفعها إلى الهوة. هي جميلة وشاطرة ومهذبة، وشريفة، ولكن ما لها من كل ذلك، إن لا تملك ما تؤدي به مهورها، فتتحول جميع أوصافها إلى العيوب، وإن تملك مبلغ المهور، فجميع عيوبها أوصاف حميدة، إنه لا تقدير للإنسان، بل التقدير كل التقدير للمهور"(١٢).

قد تناول بريم تشاند قضية الأرامل في عديد من رواياته. ومن المعروف أن حالة المرأة في المجتمع الهندي وعلى الأخص في المجتمع الهندوسي رديئة ومتدهورة جداً، ولكن حالة الأرامل هي أسوأ مما يتصور، وأردأ مما يذكر، وقد فرضت السلطة الأبوية والنظام الذكوري قيوداً صارمة عليها وأهدرت حقوقها في الحياة، فلا هي حرة في حياتها ولا في مماتها، وإذا مات أو لحدة منهن زوج، يجبرن على إحراق أنفسهن، وإذا بقين على قيد الحياة، فيحرمن من جميع ملذات الحياة، أما الزواج ثانياً، فلا إمكان له. ويقول عالم اجتماعي ألماني شهير "مبخيلس هرسفيلد" بخصوص وضع الأرامل في المجتمع الهندي: " إن حياة الأرامل في الهند تتسم بالذل والهوان، ولأن البنات الهندوكية يزوجن في الغالب في مرحلة مبكرة من عمرهن، فنجد فيهن عدداً أكبر من الأرامل،

وحتى البنات اللاتي يموت خطيباء هن قبل الزواج يحسبن من بين الأرامل"(٣٠). وتحفل كتب التاريخ بذكر صور الظلم الاجتماعي الذي تتعرض له الأرامل في المجتمع الهندوسي ولا تزال آثاره باقية إلى يومنا هذا، ولأجل ذلك نهض بريم تشند ليعالج هذه القضية الخطيرة في رواياته، فاتخذ منها موضوعاً في روايته " هم خرما وهم ثواب" و " بيوه" كما أورد إشارات واضحة في معظم رواياته إلى هذه المسألة المهمة.

وتقد أدار القصة في " هم خرما وهم ثواب" حول محام شاب اسمه "امرت راي" الذي يحب فتاة اسمها " بريما"، ولكن لا يستطيع أن يتزوج منها لأنه ترك عقيدة " سناتن دهرم" وأصبح عضواً في " آرية سماج". وفي هذه الأثناء يموت أحد من معارفه اسمه "بسنت كومار". فمد " امرت راي" يد العون إلى أرملة صديقه " بورنا". و"بورنا" صديقة لحبيبته " بريما"، وتعيش بجوارها، وأصرت "بريما" على "بورنا" أن لا تحلق رأسها على عادة الهندوسيات وأن لا تقوم بأداء التقاليد الأخرى بعد موت الزوج، تصابر " بورنا" على أنواع اللعن والطعن التي توجهها نساء الحي إليها، وبعد فترة قليلة يقترح امرت راي عليها بالزواج، تمتنع أولاً ثم تقبل الخطبة، وعلى هذه الشاكلة يعرض الكاتب زواج أرملة من شاب عازب. وعلى الصعيد الأخر، يقوم أب "بريما" بتزويجها من شخص اسمه " دان ناث"، ولكنها غير سعيدة في

حياتها إذ تحب " أمرت راي" وتساور شكوك في قلب " دان نات" حول علاقة غير شرعية بين "برنيما" وأمرت راي"، فيدخل بيته ذات ليلة بنية القتل، ولكن "برنيما" قطعت "بورنا" مسبقا عن نية زوجه، ولما يدخل بيته وقد نصبت "بورنا" مسدسه من قبل فتطلق النار ويطلق النار أيضا فيموتان فورا. ويتزوج "أمرت راي" من "برنيما" بعد ذلك.

" وتتخذ الرواية أهميتها لسببين، أولا: زواج شاب عازب من أرملة، وثانيا زواجه في طبقة دون طبقتها، فبورنا براهمنية وأمرت ينتمي إلى الطبقة الكشترية. وعلى هذه المشكلة قد وجه بريم تشاند ضربة قوية إلى النظام الطبقي المتجذر والقانون الاجتماعي الذي يحرم الأرملة من الزواج ثانيا."[1] وتتناول روايته الأخرى "بيوه" (الأرملة) نفس القضية بالعرض والتحليل، وتصور حالة الأرملة الحزينة في المجتمع. وبطلة الرواية "بورنا" تعكس حياة الذل والهوان التي تعيشها الأرملة في المجتمع الهندي. بموت زوج بورنا، بسنت كومار، فتتحول حياتها إلى جحيم، ولموه حظها لم يكن أحد من أقربائها حيا ليكفلها، وقد كفلها قبل زواجها خال لها الذي نسيها بعد الزواج وأغفلها إغفالا تاما، ولم يكن لديها أي مورد للدخل، ويؤويها جار لها " لاله بدري برشاد" ولكن ابنه " كملا برشاد" رجل خبيث له مطامع فيها، وتزيد مضايقات " كملا برشاد" لها إلى حد أن تقبل على الانتحار تخلصا من حياة الذل

والعفن، ولكن يتجنبها عجوز "أمرت راي" ويوصلها إلى ملجأ الأرامل.

وفي هذه الرواية، كما تستكشف من موجز القصة، يصور بريم تشاند الوضع الدنيء والمتدهور للأرملة في المجتمع الهندوسي والنتائج الخطيرة المترتبة من هذا الوضع الذي يؤدي بهن إلى بيوت الدعارة أو يعرضهن لمضايقات وتحرشات جنسية. ويكفي نقل جملة واحدة في الرواية لبيان حالة الأرملة: "يا رب! هل الأرملة اسم آخر للعنة؟" [٥١]

ويتطرق بريم تشاند إلى قضية الأرامل في سياقها الواسع، فعنده إن المسألة الأساسية هي عدم تحرر المرأة اقتصاديا واتكالها على الرجل في الحصول على لقمة عيشها، ولأنها محتاجة إلى الرجل لرغيفها، فتضطر إلى أن تستسلم استسلاما للرجل في كافة أمور الحياة، فيديرها الرجل كيف يشاء، وهذا بلا شك يقضي على استقلالية المرأة، فيقول بريم تشاند: " هذه سنة العالم، الرجل يتفوق على المرأة في القوة والعقل فيحكم عليها، وحيثما تتمثل هذه الصفات أكثر في المرأة، فالمرأة هي الحاكمة، الرجل يكسب لقمة عيشها، فلا يتظاهر بجبروتها"؟ [٥٢]

ونحل هذه المشاكل، قامت على أرض الهند حركات إصلاحية متصاحبة مع حركة الاستقلال، وحاول المصلحون إعطاء

مكانة مناسبة للمرأة، ولم يتخلف صاحبنا بريم تشاند عن هذا الركب، فقد خاض هذه المعركة من خلال رواياته وقصصه ومقالاته.

لقد اتجه بريم تشاند إلى عرض جانب آخر من جوانب مظلمة في حياة المرأة الهندية في روايته "بازار حسن" (سوق الجمال) وهو جانب انتشار الدعارة بين النساء، وعرض الكاتب هذه المشكلة الاجتماعية بعدة جوانبها، ولم يفلته استعراض العوامل التي تنتهي بالبنات إلى بيوت الدعارة. وتبتدأ القصة من تجهيزات زواج البطلة "سمن"، وكان أبوها موظفا في الشرطة. فلما بلغت الخامسة عشرة من عمرها، فكر أبوها في زواجها، ولكنه لم يملك مبلغا كافيا من المال ليؤديه في المهور، وبدون المهور لا يحصل على زوج شريف لبنته، فأخذ الرشوة وقبض عليه فعوقب، وأما أمها " غنغا جلي" فهي لم تملك شيئا، وساعدها على الزواج أخ لها، وأخذها وبنتها الصغيرة " شانتا" إلى بيته.

كانت سمن هذه ابنة أبية، لم تملك أن تتحمل إهانات زوجها المتكررة لها، ولو كانت غير سعيدة بحياتها الشقية لطبيعة زوجها الفظة، إلا أن السيل بلغ الزبى لما أبدى زوجها شكوكه في عفتها، فتخرج من بيت زوجها، لتبيته في أماكن مختلفة، وتنتهي إلى سوق الدعارة. وتتعلم الموسيقي وتسير لها شهرة في سوق الجمال، ثم ترجع إلى ملجأ أقيم للعاهرات بهدف تحسين حالتهن بفضل الحركة

الإصلاحية التي كان يتزعمها "شرما" والآخرون. وتبدأ سمن حياة جديدة في هذا الملجأ، وتجلب أختها "شانتا" لتعيش معها في الملجأ وتزوجها من الشخص الذي رفض الزواج منها في أول الأمر، وتسكن معها في قرية واقعة على ساحل النهر، ولكن تساور شكوك في قلب شانتا حول علاقتها مع زوجها، ولما علم رجال القرية أن سمن كانت عاهرة في حياتها السابقة، يقاطعون بيتها، ويبلغ الأذى بها مبلغه فتخرج من البيت لتنتهي إلى ملجأ "الساقطات" الذي أقامه الراهب " عجانند "، وتعكف حياتها على تعليم وتربية النساء الساقطات.

ويقول رام بلاس شرما بخصوص موضوع الرواية " إن موضوع الرواية استرقاق المرأة"[١٧] ولا شك في أن الزواجات غير المتكافئة، وتصرفات الزوج السيئة، والفروق الذهنية، هي أصل الخلافات في العائلة، وتذهب المرأة في الغالب ضحية هذه الخلافات والنزاعات، فيتسن بالأقدام. ويقول رام بلاس شرما بخصوص جهد المرأة في التغلب على مشاكلها: " ما أكبر عدد النساء يتلقين ضربات ويواجهن شتائم! ولكن كان يحدث تغير تدريجي في المجتمع الهندي في القرن العشرين، حيث بدأ الجمهور يضطرب تحت بطش وغطرسة الرأسمالية الاستعمارية، ورفعت المرأة -تلك الجزء الأضعف من المجتمع - صوتها للتخلص من عبوديتها العائلية وعبوديتها الوطنية"[١٨].

وإن تحول امرأة شريفة إلى عاهرة، لم يكن إلا تحت ضغط البيئة والظروف الاجتماعية، حيث إنها كانت امرأة شريفة، وكان شرفها أعز عندها من كل شيء، ولكن تصرفات زوجه النذيلة وإخراجه إياها من بيته وضعها على طريق مسدود، وتلاعبت بها الأقدار والظروف إلى أن ذهبت بها إلى بيت الدعارة، وبهذا الخصوص يقول الدكتور أنصر شاه مدني: " سفينة صغيرة تنطلق لتجري في البحر، لا مكان لمرأة – لا ملجأ لها – في المجتمع الهندوسي، فتضطر سمن إلى أن تصبح عاهرة"[٦٦].

وعلى هذه الشاكلة، قد أبرز بريم تشاند في هذه الرواية، القضايا التي تجبر المرأة على امتهان الدعارة، وفي الحقيقة إن أعلال التنمية الاقتصادية والتقاليد الاجتماعية هي التي تدفع المرأة إلى السير على هذا الطريق المعوج، ولا يمكن لها أن تنهض من هذه الهوة السحيقة بعد سقوطها فيها مرة.

الوعي السياسي، وفكرة الاستقلال القومي في روايات بريم تشاند

لقد كان بريم تشاند مناضلا في ميدان الكفاح السياسي، وقد تأثر تأثرا بالغا بغاندي وحركته للاستقلال، فلم يفلت من يده معالجة القضية الحساسة والحاسمة في المجتمع الهندي، وهي نضال الهنود من أجل الاستقلال، وقد انعكست في رواياته التطورات السياسية

لذلك العصر، فعرض بريم تشاند نضال الهنود من أجل الاستقلال في روايته " تشوغان هستي" ، و" ميدان عمل". وقد محور الرواية الأولى على " سورداس" الذي يسعى ويجتهد لأجل حقه على أرضه، فيجابه " جان سيوك" الذي يحاول سلب أرضه. ومن الصراع الدائر بينهما تتشكل الرواية، لتشمل النضال السياسي لذلك العصر في الهند، كما تعرض في ثناياه جوانب متعددة من حياة الهنود. ولقد أظهر الكاتب فيها براعة بالغة في الإحاطة بجوانب الكفاح السياسي، فتكتسب الرواية منها النضج الفني. ويتمثل في الرواية تحقيق لحلم بريم تشاند وهو كتابة الروايات على موضوع حرب الاستقلال، فلقد كتب في إحدى رسائله : " نعم أريد أن أخلف مؤلفات قيمة عديدة، ولكن الغاية منها ينبغي أن تكون الحصول على الاستقلال"[٤٠]. وإن الكاتب صور في الرواية نضال الطبقات المختلفة من المجتمع الهندي، بحيث تبدو الرواية سجلا دقيقا لنضال الاستقلال في الهند.

ورجع بريم تشاند إلى موضوع النضال الوطني، بعد إخراج عديد من الروايات الاجتماعية، بروايته " ميدان عمل" التي أكمل كتابتها في عام ١٩٣١، وقد تميزت الفترة باضطراب شديد في المجال السياسي وبلغت الحركة القومية أقصى مداها، " فشملت كافة الفئات والطبقات الهندية، بما فيها العمال والفلاحين، وشبابا من الطبقة المتوسطة، والمثقفين"[٤١].

ويبدو من رواية "ميدان عمل" أن بريم تشاند قد تمكن من تقنيات فنه تمكنا كبيرا، فاستطاع في الرواية أن يعرض الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية للهند لتلك الفترة من الزمن عرضا كاملا، وبذلك تعتبر روايته كرواية منقطعة النظير التي توزع للتطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية في الهند في تلك الحقبة من الدهر (٢٢).

والرواية تعرض قصة "أمر كانت" وأسرته وأصدقائه. وفي البداية يعرض الكاتب حياة "أمر كانت" و"سليم" في الجامعة، ثم يعرض بيئة أسرة "أمر كانت"، وتبرز من خلالها شخصيات أفراد أسرته، شخصية أبيه "سمركانت" وزوجة أبيه "سكدا" وأخته "نينا"، وتتوسع دائرة الشخصيات فتشمل شخصية أم سكينة والدكتور شانتي كومار. وبعد ذلك يظهر أمامنا وجه جديد من الحياة، وهو ظلم الحكام الإنجليز الذي يتبلور في حادثة هتك عرض بنت تدعى "مني". وتثير محاكمة مني غيظ الهنود وكراهيتهم واستياءهم حيال الحكم الإنجليزي الغاشم، ويبرز تعرف أمر كانت على العجوزة "بتهاني"، الوضع الاقتصادي المؤسف للطبقة المتخلفة من المسلمين، حيث نتعرف على صور الفقر والحرمان في هذه الطبقة من المسلمين، كما أن هروب "أمر كانت" من بيته بعد أن أحب "سكينة"، يصور قضايا الحياة الريفية والصراع بين الفلاحين. وإن استقالة سليم من الوظيفة الحكومية ثم اشتراكه في

العمل السياسي لذلك الوقت يرمز إلى اشتراك الهنود في حركة ترك الموالاة للحكم الإنجليزي، وخروج سكهدا من بيتها في مساندة المنبوذين ببروز الحركة الاجتماعية لإصلاح أحوال المنبوذين والطبقات المستعبدة من المجتمع، ثم محاربة سكهدا والدكتور شانتي كومار مع هيئة البلدية من أجل بناء البيوت للعمال يظهر مشاركة العمال في الحرب على الطبقة الرأسمالية والحكم الأجنبي، وتبلغ الرواية ذروتها الدرامية حيث يلقي المستعمر الغاشم القبض على المشتركين في حرب الاستقلال: أمر كانت، وسكهداء، وسليم، ومني، وبثانني، وسمركانت، ورامـا ديوي، وسكينة، والدكتور شانتي كومار، جميعهم يلقون وراء القضبان، ويظهر عمق الثورة الوطنية في جميع أنحاء البلاد.

وعلى هذه الشاكلة، يبرز بريم تشاند نضال الاستقلال في إطار شامل للجوانب الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في الهند في العقد الثاني من القرن العشرين.

وهنالك موضوع آخر اهتم به " بريم تشاند" في رواياته وقصصه ومقالاته وفي حياته العملية أكبر اهتمام، وهو موضوع الوحدة القومية، وبوجه أخص الوحدة بين الهندوسيين والمسلمين، وقد كان مدفوعا في ذلك بإيمانه الراسخ بالثقافة المشتركة بين المسلمين والهندوسيين، وبضرورة المحافظة عليها كركيزة أساسية في الحركة الوطنية في وجه الخطر الداهم الذي كانت تشكله

الأنشطة الطائفية للعناصر الطائفية بين المسلمين والهندوسيين على السواء، ولكن بريم تشاند يعتقد من صميم قلبه بأن الطائفية تظهر أمام الناس في لباس الثقافة البراق، فالمسلمون يحاولون التمسك بثقافتهم إلى يوم الآخرة، والهندوسيون يعتبرون ثقافتهم بلا مثيل، والحقيق أن الثقافة اليوم هي ثقافة اقتصادية، ولا علاقة للثقافة بالدين(٢٢)

ومن هذا السياق جاهد بريم تشاند للحفاظ على الثقافة المشتركة، وحارب ، من خلال قصصه ورواياته وجهوده العملية أيضا ... جميع المحاولات المخزونة لهذه الثقافة المشتركة. ولذلك ترى أن معظم أعماله الروائية تقدم خلفية مشتركة للثقافة وتستمد شخصيات من جميع الطبقات في المجتمع بما فيها المسلم والهندوسي، وتصور بيئة يسودها انسجام طائفي، وتوجه نقدها وسخريتها إلى كافة العناصر التي تولد ضيق الفكر، والنزعات ورجعية الفكر، وتنمي الحقد والكراهية في المجتمع. ورواياته حافلة بمواقف تظهر الائتلاف بين الهندوسيين والمسلمين، فمثلا في " غوشه عافيت"، عندما يلقي القبض على فلاحي قريتي "بلراج" و "لاخن بور" على تهمة هجومهم على عملاء الإقطاعي " جوالا سنغ"، ولا يتقدم أي فلاح من القرية لأداء الشهادة في حقهم خوفا من عقاب الإقطاعي والشرطة، يتقدم فلاح مسلم من نفس القرية "قادر ميان" ليقدم الشهادة ويساعد المتهمين فيطلق سراحهم بفضل

جهودهم. و "فوق ذلك، يبدي بريم تشاند تعاطفه الأكبر مع شخصياته المسلمة ويقدمها في صورة جيدة"[٢٤]. فسكينة في " ميدان عمل" وأمها العجوزة وصديق أمركانت "سليم" الذي يستقيل من وظيفة حكومية موقرة، يشتركون معا في حركة "ستيه غره" للفلاحين ويدخلون معا في السجن، وشخصية "مرزا" في گئودان الذي يزور " غوبر" ابن " هوري" ويرعى المشتركين في الإضراب عن العمل الذين جرحوا على أيدي الإنجليز أيضا يدل على ذلك. وليس هذا إلا غيضا من فيض، لأن رواياته تحفل بصفحات من مثل هذه المواقف التي تبرز الأخوة والوحدة بين الهندوسيين والمسلمين.

فبهذا الإنتاج الروائي الغزير، الذي يحيط بجوانب متنوعة من الحياة الهندية في مطلع القرن العشرين بإحاطة شاملة في بناء فني محكم، وبهذه العاطفة المتحمسة لمشاكل النساء والمنبوذين والفلاحين، وبهذه الحماسة القومية لتحرير البلاد من براثن الاستعمار، وبهذا الحب العظيم للإنسانية، وبهذه الفكرة النيرة المتطورة لإصلاح أحوال الطبقات المستضعفة والمهمشة، وبهذا التمكن المذهل من أدوات الفن القصصي وآلياته، استطاع بريم تشاند أن يقدم للفن الروائي الأردي والهندي خدمات عملاقة، وأن يتبوأ لنفسه مكانة شامخة في قائمة الأدباء الهنود، فلا نرى أحدا قبله ولا بعده بلغ ما بلغه بريم تشاند من الدرجة الرفيعة في مجال الرواية الأردية والهندية، وهو بذلك يمثل عصرا بذاته.

المراجع:

١. قمر رئيس: بريم تشاند كے هيرو - ايك سماجياتي جائزه، مقالات يوم بريم تشاند، اتر برديش اردو اكاديمي، ١٩٨٨م، ص ٧٧

٢. سيد محمد عقيل رضوي: بريم تشاند ايك سماجي حقيقت نگار، مقالات يوم بريم تشاند، اتر برديش اردو اكاديمي، ١٩٨٨م، ص ١٠٧

٣. الدكتور وحيد أختر: بريم تشاند اور هم، عدد خاص ببريم تشاند، مجلة شيرازه، سري نغر، المجلد ٢٠، عدد يناير - مارس، ١٩٨١م، ص ٤٤

٤. سيد محمد عقيل رضوي: بريم تشاند ايك سماجي حقيقت نگار، مقالات يوم بريم تشاند، اتر برديش اردو اكاديمي، ١٩٨٨م، ص ١٠٧

٥. يوسف سرمست: بيسويں صدي ميں اردو ناول، ص ١٨٩

٦. نفس المصدر، ص ١٩٠

٧. كنوردن: ص ٩٨٥، المطبعة الخامسة، مكتبة جامعة لميتد، ١٩٧٣

٨. جواهر لعل نهرو: ميري كهاني، مجلد ١ ص ٩٦

٩. بريم تشاند: مجلة "زمانه" (كانبور) ١٩٣٧م، عدد خاص ببريم تشاند، ص ١٣٨

١٠. قمر رئيس: بريم تشاند كے هيرو - ايك سماجياتي جائزه، مقالات يوم بريم تشاند، اتر برديش اردو اكاديمي، ١٩٨٨م، ص ٨٥-٨٦

١١. هنس راج رهبر: بريم تشاند جيون اور فن (هندية) ص ٧٦

١٢. نرملا، ص ٤٠

١٣. M. Hurschfield: Women in East & West. P. 167

١٤. شميم نكهت: بريم تشاند كے ناولوں ميں نسوانی كردار، ص ١٥٦

١٥. بيوه، ص ٦٧

١٦. بيوه، ص ١١٦

١٧. رام بلاس شرما: بريم تشاند اور ان كا يگ (هندية)، ص ٢٣

١٨. نفس المصدر، ص ٤٣

١٩. اندر ناته مدن: بريم تشاند ايك وويچن (هندية)، ص ١٤٠

٢٠. مجلة "زمانه" كانبور: عدد خاص ببريم تشاند، ١٩٣٧، ص ٧٤

٢١. جواهر لعل نهرو: ميري كهاني مجلد ١، ص ٢٨٨

٢٢. يوسف سرمست: بيسويں صدی ميں اردو ناول، ص ٢٢٤

٢٣. قمر رئيس: بريم تشاند فكر وفن، ص ٦٠

٢٤. نفس المصدر، ص ٦٩ نقلا عن رأي سيد سبط حسن.

الإسلام ودوره الثقافي في الهند

- سيد إحسان الرحمن*

تعرف الهند بشبه القارة نظرا لوسعتها الأرضية. هي واقعة في جنوب آسيا بين باكستان والصين ونيبال. وفي شمالها توجد سلسلة من جبال الهيمالايا. تتكون الهند في الوقت الحاضر من ٢٩ ولاية وستة أقاليم التابعة لحكومة الهند المركزية. تتمتع الهند بأربعة فصول متميزة وهي الصيف والشتاء والربيع وموسم الأمطار ونظرا لموقع الهند الجغرافي تبلغ الحرارة في الصيف في معظم أنحاء الهند حتى ٤٧ درجة مئوية وكذلك البرودة في فصل الشتاء تكون قاسية حيث أنها تتخلل العظام.

في الوقت الحاضر يبلغ تعداد سكان الهند ما يربو على بليار نسمة.

دولة الهند دولة ديمقراطية علمانية حيث أنها تتميز بعدد من الديانات وهي الهندوسية والإسلام والمسيحية والبوذية والجينية

---

* - أستاذ، مركز الدراسات العربية والإفريقية، جامعة جواهر لال نهرو

والسيخ واليهودية والزرادشتية وعدة ديانات محظورة في الدول الإسلامية مثل البهائية والقاديانية وما إلى ذلك.

تعني العلمانية عند الهنود الاحترام لكل الديانات وحرية العبادة وبالنتيجة توجد في الهند المعابد الهندوسية والكنائس والجوامع والمعابد الجينية والسيخية والبوذية وما إلى ذلك أحيانا بعضها بجوار البعض.

على حسب تخمين بعض المؤرخين والعلماء يرجع تاريخ الهند المعلوم إلى خمسة آلاف سنة قبل الميلاد بينما يقول البعض الآخر إن عمره لا يتعدى ثلاثة آلاف ومئتي سنة. على كل فإن للهند تاريخا عريقا وحضارة قديمة مثلما لا توجد للكثير من البلدان في العالم شرقا وغربا.

يقال كذلك إن تاريخ الديانة الهندوسية يرجع إلى أكثر من ثلاثة آلاف سنة.

كانت العرب من شبه الجزيرة العربية على اتصال مع الهند لأسباب تجارية منذ قديم الزمان وعرف بعض الهنود الأصليين اللغة العربية حتى أتقنوها وكانوا يستخدمونها كلغة الشفرة فيما بينهم وقت الضرورة.

يقول الدكتور سعيد الطريحي في مقدمته لكتاب زين العابدين المليباري المعروف "بتحفة الزاهدين" بأن الأخوة كورانا

وبالتحديد من ذوي السمعة المهاراجات، كانوا يعرفون اللغة العربية، ويرد ذكر ذلك في كتاب الهندوس المقدس " المهابهارات".

على كل، فكان الهنود والعرب على اتصال دائم لأسباب تجارية وعندما تم إعلان الإسلام في السعودية في عام ٦١٠م، ورد خبر ذلك للهند تقريبا في نفس الوقت وورد الإسلام وربما قبل بعض الهنود الإسلام في ذلك الوقت أيضا ولكن من المعروف جدا أنه دخل الإسلام في الهند على يد محمد بن القاسم في سنة ٧١٢م حيث جاء مهاجما لإنقاذ أطفال ونساء كانوا في طريق العودة إلى بلادهم بعد وفاة رجالهم، من براثن اللصوص البحريين. منذ ذلك التاريخ لغاية نهاية عصر المغول في الهند لقد حكم الهند سلسلة من الحكام والسلاطين المسلمين.

إن تاريخ الملوك المسلمين الذين وردوا الهند يبدأ من تسعمائة وثمانية وتسعين للميلاد، فكان بعضهم ظالمين أيضا ولكن ظلمهم لم يكن مقتصرا على الهندوس. إنهم كانوا يظلمون المسلمين أيضا. إنهم كانوا ملوكا مستبدين دياناتهم "الملوكية" ولم يعرفوا الديمقراطية.

على الرغم من الواقع أن الإسلام دخل أراضي الهند (عن طريق السند شمال غرب الهند) في عصر الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان في عام ٧١٢م على يد محمد بن القاسم، ولكن

الحقيقة أن الإسلام دخل في عميق الهند كقوة سياسية على أيدي ملوك وسلاطين من الأتراك والأفغان من الأراضي المجاورة.

مع استقرار الإسلام في الهند منذ ذلك التاريخ لغاية عصر المغول في الهند لقد حكم الهند سلسلة من الحكام والسلاطين المسلمين.

بعد وصول محمد بن القاسم للسند بقي الحكم العربي في السند حوالي ثلاثمائة سنة ولم يتغلغل دونها. وكذلك بقيت اللغة العربية هي السائدة كلغة رسمية في تلك المنطقة وحصل تبادل العلماء بشكل محسوس بين الهند والعرب لأسباب واضحة.

ابتداء من أواخر القرن العاشر أي من عام تسعمائة وثمانية وتسعين لغاية نصف القرن التاسع عشر ورد الهند ملوك وسلاطين من الأتراك والمغول وحكموها كما يلي:

العهد الغزنوي ٩٩٨ ـــ ١٠٣٠م

العهد الغوري ١١٩٢ ـــ ١٢٠٦م

دولة المماليك ١٢٠٦ ـــ ١٢٩٠م

الدولة الخلجية ١٢٩٠ ـ ١٣٢١م

الدولة التغلقية ١٣٢١ ... ١٤١٤م

الدولة التيمورية أو المغولية ١٥٢٦ - ١٨٥٧م

وهكذا حكم المسلمون بشكل أو آخر الهند لحوالي أحد عشر قرنا. ولا بد أنه خلال هذه المدة المديدة أثر المسلمون في الثقافة الهندية على اختلاف المجالات ابتداء من العادات اليومية الى اللغة والعلوم والمعارف.

فبعد وصول الإسلام إلى الهند، أعتنق بعض الهنود الدين الحنيف وذلك من الطبقات الاجتماعية العليا والدنيا على حد سواء وبدأوا يعملون ويجتهدون في سبيل الله ونشر العلوم.

وكما يقول المثل: الناس على دين ملوكهم فبدأ الناس يهتمون باللغة العربية والذين كانوا اعتنقوا الإسلام ظهرت عندهم الرغبة الشديدة في تعلم اللغة العربية.

والذين لم يعتنقوا الإسلام بدأوا يظهرون الاهتمام باللغة العربية حتى يتمكنوا من دخول المكاتب الحكومية والبلاط. ولكن تحصيل اللغة العربية لم تكن عملية سهلة فلذلك بدأ الناس يخلطون الكلمات والتعابير العربية بلغاتهم المحلية وبدأوا يكتبون لغاتهم المحلية بالخط العربي إرضاء للعرب وبالنتيجة كتبت عدة لغات الهند بالخط العربي مثل اللغة السندية واللغة الكشميرية واللغة الأردوية ولغتية يومنا هذا تكتب بعض اللغات بالخط العربي فيما بين المسلمين وخاصة فيما بين النساء من أمثال اللغة المليالية في

جنوب الهند في رسائل وخطابات فيما بينهن وفيما بينهن وأزواجهن.

ويضاف إلى ذلك أنه يوجد لغاية اليوم عدد لا بأس به من الكلمات العربية والتعابير في جميع اللغات الهندية وبخاصة جدا اللغة الأردوية تمثل مظاهر لتأثير اللغة العربية في الهنود حيث استوعبت هذه اللغة الخط العربي ونسبة كبيرة من الكلمات والتعابير العربية وهي تستعمل في الأحاديث اليومية فيما بين الهنود الناطقين باللغة الأردوية والهندية في شمال الهند، وعلى سبيل المثال اذكر فقط بعض الكلمات لدعم قولي وهي " قميص وكرسي وقلم وكتاب وإنسان وقدمي وبلاد وبلوى وباقي وكافي ومحل ومكان، ... وما إلى ذلك"، وهذا اضافة إلى المصطلحات الدينية التي يقتصر استعمالها على المسلمين، ومن الضروري جدا لفت الأنظار أن اللغة الأردوية كلغة مستقلة ظهرت للوجود في العصر المغولي ودخلت الكلمات العربية في الأردو رويدا رويدا ومعظمها عن طريق اللغة الفارسية التي حكم الناطقون بها الهند ابتداء من القرن العاشر إلى القرن التاسع عشر.

وحصل أن ترجم عدد كبير من الكتب الهندية السنسكريتية في مختلف العلوم إلى اللغة العربية لغاية عصر المأمون وكذلك في القرون التالية ترجم عدد كبير من الكتب العربية والفارسية إلى اللغة الهندية. وبالنتيجة أصبح الفكر الإسلامي عبر الزمن جزء لا ينفك

من الفكر الهندي البحت. من الجدير بالذكر هنا أن الكتاب المقدس للسيخ ليس إلا تعبيرا عما يقول الإسلام عن المساواة بين البشر والفناء الكامل في الروح وهكذا نرى أن الزهد الإسلامي يؤثر في النسك الهندي المعروف ببهاكتي.

وعلى مستوى الملبس نرى أن الأسلوب الإسلامي أثر كثيرا في طريقة الملبس الهندي حيث أن الإسلام يؤكد على ضرورة تغطية معظم أجزاء البدن. فبدأ الإنسان الهندي يلبس لباسا يغطيه كليا. فمثلا ربما نرى بنتا ترتدي قميصا وسروالا وهي في نفس الوقت تغطي رأسها بقطعة من الثوب يطلق عليها دوبتي يمكن مماثلتها بالحجاب الإسلامي.

وكما هو معروف، وجدت في الهند ديانات متعددة وكانت تؤمن بالقوى الطبيعية وتعدد الآلهة فلكل جانب للحياة إله أو الاهة أو أن لكل إله زوجته الالهة ووجدت بينهم عبادة الأصنام والطبيعة ولا يزال الهندوس يعبدون الأصنام ولم يوجد بينهم في تلك الأيام فكرة التوحيد ولكن يتبين أنه بعد وصول الإسلام للهند واختلاط المسلمين مع الهندوس ظهرت في الهندوسية فكرة القوة العليا فوق كل القوى ويطلق عليها بارام آتما، أي القوة ليست دونها قوة وبدأوا يعتبرون الآلهة والأصنام وسيلة للوصول إلى بارام آتما.

جاء الإسلام وجاء المسلمون إلى الهند في أوائل أيام ظهوره للوجود وبدأ المسلمون العرب والجدد في إجراء المحاولات حتى يظهروا متميزين عن غيرهم من الهنود المتدينين بديانات مختلفة، في كل شيء. وحتى في أماكن العبادة. وجدت في الهند معابد للديانات المتواجدة فيها ذات الشكل الأفقي الحجري للسقوف ولكن الفن المعماري الإسلامي جاء بأنماط جديدة ويتجلى أثر ذلك في صورة المساجد والأضرحة والقصور والقلاع الإسلامية حتى أن الطراز الإسلامي أثر في المنشآت غير الإسلامية من أمثال المعابد للهندوس وغيرهم من المنتمين إلى مختلف الديانات.

ونرى أهم النماذج المعمارية الإسلامية متمثلة في قطب منار الذي تم بناءه في العصر المملوكي عام ١١٩٩م وهو عبارة عن برج يبلغ طوله ٧٢ مترا منقوش عليه آيات قرآنية ومطرز بالزخرفة الإسلامية.

ومن الآثار الإسلامية العظيمة قلعة أجرا على هيئة نصف قمر أنشئ حوالي سنة (١٥٦٥م) والقلعة الحمراء في نيودلهي التي بناها شاه جهان والمسجد الجامع في نيودلهي و"موتي" مسجد وعدد كبير من المساجد في دلهي وجوارها ومدن أخرى، وسابع عجائب الدنيا التاج محل من المرمر الذي بناه شاه جهان تذكارا لزوجته ممتاز محل. وهو ضريح لا مثيل له في العالم. هو قمة العمارة المغولية ولا يمكن وصفه في كلمات.

والهنود كذلك يهتمون باللغة العربية. في الهند يوجد عدد كبير من المدارس الدينية الإسلامية في المدن والأرياف وهذه المدارس يتم التدريس فيها اللغة العربية وآدابها والعلوم الدينية الإسلامية من القرآن الكريم والحديث الشريف والفقه الإسلامي وما إلى ذلك. ويضاف إلى ذلك أن المدارس والكليات والجامعات للعلوم الحديثة أيضا توجد بها مناهج اللغة العربية وعدد كبير من الجامعات الهندية يتم تدريس اللغة العربية فيها حتى مستوى الدكتوراة. وفي هذه الجامعات لا تقتصر دراسة اللغة العربية على المسلمين فقط بل يدرسها غير المسلمين أيضا وخاصة في ٣٠ سنة الماضية حيث زادت فرص العمل في الدول العربية. والجامعات الهندية في الوقت الحاضر تعد الطلبة في اللغة العربية الحديثة حيث يتعلمون اللغة كاللغة واللغة فقط للاسترزاق، يتوظفون أساتذة ومدرسين ومترجمين.

ترجمات الآداب التاملية إلى اللغة العربية

- محمد شاه بن عبد الحي*

المدخل:

الأدب الكلاسيكي في اللغة التاملية ينقسم إلى ثلاثة أقسام: الطبيعي والأخلاقي والديني. الأدب الطبيعي أقدم من الاثنين: الأخلاقي والديني. فإن الأدب الديني أحدث من الأدب الطبيعي والأدب الأخلاقي يوجد في الفترة ما بين عهد الأدبين: الطبيعي والديني. ولا توجد الترجمات الأدبية من اللغة التاملية إلى اللغة العربية إلا في الأدب الأخلاقي في العصر الكلاسيكي.

إن التامليين قبل أن يتصلوا مع الآرية (Aryans) اشتغلوا بالثقافة المادية أكثر من أن يشتغلوا بالثقافة الفكرية والدينية وحصلوا على مرافق الحياة وأسباب الراحة للحياة القروية والحياة

---

* باحث، قسم اللغة العربية، جامعة دلهي، دلهي

الاجتماعية، وتصور هذه الخصائص في أدبهم. فالأدب الطبيعي نتيجة الثقافة المادية، ولا توجد فيها أي علامات للثقافة الأخلاقية والدينية.

أما الأدب الأخلاقي فلم يوجد إلا بعد ما زار الآريون تاميل نادو، وفي أول الأمر مارسوا الديانات الجينية (Jainism) والبوذية[1] (Budhism)، فعندما دخلوا تاملنادو، فلم يجدوا أي علامات للبراهمية (Brahminical Religion) ولم يواجهوا معارضة فلسفية أو فكرية فكثر هم الأدبية تدور حول الفكرة الأخلاقية والتربوية. وفي عصر الأدب الأخلاقي، توجه الأدباء إلى جو واسع عالجوا فيه القضايا حول تقدم الإنسان في مجتمع نظامي ومختلف العلاقات الشخصية الإنسانية فيما بينهم، وكان عليهم أن يصيغوا الشرائع الأخلاقية للعلاقات الاجتماعية فيما بينهم. ويحققوا الأدب الذي يدور حول العادات والطبائع وما إليهما.

أما الأدب الديني، فقد بدأ بمقدم الآرية (Aryan Hindus)[2] وهذا الأدب يتناول الفكر العقلية والدينية من حيث عمقها ومحتوياتها الفلسفة الفيدية (Vedic Philosophy). توجه الأدب الديني إلى الأفكار

---

[1] - منذ الجينية (Jainism) وسمعت فيه هي تنتشر في عهد الامبراطور تشاندرا جوبتا موريا (Chandragupta Mauryan) وهي البوذية سمعت هي تنتشر في عهد الامبراطور أشوكا (Asoka) وعاش كلاهما في القرن الثالث قبل الميلاد المسيحي.

[2] - يعتبر ملوك بلاوا (Pallava Kings) في تامل نادو، أول حماة الفن المعماري الآرية، وما يعد بلاوا في ماملابورم (Mamallapuram or Mahabalipuram) في القرن الرابع الميلادي، وحاولوا أن يفرضوا البراهمية (Brahminism) على أتباع الجينية والبوذية وشعوب الدرافيدية (Dravidian) منذ القرن السابع

التي تتناول شؤون الأرواح ومستقبلها بعد حياة إنسانية في الأرض، يعني الحياة الثانية في صورة الحيوانات في نفس الأرض التي يعيش فيها الإنسان. وفي هذا الأدب استثناء الفكرة العالمية من التأثر بالأفكار الفلسفية والذهنية والعقلية كلها؛ ولكن في هيئة الفلاسفة الدينية الفيدية (Vedic religious Philosophy).

أما الترجمات العربية الأدبية من اللغة التاملية فتناولت الموضوعات والأساليب من الأدب الأخلاقي فقط وهناك آثار أدبية تتضمن الأشعار المشهورة والأقوال النادرة وتوجد في هذه الآثار أفكار أخلاقية بأسلوب بليغ. منها " وويكاجينتاماني" و " مثري" و"أتكي نيدي" و " تلولجي"[٣].

ترجمت مائتان وخمسة أبيات من التاملية إلى اللغة العربية شعراء ونشرت باسم " رزانة العلم". ترجمها الشيخ عبد القادر لبي الملقب بـ " نيكا صاحب" وأيضا يلقب بـ"شيخنا لبي الكاكولابتمي". ومزية " رزانة العلم" لا تقتصر على أنها في اللغة العذبة ولكنها تشتمل على ترجمة حرفية بدون ضياع معانيها الأصلية وأسلوبها الخاص عند الترجمة. وإن الترجمة في الشعر أمر لا يستهان به.

ولكن الشاعر، حذف ما كان خلاف الفكرة الإسلامية. عندما وجد أي شيء في الأشعار العصرية التاملية. إن علماء جالية

---

[٣]. الصبلندي وويكا جينتامني (جوهرة الفكرة المميزة) ومثري (الكلام الرفيع) وأتكي نيدي (العدل العالمي) وتلولجي (الطريق المستقيم)

"اللبي" (Labbai Community) من المسلمين في تاملنادو، قد اختاروا مجرد الأدب الأخلاقي والثقافي للترجمة. وتركوا الأدب الديني الذي هو ضد الفكرة الإسلامية مثل ذكر الأوثان وطريقة عبادتها وما إلى ذلك. هذه المجموعة الشعرية لحسن مثال لمساهمة علماء جالية "اللبي" في الأدب الإسلامي. وكذلك بذلوا الجهود في نشر الأدب الأصلية في التاملية التي سيستفيد منها مجتمع المسلمين في تاملنادو. نشرت وطبعت هذه المجموعة الشعرية في مطبعة عامر الإسلام بترورنلفادي في تيرونلفلي سنة ١٨٩٢م / ١٣١٣هـ.

يقول الشاعر في بدء قصيدته:[1]

رزانة العلم من كان تنسقه ... يمشي بها خاضعا مقدار اثقال

ويسجد الغصن بالأثمار إذ حملت ... كالمستزه ذاتها من بعد إدلال

يترجم الشاعر الأبيات للفرق بين العالم والجاهل بعبارات الخيال الموجز:

وليس يعرف فضل العلم جاهله ... ولو قريبا إلى من علمه النعم

ما للضفادع خيشوم لتوفرة ... بل للمخانق من بعد لها شمم[2]

يقول الشاعر بأن لا تنصح لمن لا يحتاج إليه:

---

١ - عبد القادر لبي (تنكا ستاهب): رزانة العلم (ترجمة منظومة)، سيدي كويا مسليار، مطبعة قطعة، ص ٧

٢ - نفس المرجع ص ١٣

لا النصح ينفع شنطير لشقوته   بل كان يخرج أن يؤذي ذوي القصر

بمزيق القرد وكرا للصفارية   إذ أنه نصحت في وابل المطر ٦

كان الشيخ صلاح الدين (١٨٨٦ - ١٩٤٦م/ ١٠٩٨ - ١٠٥١ هـ) من الأدباء البارزين في هذا المضمار. إنه قرض قصيدة تحتوي ١٣٢ بيتا اعتمادا على بعض الأشعار الأخلاقية والثقافية في اللغة التاملية. ليست هذه القصيدة ترجمة مباشرة وجعل في قصيدته بعض التحويلات والتغييرات لكي يجعلها موافقة للقراء الإسلامية وبعض على وجهات التربية الإسلامية ويجعلها إرشادا للطلبة وسماها قصيدة " الحكم". وهكذا تسمى هذه القصيدة باسم الشاعر نفسه " صلاح الدين". لأن القصيدة يقصد منها صلاح الطلبة المسلمين. نشرت هذه القصيدة في مطبعة عامر الإسلام بـ " ترو نلفادي" تمكير الا.

يبتدئ الشاعر قصيدة " الحكم" بالحمد والصلوات، ويشمل في قصيدته الأمور الإسلامية ويتصرف فيها بحرية بدل أن يقصر نفسه على الترجمة المباشرة فقط. أما شاعر القصيدة " قرز لته" لا يتصرف كحر ويبقى أمينا في الترجمة الكاملة.

ترجم السيد محمد الملقب باسم "الإمام العروس" بعض الأشعار التاملية إلى العربية شعرا. وفي قصيدة ترجمها من التاملية

---

٦. نفس المرجع ص ٦١

يقول الشاعر وعلى الرجل العاقل أن لا يرد الأذى بالأذى الذي أصابه من الرجل الجاهل. وأخذ الشاعر هذا المعنى عن حكمة تاملية قديمة فإذا عض كلب رجل رجلا لا يجوز له أن يعض رجل كلب في الارتداد" وفي قول الشاعر في العربية:

إذا عـــــــض رجل المرء كلب بنابه

فما عض رجل الكلب من فعل عاقل٧

هناك حكمة تاملية مشهورة مفهومها: إذا كان الرجل يزعم أنه العاقل ثم عليه أن يثبت بالفعل وليس القول يكفيه. يترجم السيد محمد حكمة تاملية في العربية هكذا:

لو كان الغراب خصيتان   تراهما في حالة الطيران ٨

هناك كتاب صنفه محمد حوث ابن غراج محمد باسم "جواهر الحكم في مواعظ الأمم" هذا كتاب جمع فيه الحكم والأمثال التاملية والنصائح الأخلاقية والتوجيهات الإصلاحية النفسية مترجمة إلى اللغة العربية. طبع هذا الكتاب في مطبعة الحسني بمدينة بومباي سنة ١٨٨٢م/١٣٠٠ هجرية.

٧- شعيب عالم، الدكتور: شبكة شعيب عالم صديقي: العربية والأردية والفارسية والأردوية المشرق، أنتم العرب في الهند، سنة ١٩٩٣م، ص ١٠٥

٨- نفس المرجع السابق ص ١٠٥

ترجمة "تروكورال"**:

هذه قصيدة طويلة مشهورة في اللغة التاملية قرضها الشاعر المشهور " ترووللور (Thiruvalluvar) في القرن الثالث الميلادي "ترو" معناه " المقدسة" " كرل" معناه القصيرة فتروكورال معناه الأبيات القصيرة المقدسة. ولكل بيت منها مصراعان قصيران وفي المصراع الأول هناك أربعة أجزاء. وفي المصراع الثاني ثلاثة أجزاء. ومع أن هناك المحدود والضيق من حيث العروض الشعري، يتفوق الشاعر في " تروكرال" في ثلاثة موضوعات مهمة: الأخلاق والسياسة الداخلية والعلوم الجنسية.

ترجم محمد يوسف كوكن٩ * القصيدة كلها إلى العربية. نذكر هنا بعض الأمثلة من ترجمته وهي كما يلي:

الحكيم العاقل ينفق ثروته في مصالح الناس

ولا يخافي من انقطاعها فهي

كمثل ينبوع لا ينفد ماته (كورال ٢١٥)

الشر يتبعك مثل الظل الذي لا يفارقك

أينما تكون فيه ويؤديك إلى الهلاك (كورال ٢٠٨)

المرء الذي يتجنب عن الشر لا ينحرف

عن طريق السداد ولا يرتكب الشر (كورال ٢١٠)١٠

---

٩ - كان محمد يوسف كوكن أستاذا بقسم اللغتين العربية والفارسية بجامعة مدراس. سابقا

* - ثيركرال شعيب عالم صاحب، نشر المرجع

المصادر والمراجع:

١. أروناچلم تم (Arunachalam.M): الشعر التاملي القديم (تحقيق): المعجم في الأدب الهندي – معهد كيرالا اللغوي

٢. سيوراجا بيلاي كي أن (K.N. Sivaraja Pillai): سلسلة الملوك التاملية القديمة، الناشرون: خدمات آسيا التربوية، نيودلهي سنة ١٩٨٤

٣. عبد القادر علي (دكتورا مصاحب): ريزابة العلم، مطبوعة مطبعة بالشيري، كيرالا (ترجمة .. إمبيجي كوتا مسليار)

٤. شعيب عالم (الدكتور شيخ شعيب عالم مصاحب): العربية والأردوية والفارسية والأردوية في سرنديب وتاملنادو " إسلام العروس ترامست، مدراس سنة ١٩٩٣م.

همايون كبير في ضوء أعماله

بقلم: أ.د. محمد أسلم الإصلاحي*

السيد همايون كبير أحد الزعماء الهنود الذين تمخضت عنهم حركة الاستقلال والتحرير في النصف الأول من القرن الماضي فكانت شخصيته تزدان مثل الأبطال القوميين الآخرين بمواهب عديدة وميزات متنوعة من الخطابة والكتابة وقرض الأبيات وتنظيم الجمعيات الطلابية وإدارة شؤون الأحزاب السياسية. وقد كرس همايون كبير هذه الخصائص البارزة كلها لإجلاء الإنجليز من شبه القارة الهندية فلم تجد فرصة إلا اقتنص لتحقيق أهدافه السامية الرامية إلى تشييد الدعائم الوطنية والقومية والاجتماعية والثقافية والفكرية والاقتصادية ولم يأبه في هذا المضمار بجبروت الاستعمار الغربي الذي كان أكثر تشددا وتعسفا في أحكام بطشه وقبضته

---

* أستاذ، مركز الدراسات العربية والأفريقية، جامعة جواهر لال نهرو، نيو دلهي

الحديدية على الهند وما يجاورها من البلدان والأقاليم مثل بورما وسيلان وما إلى ذلك. لقد أدرك همايون كبير خطورة سيطرة الإنجليز على بلاده في حين كان هو طفلاً صغيراً وفي مسقط رأسه المعروف بـ "فريد بور" بولاية "بنغال" التي ولد فيها بتاريخ ٢٢ من فبراير عام ١٩٠٦ في أسرة متوسطة الحال. ولا ريب في أن ولاية بنغال في تلك الفترة من الزمن كانت تمر بمرحلة حاسمة وذلك لأن كثيراً من الذين تعلموا في المدارس الحكومية العلوم الحديثة وتثقفوا بالثقافة الغربية تفطنوا لدسائس الحكومة الإنجليزية ومكائدها الخبيثة كما تعرفوا على أهمية الحرية والاستقلال. ومن الجدير بالملاحظة هنا أن هذه المدارس لم ينشئها الاستعمار الغربي إلا لخدمة مصالحه الحكومية والسياسية ولم يكن المقصود منها إلا إعداد الكتبة والموظفين الأقل درجة الذين كان همهم الوحيد هو تعبيد الطرق أمام الحكام الأجانب لإرساء قواعدهم وقوائمهم في ربوع الهند.

هذا وإن همايون كبير إلى جانب تفوقه في مراحله الدراسية كان منذ صباه أكثر اعتناءً بقضايا المجتمع الهندي فبدأ يكتب المقالات في الصحف والمجلات والنشرات الطلابية وهو في العشرينات من عمره وأبرز فيها المتاعب والمحن التي كان يتعرض لها الشعب الهندي عامة وسكان منطقة بنغال خاصة على أيادي الحكام الأجانب وبما أنه كان مرهف الحس وعميق الملاحظة ومتوقد الذهن فجاء

بأدق التفاصيل عن الظلم والتعسف والكراهية التي كان يمارسها الإنجليز ضد المزارعين البنغاليين فكان هؤلاء الإنجليز يفرضون الإتاوات والضرائب الباهظة على الفلاحين الكادحين دون النظر إلى ظروفهم المالية القاسية بسبب الجدب والجفاف وقلة الأمطار فأذكت هذه القسوة والتعسف جذوة أفكار همايون كبير الثورية ضد المستعمرين الأجانب ولم يقتنع بكتابة المقالات وتأليف الروايات ونظم الأبيات المنطوية على مشاعره الوطنية وأحاسيسه القومية فحسب بل شارك بمنتهى الحماسة في حفلات ونشاطات الجمعيات الطلابية التي كانت في الحقيقة تهيأ الجيل الجديد للحياة النيابية التي يتم فيها انتخاب الحكام عن طريق التصويت ويعني ذلك أن الشعب له الحق في اختيار وتشكيل المجلس الحكومي وفي هذا السياق لما ألقى همايون كبير النظر على شؤون بلاده وجد أن الحكومة البريطانية تسلط الحكام الإنجليز على الشعب الهندي دون إعطائه أي دخل يذكر في تنظيم أو إدارة الأمور الحكومية ومن هنا عقد همايون كبير العزم على مقاومة ومكافحة الاستعمار باستخدام كافة الوسائل والفرص المتاحة له والمنظمات الطلابية التي التحق بها همايون كبير كانت تقدر مواهبه غير العادية ومؤهلاته العلمية والأدبية فلم يكن اشتراكه في فعاليات ونشاطات هذه المنظمات كعضو لا وزن له. بل كانت إسهاماته فيها بصفته سكرتيرا أو رئيسا لها وهذا الأمر ينم من جانب عن شدة اهتمامه بالمشاكل الطلابية

ومن جانب آخر برهن على أن زملائه ورفقاءه في الدرس كانوا يعترفون بمقدرته على معالجة القضايا المتعلقة بالطلاب. فكان همايون كبير ينظم من حين لآخر اجتماعات وندوات ومخيمات للطلاب بمنتهى اللباقة واللياقة وهكذا كان ينقل أفكاره الثورية إلى الآخرين ولم يكتف بذلك بل نشر آرائه الإنقلابية لقد نرتس الدورة المجلات والنشرات التي كانت تصدرها الأندية الطلابية.

وبعد قضاء حياة طلابية حافلة بالإنجازات انخرط همايون كبير في سلك مهنة التدريس. ففي عام ١٩٣٢ عين محاضرا في قسم الفلسفة بجامعة أندهرا الواقعة في مدينة " فالتير " إلا أنه رجع إلى ولايته في ١٩٣٣ إثر تعيينه على منصب المحاضر في جامعة " كولكاتا " ولم يدرس فيها إلا الفلسفة والأدب الانجليزي والاقتصاد حتى ١٩٤٠ ومن الصور التدريسية السالفة الذكر نستشف أنه كان بارعا في عديد من العلوم والآداب فكانت عنده شهادات جامعية في علم الفلسفة والسياسة والأدب الإنجليزي وعلم تدريس اللغة والاقتصاد وإضافة إلى هذا كله أنه كان واسع المطالعة وغزير العلم وكثير الترحال والتنقل. فكان يتبادل الآراء والأفكار مع المفكرين والأكاديميين البارزين المتواجدين في ذلك العصر كما كان يختلط مع عامة الناس للوقوف على متاعبهم ومشاكلهم. وخير شاهد على هذا القول باكورة إنتاجه المعنونة بـ" جان" والتي ألفها باللغة البنغالية في عام ١٩٣٦ وروايته الشهيرة " بدمانديا " وأعماله

الأدبية الأخرى سواء أهي في البنغالية أم في الإنجليزية. وكل من يطالع هذه الأعمال الرائعة يجد فيها الأوضاع الريفية التي تشتهر بها الهند في كل أصقاع العالم منعكسة فيها بطريق أحسن وذلك لأن همايون كبير لم يسرد فيها أحداث الريف فحسب بل حاول سبر أغوار هذه الأحداث والوقائع وهذه الميزة تدل على قوة ملاحظته وشدة اعتنائه بقضايا المجتمع الريفي التي قلما يكترث بها الساسة والحكام والمفكرون والأمراء. إن همايون كان في طليعة الأدباء والمثقفين الذين استلفتوا أنظار المستعمرين الأجانب إلى الأوضاع الريفية التي كان يعيش في وسطها الفلاحون الهنود وبجانب أعماله الأدبية الآنفة الذكر لهمايون كبير، فإن له كتابات جمة في اللغتين البنغالية والإنجليزية حول موضوعات متنوعة ومنها الفلسفة والاقتصاد والسياسة والتاريخ والاجتماع والشعر والأدب والقانون وما إلى ذلك. ومن مؤلفاته الشهيرة نخص بالذكر هنا: سياسة المسلمين (١٩٥٢م) والتعليم في الهند الجديدة (١٩٥٦) وتراثنا (١٩٤٧) صمونيل كانت (١٩٣٦) والمشروع القومي للتعليم في الهند (١٩٥٣) وبريطانيا والهند (١٩٦٠) وفلسفة التعليم الهندية (١٩٦١) ميرزا أبو طالب خان (١٩٦١) ورابندرا ناث طاغور (١٩٦٢) ومحمد حالي (نقله من الأردية إلى البنغالية في ١٩٤٣) ودراسات في الشعر البنغالي (١٩٦٤) وتاريخ الرواية البنغالية.

وما عدا هذه المؤلفات له مقالات وأبحاث قيمة تنم عن سعة معلوماته وبراعة فكره وكثرة مطالعته ودقة ملاحظاته ولا يختلف اثنان في أنه استخدم هذه المواهب كلها لتحسين أوضاع بلاده ورفاهية مواطنيه وعلى أساس هذه المواهب والميزات لم يزل يواصل هجماته على المستعمرين الأجانب حتى أجبرهم على شد رحالهم من شبه القارة الهندية في عام ١٩٤٧. وفي زمن تم فيه خروج الإنجليز من البلاد كان همايون كبير رئيسا لمؤتمر الإتحاد الطلابي على عموم الهند ويدل هذا على أن الطلاب الهنود تحت زعامته كانوا يكافحون ويناضلون الاستعمار الإنجليزي وهو كان يتمتع بثقتهم واعتمادهم على مواهبه غير العادية.

وبعد تحرير البلاد من ربقة الحكام الأجانب لم تتوقف نشاطاته وتحمساته في مجالات السياسة والأدب والتعليم وتنظيم شؤون البلاد ومن ثمة نلاحظ يترأس هيئة مديراه الصحيفة " ديلي سورراج" في الفترة ما بين ١٩٤٦ و ١٩٤٨. وفي عام الاستقلال أي في ١٩٤٧ أصبح عضوا للجنة المدرسات الثانوية والعليا التي شكلتها حكومة ولاية بنغال لتحسين مستوى التعليم في داخل الولاية وفي العام التالي استعارت خدماته الحكومة المركزية وعينته مستشارا مساعدا للتعليم العالي. وفي نفس العام اشترك في المؤتمر العام الثالث لمنظمة "يونسكو" بوصفه مندوبا للحكومة الهندية. وفي ١٩٤٩ تم تعيينه على منصب الوكيل المشارك للحكومة المركزية

وفي هذا العام ازدادت نشاطاته التعليمية أضعافا مضاعفة فتشاهده في هذا العام ينظم لأول مرة مؤتمرا لمنظمة " يونسكو " حول تعليم الكبار في القرى والأرياف ونظرا لنجاح هذا المؤتمر الدولي جعلته منظمة " يونسكو " عضوا للجنة الخبراء بشؤون الحرث والنسل كما طلبت منه إجراء الدراسة عن تاريخ التفاهم العالمي. وهذه الترقيات إن دلت على شيء فانما تدل على اعتراف العالم بمواهبه العلمية والأدبية. ومن هنا نجده في ١٩٥١ يزور عديدا من البلدان مثل إيطاليا وفرنسا وانجلترا وسويسرا وتركيا وإيران. وفي الأعوام التالية إنه تقلد مناصب عديدة كبرى، فعلى سبيل المثال إنه أصبح في ١٩٥٥ رئيسا لمجلس الجامعات الهندية الأعلى ويعد هذا المنصب في الهند القمة العليا لكل من له علاقة بمهنة التدريس والتعليم. ولا شك في أن تعيينه على هذا المنصب لقد تم بناء على خبراته الواسعة في مجال التعليم وقد استفادت أيضا من تجاربه التعليمية في وزارة المعارف المركزية التي كان يترأسها آنذاك العلامة الكبير أبو الكلام آزاد قائد حركة استقلال البلاد وصاحب مؤلفات قيمة في لغة "اردو" والذي أملى كتابه المشهور India Wins Freedom أي الهند تفوز بالحرية. ويروى في هذا الصدد أن العلامة آزاد كان يوضح له أفكاره وآراءه بلغة أردو وهمايون كبير كان ينقلها بمنتهى البراعة والدقة إلى الإنجليزية ومن الجدير بالذكر أن وزارة المعارف والتعليم العالي لقد أوفدته إلى بلدان عديدة مثل

اليابان وألمانيا وفرنسا وبريطانيا والاتحاد السوفيتي والولايات الأمريكية المتحدة لإلقاء المحاضرات وتبادل الخبرات في مجال طرق التدريس والتدريب، فحينما ذهب ترك بصمات عريقة على أذهان المفكرين والمثقفين والأكاديميين بنظرياته التعليمية العالمية.

ولا ريب في أن إنجازاته كهذه قد مهدت الطريق أمامه للدخول في البرلمان الهندي كعضو له وعلى أساس هذه العضوية تم في ١٩٥٦ اختياره كوزير للطيران الهندي، وهذا المنصب الكبير لقد أعطاه فرصة لخدمة بلاده إلا أنه سرعان ما وجد نفسه غير متكيف به وذلك لشدة ميوله إلى العلم والأدب والثقافة، ولذا طلب في ١٩٥٨ من المجلس الوزاري أن يخول له وزارة الأبحاث العلمية والشؤون الثقافية وإثر تحقيق هذه الغاية المنشودة انغمس في تطوير مستوى البحث والتحقيق في مجالات العلوم المختلفة وتنمية الموارد البشرية كما أنه قام بتخطيط البرامج العلمية وتصويب الأهداف البحثية التي لم يكن المطلوب منها إلا إبراز أهمية العلوم والتكنولوجيا في المشروعات القومية وذلك لأنه كان يعتقد اعتقادا كاملا بأن في هذا العصر لا يستطيع أي شعب من الشعوب أو أي بلد من البلاد الحفاظ على وجوده وحريته دون الرجوع إلى المختبرات والمعامل العلمية إذ هي منبع القوة الحقيقية ولا مناص منها إذا أردنا تحسين مستوى المعيشة القومية. فانطلاقا من هذه الفكرة دعا همايون كبير العلماء والأكاديميين الهنود إلى تكريس

جهودهم للمشروعات العلمية الهادفة إلى تعميم فوائد المخترعات الحديثة. وسرعان ما جهوده كهذه أتت أكلها إذ بدأ أصحاب العلم والتكنولوجيا يدركون دور الماكينات الجديدة في تحقيق الرخاء والرفاهية لعامة الناس. ومن الملاحظ هنا أن همايون كبير قد خصص مبلغا كبيرا في الميزانية القومية لرفع أوضاع الأساتذة المالية وبوجه خاص الذين كانوا يدرسون الهندسة والتكنولوجيا في المعاهد العلمية وقد أشار السيد إي. ور. دوند إلى هذه الحقيقة قائلا:

> " في عام ١٩٥٨م عندما أصبح همايون كبير وزيرا للأبحاث العلمية والشؤون الثقافية استخدم السلطة والقدرة المخولة له لنشر تعليم التكنولوجيا عبر البلاد وفي هذا المضمار أنه بدأ عمله بزيادة رواتب المعلمين العاملين في معاهد التكنولوجيا وكذلك جعل عدد المنح أضعافا مضاعفة لدراسة العلوم والتكنولوجيا في الكليات والجامعات وأنشأ خمسة معاهد تكنولوجية أولية في زمن وزارته وحتى الآن تعتبر هذه المعاهد حجر أساس في صرح تعليم الهندسة والعلوم في الهند. وهذه المعاهد في الحقيقة ذروة الكمال والرفعة في تحسين مستوى التكنولوجيا في البلاد، ولا ريب في أنها تجتذب إليها الطلاب الموهوبين من جميع أنحاء البلاد".

هذه الإنجازات والأعمال الريادية لقد أحرزت له شهرة واسعة في الخافقين وتتجلى هذه الحقيقة من كثرة أسفاره ورحلاته للدول والأقطار المختلفة، فمثلا في ١٩٥٩ أنه تلقى دعوة من السيد إس دبليو ار دي بندرانائكي رئيس وزراء سيلان آنذاك لزيارة بلاده وإلقاء المحاضرة عن شخصية رابندرانات طاغور الحائزة بجائزة "نوبل" في الأدب. وفي نفس السنة أنه توجه إلى الاتحاد السوفيتي على الدعوة من قبل حكومتها وألقى المحاضرات هناك، كما تبادل الآراء والأفكار وناقش مع علماء وأدباء السوفيت الموضوعات العلمية والأدبية والسياسية والتعليمية وأفاد واستفاد بوجه أخص من التجارب والخبرات في مجالات تدريس الهندسة والتكنولوجيا وفي العام التالي أي في ١٩٦٠ ذهب إلى كل من بريطانيا وفرنسا ويوغوسلافيا والولايات الأمريكية المتحدة وجمهورية مصر العربية، وشارك في الندوات والمؤتمرات والمراسم الحكومية الأخرى، وعرف سكان هذه الأقاليم بالجوانب المختلفة للثقافة والحضارة الهندية. ولتحقيق هذا الهدف إنه وضع حجر الأساس للبيت الهندي في باريس كما قام بإنشاء قسم الدراسات الهندية في جامعة "زغريب" في يوغوسلافيا. وفيما يتعلق بزيارته للولايات المتحدة، فإنه قام بها لإلقاء المحاضرة الافتتاحية في المؤتمر القومي الرابع للتعليم بمدينة "سان فرانسسكو" بولاية كاليفورنيا، ولقيت محاضرته هذه إعجابا وتقديرا من قبل الحضور

وذلك لأنها كانت تحتوي على تجاربه الذاتية التي قد باشرها في مجال التعليم ولا سيما في مجال الهندسة والتكنولوجيا. وتجدر الإشارة هنا إلى أن سلسلة زياراته العلمية والأدبية والرسمية لم تزل تستمر حتى أواخر حياته، واستفادت الهند والبلدان المعنية الأخرى من ثقافته الواسعة وتجاربه النافعة وأفكاره الساطعة وبراهينه القاطعة.

وبالرغم من هذه المميزات البارعة لا نسمع ذكرا في أيامنا هذه إلا في سياق العلامة الكبير أبو الكلام آزاد الذي أملى عليه كتابه الشهير " الهند تفوز بالحرية" ومما يبدو أن شخصية العلامة المذكور كانت بمثابة الدوحة المديدة التي لا تسمح لنبتة أو شجيرة بالنمو والازدهار تحت ظلها الوارف.

دور مسلمي الهند في تطور الطب اليوناني

- الدكتور الحكيم السيد محمد كمال الدين حسين*

ترجمة: فاطمة الزهراء**

لما تأسست الحكومة الإسلامية في الهند تروجت فيها علوم إسلامية شتى بما فيها الطب اليوناني. كان أطباؤها البارزون القدامى من أطباء ببلاط ملوك الهند وأمرائها وحكامها ومستوصفاتهم كانت تفيض كما يفيض بلاط الملوك فكان فيها يدرس الطب ويشفى المرضى وهؤلاء الأطباء كانوا قد تضلعوا من اللغتين: العربية والفارسية فلذا علموا بهما وكتبوا ومن هؤلاء الأطباء من اشتهرت أسرته بأطباء بارزين مشهورين ومنهم من حذق تلامذته في الطب حذاقة أخلدت أسماءهم في تاريخ الهند.

---

* كاتب شهير في مجال الطب وأستاذ سابق، بكلية أجمل خان الطبية، جامعة علي كره الإسلامية، عليكره.

** إحدى مترجمات الهند.

ونجد في تواريخ الهند وتراجمها ذكراً كثيراً لأطبائها البارزين ومما ترجمته من هذه الكتب ما هو مذكور فيما يلي:

أخبار الصناديد (للحكيم الشيخ نجم الغني الرامفوري) وتذكرة الأطباء (لشفاء الملك الحكيم محمد أحسن القرشي) وتذكرة الأطباء (للحكيم صلاح الدين النصفي) وتذكرة علماء الهند (للشيخ الحكيم رحمان علي) وتذكرة كملة رامفور (لأحمد خان الشوق) ونزهة الخواطر (للشيخ السيد عبد الحي) ورموز الأطباء (للحكيم فيروز الدين اللاهوري) وحياة أجمل (للقاضي عبد الغفار) وسير أجمل (للحكيم محمد حسان) وتذكرة الأطباء في العهد العثماني (للحكيم شفاء الحيدر آبادي) وتاريخ أيودهيا (للراجه دورغا برشاد) وتاريخ والراني (للسيد مظهر حسن) وتاريخ شاهجهانفور (للشيخ محمد صبيح الدين) والثقافة الإسلامية في الهند (للشيخ عبد الحي) وكنز التاريخ (لمحمد رضي الدين الصاحب بسمل) ولباب التواريخ (للخواجة محمد بشير الدين) والأطباء في العصر المغولي (للحكيم السيد كوثر الشاندفوري) وتذكرة مشاهير كاكوري (للحافظ محمد علي حيدر العلوي) وتاريخ كثرة سلطنفور (للمنشي عبد الله خان العلوي) وتاريخ سنديله (للراجه دورغا برشاد) وتاريخ راج بلرامفور (لطبنكر راج بهادر بهاتر) والسراج المنير (للدكتور الحكيم السيد محمد كمال الدين حسين) وتذكرة الأسرة العزيزية (للحكيم السيد ظل الرحمن) ولمحة عن خير آباد (للمفتي نجم الحسن الرضوي) وتاريخ دريا آباد (للمنشي برج بهو كن لال).

والطب اليوناني، ولو كان قد تروج في جميع ولايات الهند ونال تطورا بالغا، أسس له مركزان عظيمان في الهند ، أحدهما في دلهي والآخر في لكناؤ وهذا من فضل هذين المركزين أن الطب اليوناني قد طار صيته وسار ذكره في جميع آفاق الهند شرقا وغربا والتاريخ يدل على أن أول مركز تم تأسيسه هو مركز دلهي ثم جاء مركز لكناؤ ولكن هذا المركز الأخير قد خدم الطب خدمة تمتاز بها في هذا المجال. والمركز الدهلوي للطب اليوناني قد تأسس في عصر المغول وسيطر عليه أطباء العشيرة الشريفية كما نال أطباءها من الشهرة والحذاقة في مجال الطب ما عجز عنه الآخرون. إنهم بنوا أسلوبا جديدا في المستوصف، اختلف تماما عما تعوده الأطباء اليونانيون والعرب والفرس. إن هؤلاء الأطباء كانوا يعالجون المرضى بالمفردات في أن كانوا يستخدمون فيه المركبات والملكسات فقد نجح هذا الأسلوب في الهند وتبعه معظم أطباءها. إن مستوصف أطباء دلهي كان هو الأنسب بجو الهند وجغرافيتها وهذا هو السبب وراء إشاعته في كافة أرجاء الهند.

وقد خدمت الأسرة الشريفية علم الطب نحو ٤٠٠ عاما وهي التي لم تزل تدرس هذا الفن فاستفاد منها عدد كبير من أطباء الهند الذين عنوا به عناية تامة وهي التي أثرت كتبا عديدة حول الطب باللغتين: العربية والفارسية والذين تخرجوا فيها ثم يتخلفوا في هذا المجال.

والجد الأعلى لهذه الأسرة قد زار الهند مع الملك أكبر في ٩٢٦ ١م ونزل بحيدرآباد (السند) وأما الحكيم محمد الواصل خان والحكيم محمد الفاضل خان فقد أقاما بأكبرآباد (آغرة) وعينا من أطباء الملك في عصر الملك أكبر (١٥٥٦-١٦٠٥م) ونزلا بدلهي في عصر الملك شاهجهان.

وخلف الحكيم محمد الواصل خان ولدين كبيرين: الحكيم محمد اكمل خان والحكيم محمد اجمل خان وجهما حذقا في هذا الفن إلى حد نالا منصب أبيهما لدى الملك وقد صنف الحكيم محمد أكمل خان كتابا على موضوع " المعالجات" ولكن توفي قبل إكماله فاتمه ولده الحكيم شريف خان وطبعه وهو منسوب إلى هذا الولد الكبير.

وكان للحكيم محمد أكمل خان ولدان: الحكيم محمد شريف خان والحكيم محمد سعيد خان. ولد الأول في ٧٢٤ ١م، وصنف كتبا قيمة أمثال " علاج الأمراض" و " العجالة النافعة" و "التاليف الشريفي" و "خواص الجواهر" و "شرح السموم" والترجمات الفارسية لكتب القانون" و " المعالجات البقراطية" و "حميات القانون" و "رسالة ماء الجبن وتشويب تشيني" و "رسالة قوة الباه" وعلى علق "شرح الأسباب" و "النفيسي" كما قام بشرح كتاب " الموجز".

وكان للحكيم شريف خان أربعة أولاد حذقوا في هذا الفن وهم: الحكيم محمد أيوب خان والحكيم محمد شرف الدين خان والحكيم محمد حسن بخش والحكيم صادق علي خان. فالحكيم الأخير (الحكيم محمد صادق علي خان) صنف كتبا رائعة في هذا الفن وهي: "زاد الغريب" و "شرح معالجات القانون" و "خواص الأدوية والأغذية". توفي في ١٩ من شهر صفر عام ١٢٦٤هـ.

وكان للحكيم محمد صادق علي خان أولاد ثلاثة: الحكيم غلام محمد خان والحكيم غلام محمود خان والحكيم غلام مرتضى خان. فالحكيم الثاني مهر في هذا الفن ومستوصفه كان مشهورا لا في دلهي فقط بل في أرجاء الهند كلها. إنه خدم الأمة بكل رغبة ونشاط وبكل محبة وإخلاص. توفي في ١٣٠٩هـ. رثاه الشاعر الإسلامي الشهير حالي في قصيدة على حدة.

وقد خلف الحكيم غلام محمد خان ثلاثة أولاد سأذكرهم في هذا المجال وهم: الحكيم أبو سعيد عبد المجيد خان والحكيم الواصل خان ومسيح الملك محمد أجمل خان. أسس الحكيم غلام محمود خان حلقة منظمة لتدريس وتدريب طب العرب والحكيم عبد المجيد خان لم يواصل مسيرة تلك المدرسة الطبية فقط بل جد واجتهد لتطويرها وتنميتها. لقبته الحكومة الإنجليزية بـ" حاذق الملك". توفي الحكيم في ١٩٠١م وكان له مستوصف مشهور بين الناس.

ولما جاء عصر مسيح الملك محمد أجمل خان واجه تحدي الحكومة الإنجليزية التي كانت ترغب في ترويج وإذاعة علومها وأفكارها في الهند وهي قد أسست مدارس وكليات لتعليم الطب الغربي وسعت لها سعيها ومسيح الملك قد بدأ حملة تأسيس الكليات الطبية وقام بتأسيس كلية سماها" كلية طب أيورويد ويوناني" بقرول باغ بدلهي وهي الآن على وضعها القديم تترقى وتتطور وبعده بقليل قام الحكيم عبد العزيز اللكنوي بتأسيس كلية بلكناؤ تسمى بـ" تكميل الطب" ثم تبعها الأطباء وأسسوا كليات عديدة في علي گره ولاهور وحيدر آباد وبتياله وبهوبال وإله آباد وبتنة وسلهت.

وقد شعر الحكيم أجمل خان بأن لابد من سد نقائص الطب اليوناني في ضوء العلوم الحية وعلوم الطب الحديثة فأسس لذلك معهدا ووضع أصولا لتجديد الطب، بدأ في ضوءها تأليف الكتب الدراسية في الطب باللغة الأردوية وهذه الحركة التي أقامها الحكيم محمد أجمل لتجديد الطب، قد نالت قبولا وتكللت بالنجاح ونظرا لهذه الوجهة الجديدة المخلصة، صنف متخرجو كلية الطب بدلهي والأطباء الآخرون كتبا مفيدة عن الموضوعات المتعددة في الطب اليوناني وهكذا استنار الطب اليوناني بالعلوم الجديدة وعلوم الطب الحديثة وتحول من هلال لطيف إلى بدر كامل.

وبعد ما توفي مسيح الملك قام في دلهي تلميذ له رشيد يسمى " العلامة الحكيم محمد كبير الدين" وصنف كتبا متعددة قيمة في الطب وسما به من الثرى إلى الثريا وقام بالبحث عن الكليات والمعالجات وعلم الأدوية والتشريح والمنافع والجراحة والمستوصف وصناعة الأدوية وهذه هي التي سهلت تدريس علوم الطب اليوناني باللغة الأردوية وقد أصدر مجلتين بالأردوية إحداهما " المجلة الطبية" والأخرى " المسيح" وهما لم تزالا تنشران المقالات ذات المستوى الأعلى للأطباء الحذاق في مختلف موضوعات الطب وقد طبع الحكيم أيضا في صورة فنية جذابة كتابي " كليات القانون" و "شرح الأسباب" بعد ما ترجمهما إلى الأردوية وعلق عليهما وصححهما. وهذه هي خصوصيات الحكيم التي جعلت كتبه مقبولة لدى كافة كليات الطب ومعروفة في بلاد الهند.

وقد قام شفاء الملك الحكيم محمد الحسن القرشي بتأسيس مركز كبير في لاهور وصنف كتبا قيمة عن علوم الطب، رفعت مستوى علم الطب العلمي والعملي. فكتب "جامع الحكمة" و "سلك مرواريد" و "طبي فارماكوبيا" من المؤلفات المختارة في هذا الفن وهي تشمل كلا الجانبين: العلمي والعملي وقد أصدر رسالة عن لاهور سماها" مشير الأطباء" نشر فيها مقالات معيارية حول الطب كما نشر عن نفس المنطقة مجلتين شهيرتين "الحكيم"

و"حامي الصحة" وقد ألف الأكباء كثيرا كتابا " رموز الأطباء" و "معدن الإكسير" وغيرهما من الكتب. أسس مسيح الملك الحكيم أجمل خان بنفس ساران "مخزن الأدوية الهندي" لإعداد الأدوية المركبة المعيارية الصحيحة أجزاءها وتوفير الأدوية الصالحة المفيدة، وهو يوفر الأدوية لا في الهند فقط بل في غيرها من البلاد الأخرى. وهذه خطوة تذكارية اتخذها مسيح الملك لنشر الطب اليوناني وإذاعته في الهند وفي العالم كله.

وقد أسس مسيح الملك لجنة لعموم الهند للمحافظة على حقوق الطب والأطباء باسم "اللجنة الطبية لأيورويد والطب اليوناني لعموم الهند" وهي قد تحولت فيما بعد إلى " اللجنة الطبية اليونانية لعموم الهند" نظرا لاختلافات أطباء لكناؤ التي حدثت فيما بعد.

في يومنا هذا عزز مركز دلهي الطبي الحاج الحكيم عبد الحميد. إنه أسس مصنع الأدوية لهمدرد بلال كنوان بدلهي وهذا المصنع قد ترقى وتطور إلى حد وجدت له فروع عديدة في جميع مناطق وولايات الهند. إنه وجه التفاتة تامة إلى فن تصنيع الأدوية والجانب الاقتصادي للمركبات ورفع مستوى المركبات اليونانية أخذا عن الأصول الجديدة للبحث والتحقيق. وعلى جانب مصنع همدرد، قد قام بتأسيس معهد في تغلق آباد باسم " معهد تاريخ الطب والبحوث الطبية" وألحق به القيام ببناء مكتبة طبية هي كخزينة للكتب النادرة الرائعة كما ألحق بهذا المعهد، الجامعة الطبية التي

تطورت فيما بعد وأصبحت كلية الطب ليهمدرد وكان هو رئيس اللجنة الطبية اليونانية لعموم الهند وإنه قد اتخذ خطوات حكيمة عملية لخلود الطب اليوناني في الهند، نال بفضلها الطب اليوناني درجة ممتازة رفيعة في الهند حتى أن اعترفت به الحكومة الهندية وقامت بتأسيس اللجنة المركزية للبحوث الطبية وتطوير الطب.

هذا ما ذكرناه من خصائص المركز الدهلوي للطب اليوناني ومميزاته والآن نرجع إلى ذكر بعض الخصائص لمركز لكناؤ فقد تأسس المركز اللكناوي للطب اليوناني في العصر الذهبي لأمراء العصر (١٧٢٢-١٨٥٦م) وذلك أن مركز أوده لما انتقل إلى لكناؤ ارتحل معظم الأطباء إلى لكناؤ ومن بينهم الأطباء الحذاق وهذا لأن حكومة أوده كما قدرت العلوم الأخرى فكذلك عظمت فن الطب وهي كانت تحب أن يتطور هذا العلم في ظلال أمرها وحكمها وقد بدأ يرتحل الأطباء الحذاق لكشمير ودلهي منذ عصر برهان الملك إلى فيض آباد (المركز الأول لحكومة أوده) لا سيما عصر الأمير شجاع الدولة بهادر (١٧٠٤-١٧٩٩م) فقد ارتحل فيه كافة أطباء دلهي إلا قليلا ولما صارت لكناؤ عاصمة لحكومة أوده في عصر الأمير آصف الدولة غادرها معظم أطباء دلهي المهنيين إلى لكناؤ ونال فن الطب فيها تطورا عجيبا. ومن هؤلاء الأطباء من كان من أشراف وأعيان ووزراء الحكومة وكانوا يديرون الدولة فقد أسسوا مستشفيات في لكناؤ تصنع فيها الأدوية ذات المستوى الأعلى

حسب أصول علم الصيدلة وقد تطور هذا الفن في لكناؤ إلى حد لم تبق أية محلة شهيرة في لكناؤ لم يكن فيها أسرة للأطباء المهرة حتى أنه قد سكنوا في نواحي وضواحي المدينة ومستوصفهم كان يعمل عملا ذا مستوى رفيع ويدرس فيه العلم كما يزوره المرضى وقد تأسست "دار الشفاء" بمفرق لكناؤ بعناية منتظم الدولة الحكيم ميرزا مهدي علي خان في عصر الأمير نصير الدين حيدر وأول من أدارها هو الحكيم ميرزا علي أكبر ولد الحاج غوغاني وبدأت حلقة لتدريس العلوم الطبية وهذا المستشفى موجود حتى الآن ودليل بين على عظمته القديمة.

في ١٩٢٧م تأسست، في هذا المستشفى، المدرسة الطبية المدعمة من قبل الولاية التي عين أول عميدها خان بهادر الحكيم ميرزا نظير حسين وبعد مدة صارت هي كلية ونقلت من المفرق الملكي بدار الشفاء إلى شارع نون نيال بأشرف أباد بلكناؤ في عام ١٩٣٩م وعين عميدها الحكيم محمد أمين ولد شفاء الملك الحكيم عبد الحسيب النريابادي.

وخلا في عاصمة أوده وفيض أباد ثم لكناؤ حكماء بارزون يحقل بذكرهم التاريخ ومنهم : الحكيم السيد الشاه خيرات علي والحكيم ميرزا بشو والحكيم ميرزا كوتشك ومنتظم الدولة الحكيم ميرزا مهدي علي خان والحكيم شفائي خان وحكيم الملوك ميرزا علي وحكيم الدولة ميرزا حسن علي خان والحكيم صالح خان

والحكيم محمد علي الفياض وشفاء الدولة الحكيم فضل علي خان الفيض آبادي ومسيح الدولة طبيب الدولة حكمة الدولة الحكيم مير مرتضى والحكيم بربر علي والحكيم ميرزا هيغا والحكيم السيد جعفر حسين والحكيم بنده رضا والحكيم السيد محمد أصغر والحكيم محمد يعقوب وغيرهم من الأطباء البارزين المشهورين الذين يمتاز بذكرهم تاريخ أوده مكتوبا كان أو مخطوطا. إنهم ترسموا الطب باللغتين: العربية والفارسية وبقيت أسرتهم تقتدي بهم كما نشر تلامذتهم في مختلف أرجاء البلاد عاملين هذا الفن ومصنفين على مختلف موضوعاته.

ومن أسر أطباء لكنو التي اشتهرت في الطب وأثرت أعمالا مجيدة في هذا المجال أسرة الحكيم محمد يعقوب. هذه أسرة شهيرة في الطب نزلت بمحلة " جوائي" وهي أنجبت بأطباء مشهورين وجد الحكيم محمد يعقوب (الشيخ) عبد الصمد غادر كاشمير إلى لكناؤ في عصر آصف الدولة في نحو ١٧٥٠م. تلقى محمد يعقوب علوم الطب على الحكيم السيد محمد أصغر الحسيني الدهلوي الذي سافر من دلهي إلى فيض آباد مع ولده مير محمد مرتضى في عصر الأمير شجاع الدولة بهادر ثم ارتحل إلى لكناؤ في عصر الأمير آصف الدولة حينما أصبحت لكناؤ عاصمة أوده.

ويعد ما برع الحكيم محمد يعقوب في الطب جعل يعالج الناس ويدرس هذا العلم الشريف وتبعه أولاده وحفدته فساروا

حذاقا في الطب ومن أعضاء أسرته الحكيم السيد عبد العزيز الذي قام بتأسيس " مدرسة تكميل الطب" بمحلة " جواي" بلكناء في ١٩٠٢م. عني بعلم الجراحة وتطورت هذه المدرسة تطورا بالغا فصارت كلية وقد أسس شفاء الملك عبد الرشيد مستشفى وعني ولده الآخر الحكيم عبد الحميد بعملية التشريح وبنى قاعة خاصة بها وفي الأخير رفع شفاء الملك الحكيم عبد المجيد مستوى " كلية تكميل الطب" وسما به من الثرى إلى الثريا.

فقد أصدر شفاء الملك الحكيم عبد المجيد رسالة شهيرة باسم "خاتم الأطباء" والحكيم عبد الحليم كان نائب الرئيس لمجلة " خاتم الأطباء" ومشرفا على مجلة "الطبيب" الشهرية الصادرة عن لكناؤ وقد نشر الحكيم عبد الحليم رسائل مفيدة في الطب من مثل "المفردات العزيزية " و"المجربات العزيزية" و"تكميل الجراحة" و"ما لا يحفوه الطبيب" و"حل المعضلات المشكلة في أصول علم الأدوية" و"دستور الأطباء" في أصول العلاج وهي أفادت الطلاب والأطباء كثيرا وقد عين شفاء الملك الحكيم عبد اللطيف عميدا بكلية الطب بجامعة علي كره الإسلامية. إنه طبع رسائل مفيدة مثل " رسالة النبض" و"ترجمة الأدوية القلبية" و"مساهمة الهندوس في طبنا" وقد نشر الحكيم ظل الرحمن مجموعا لمقالاته القيمة باسم "تجديد الطب" عن اللجنة التذكارية لشفاء الملك الحكيم عبد اللطيف بعليكره.

في ١٩١١م أسس أطباء لكنؤ منظمة طبية للمحافظة على الحقوق الطبية. عين الحكيم مير السيد محمد النواب رئيسا لها والحكيم محمد باقر والحكيم حسن رضا خان نائبين للرئيس والحكيم محمد تقي أمينها وهي التي لعبت دورا مهما في تحويل "الاجتماع الطبي لأيورويد والطب اليوناني لعموم الهند" إلى "الاجتماع اليوناني الطبي لعموم الهند".

وقد ترجم العلامة الحكيم الشيخ السيد غلام حسين الكنتوري اللكنوي في الطب الكتابين الدراسيين إلى الأردية: "القانون في الطب" للشيخ الرئيس أبي علي حسين بن سينا و"كامل الصناعة" للحكيم أبي الحسن علي بن العباس كما قام بشرحهما وهما قد طبعا من مطابع منشي نول كشور بلكنؤ. إنه كان مشرفا على مجلة "مفتاح الأسرار" وحض الأطباء على أن ينشروا مجرباتهم الطبية في الرسائل كي يستفيد بها عامة الأطباء ويتطور الطب. إنه قام في هذا المشروع فطبع كتابين أحدهما "رموز الأطباء" والآخر "خزينة الأطباء".

وقد أسس شفاء الملك الحكيم فضل علي المعروف بمبين مصنعا للأدوية على شارع وكتوريه، سماه " معدن الأدوية" وهو لم يزل موفرا للأدوية المركبة ذات المستوى الرفيع. إنه أصدر مجلة "دليل الصحة" الشهرية وترجم ولده الحكيم صاحب عالم كتابا معروفا في المعالجات " غني منى" إلى الأردوية ونشره كذلك.

والموضوع يقتضي حديثا طويلا وتفصيلا مزيدا ولكن نكتفي بهذا القدر القليل ونترك للقراء مجالا لمزيد البحث والتأليف.

البقرة في مختلف الأديان والحضارات

- الأستاذ بدر جمال الإصلاحي*

ترجمة: الحكيم محمد أحمد خان القاسمي**

مدخل إلى الموضوع:

جاء ذكر " البقرة" في القرآن الكريم بشيء من التفصيل في سورتي " البقرة" و " يوسف". سميت السورة الأولى بنفس الكلمة " البقرة" والسبب وراء هذا مجيء هذه الكلمة فيها فقد أمر الله اليهود بذبح بقرة رحيمة عذابا لما أفسدوا وركبوا الجريمة ولكنهم لم يفعلوا وجاءوا بمشكلات وأسئلة عديدة عن الامتثال بهذا الأمر الرباني. يوجد تفصيل هذا كله في الآيات ٦٧-٧١ من هذه السورة.

وأما سورة يوسف فقد جاء ذكرها لدى رؤية عزيز مصر حدثا خطيرا في المنام، لم يستطع بتأويله علماء تلك الدولة فدل عليه

---

* أستاذ اللغة العربية وآدابها، مدرسة الإصلاح، سرائي مير، أعظم كره، ولاية أترابراديش.

** كبير أطباء الحكومة الهندية، مستشفى مهرولي، نيودلهي

يوسف الذي كان في السجن آنذاك فسر به عزيز وفرح. راجع تفصيله في الآيات ٤٣-٤٩ من هذه السورة.

مصر بلد وسيع يكثر فيه الزرع والنسل ولذلك فقد نالت البقرة أهمية كبرى فيها لأنها كانت تحرث الحقول وتميز البذور عن القشور وتعطي الألبان التي هي نعمة كبرى للحياة والعراق أيضاً كانت تحظى بنفس الوضع الجوي والعمراني فقد كانت البقرة تحصل على نفس الأهمية والدرجة والدليل على ذلك بداية حروف المصريين بكلمة تشبه قرن البقرة كما كانوا يعتقدون بأن الدنيا تبقى قائمة على قرني البقرة.

أهميتها في بلاد الهند:

والهند أشهر البلاد وأسبقها في الإيمان بالبقرة والمحبة لها فإنها مقدسة لديهم ومكرمة فيهم ويظنون أن برازها وبولها طاهران لا نجاسة فيهما فيطلون ببرازها الجدران والفرش كما يعبدون تمثالها في المعابد وأما محبة كريشن جي (أحد كبرائهم وأعلامهم) للبقرة وارتباطها فلاحاجة إلى ذكرها فإنها معروفة معلومة لكل منا وهي أظهر من الشمس وأشهر من النار على العلم والآن وقد حظروا ذبحها وتحرمها في بلادهم كما فعل ذلك أكبر من قبل وهو ملك مغولي شهير ذي سعة الافاق وحكمة الإدارة وفطنة الذهن والعقل.

جانبها اللغوي:

والبقرة اسم للجنس تطلق هذه الكلمة على المذكر والمؤنث كليهما، جمعها أبقار وأما "التاء" في "البقرة" فهي للوحدة وجمعها "بقرات" وإذا أريد التمييز بين المذكر والمؤنث فيقولون "هذا بقرة وهذه بقرة"[1].

وتطلق كلمات "بقير" و"بقران" و"باقر" على جماعة البقرات كما تطلق هي على أربابها رعاة "البيقور" فهي تعني جماعة البقرات. يقول ورل الطائي:

أجاعل أنت بيقورا مسلعة

ذريعة لك بين الله والمطر[2]

يسميها بعض قبائل العرب "الباقورة"[3] فقد جاء في رسالة بعثها النبي صلى الله عليه وسلم إلى اليمنيين عن نصاب الزكاة:

"وفي كل ثلاثين باقورة بقرة"[4]

والبقرة مصدرها بقر يبقر بقرا، أي: شقه[5]، جاء في حديث الإفك:

"إن عائشة لم تعرف شيئا حتى بقرت أم مسطح بها"[6]

البقرة في مختلف الأديان والحضارات

بقر يبقر بقرا : انشق. سميت البقرة بقرا لأنها تشق الحقول عن طريق الحرث.

لقب الإمام محمد بن علي زين العابدين بن حسين بن علي "باقر" لأنه شق سبيل العلم ورسخت قدماه في مجال العلم.

وكذلك بعضهم لقب "الباقر" للمرأة التي يشق بطنها ويخرج منه الولد كما يسمى به المتنبي الذي ليس فيه الكم والنحر[2].

وأما ولد البقرة فهو يسمى " العجل" جمعه عجول، جاء في القرآن الكريم:

"قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذ"[3]

ولو أن كلمة " البقرة" تستخدم للبقرة والثور كليهما ولكن هناك كلمة خاصة للمذكر وهي " الثور" جمعه ثيران وثورة. يكنى الثور بـ"أبي العجل" والسبب وراء تسميته بهذا مذكور في كتاب الحيوان هكذا:

"سمي الثور ثورا لأنه يثير الأرض كما سميت البقرة بقرة لأنها تبقرها"[4]

يكون صوت الثور مختلفا عن صوت البقرة. يقال لهذا الصوت "خور" و"خوار".

أهميتها لدى الآخرين:

كان الألمانيون يعبدون الثور في الماضي ويعتبرونه إله الكهرباء ثم عبدوه إله الحرب الذي كان يحمل مطرق السحر ويلبس قفاز الحديد، ولكنه عربة يجرها الرعد وهو معروف في شفقته بالناس ومحبته لهم. وهذه الإلهة تسمى "المشتري" وهناك يوم رابع معروف عند الإنجليز يسمى شبه يوم الخميس بـ "يوم الجوبيتر" أو "يوم الثور"[1].

ذات مرة خرج كسرى للصيد فرافقت الغيوم وهطلت السماء تمطر حتى أمسى فبات الملك لدى فلاح كضيف له. حلب الفلاح بقرته وقدم الحليب إليه. شاهد كسرى أن البقرة أعطت حليبا كثيرا فأراد أن يزيد في خراج الفلاحين ولكن لما أراد الفلاح أن يحلبها في الصباح قد نقصه وجف اللبن فقالت ابنة الفلاح أن الملك لأراد سوءا بنا فسمع الملك هذا وانتهى عما أراد فأعطت البقرة نفس قدر الحليب في المساء[2].

كان العرب يربطون النار في ذنب البقرة في أيام الجدب وكانوا يسحبون العجل عنها جاعلين إياه في صخرة فكان الله يرحم على عباده ويمطر مطرا غزيرا[3].

ما ظنك عن قوة البقرة وفوائدها؟ سخرها الله للناس ولكنهم يعبدونها فلا يتفكرون ولا ينظرون فيما يعملون.

حيوانات أخرى من جنسها:

وهناك حيوانات من جنس البقرة، توجد في مختلف بلاد العالم مثل " الجاموس" الذي يوجد في جنوب شرق آسيا وجنوب أمريكا وافريقيا و "غنو" (Gnu) الذي يوجد في افريقيا و " الياك" (الخشفاء) في تبت و آسيا الوسطى و " المهاة" في البلاد العربية.

كلمة بهينس "(Bhains) تخفيف لكلمة " غو بهينس" (Gau Bhains) وهي كلمة سنسكريتية تعني " البقر الوحشي" وهي مركبة من " غو" و " بهينش" فالكلمة الأولى تعني " البقرة" بينما الأخرى تدل على " البيداء" . سارت هذه الكلمة إلى بلاد أخرى وتغيرت صورتها شيئاً فهي صارت " كاو ميش"(Gau Mashi) و "جاموس" تعريبها.

يعطي الجاموس أكثر وأطيب لبناً من البقرة وهو أحسن وأفضل جسداً منها. يقول الامام الجاحظ:

> " الجواميس ضأن البقر وهذا يقتضي أنها أطيب وأفضل من العراب حتى أنها تكون مقدمة عليها في الأضحية كما يقدم الضأن فيها على المعز "[١].

وقال العلامة الزمخشري في كتابه " ربيع الأبرار ":

"أشرف السباع ثلاثة الأسد والنمر والببر وأشرف البهائم ثلاثة الفيل والكركدن والجاموس"(١).

ويوجد عديد من أنواع البقرة حسب مناخي وأجواء البلاد المختلفة وهي :

١ - بقرة جرسي: إنها توجد في جرسي (Jersey) لونها أصفر ضارب إلى الحمرة ورأسها وما يليه أصفر ضارب إلى السواد. إنها أكثر وزنا من البقرة وحليبها سنويا يبلغ ٣٢٠٠ كيلوغرام.

٢ - بقرة نندي (Nandi) : توجد في شرق آسيا كما توجد في الهند. تسمى "بقرة عربانة" في العربية. لها ألوان عديدة: البيضاء والسوداء والحمراء والصفراء. تتميز عن غيرها من البقرات بوجود سنام الشحم على كتفها.

وغيرهما من الأنواع التي لا تعني هذا الموضوع ذكرها.

وكذلك كانت توجد أنواع عديدة من جنس البقر الوحشي في غابات أفريقيا والهند مثل "كور" و"أرنا" و"بانكثرن" و"النيل كاي" و"يابي" و"المها".

في الزمن القديم كانت جزيرة العرب مملوءة من بقرة المها. قد كثر ذكرها في كلامهم القديم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم

لما بعث خالد بن الوليد في ٩ هـ لكبح جماح أكيدر بن عبد الملك الكندي ملك دومة الجندل:

"إنك تجده يصيد بقر الوحش"[1].

فلما دنا خالد بن الوليد من قلعة الملك رأى أن بقر المها تأتي من كل جانب وتضرب جدران القلعة بقرونها، خرج الملك راكبا فرسه، مزينة بملبس فاخر لكي يصيدها فالقبض عليه فرسان خالد ورجع به إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فدعاه النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام ولكنه لم يؤمن فأطلقه شريطة أن يؤدي الجزية.

البقرة في دين الإسلام:

أجمعت كافة مذاهب الأمة المحمدية على أن لحم البقرة وحليبها يجوز تناولها فقد روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما:

"سمن البقر وألبانها شفاء ولحمها داء"[2].

وروي عن عائشة رضي الله عنها في صحيح البخاري:

"أن النبي صلى الله عليه وسلم ضحى عن نسائه بالبقر"[3].

أما زكوة البقرة فتبيع على كل ثلاثين سائمة التي مضت عليها سنة كاملة ومسنة على أربعين سائمة والتي حال عليها الحول.

فقد روي عن طاوس :

" إن معاذ بن جبل أخذ في كل ثلاثين من البقر سائمة تبيعاً وفي كل أربعين مسنة وأتي بما دون ذلك فلم يأخذ منها شيئاً"(١٣).

الهوامش

١. كتاب الحيوان للجاحظ ٤/٦٠٢
٢. أبو داود في الزكوة، النسائي في الزكوة
٣. المنجد و المعجم الوسيط مادة ب ق ر
٤. حياة الحيوان الكبرى لكمال الدين الدميري ٢٠٢/١
٥. المنجد و المعجم الوسيط مادة ث و ر
٦. سورة هود : ٦٩
٧. حياة الحيوان ٢٠٣/١
٨. الموسوعة العربية الميسرة لمحمد شفيق غربال
٩. مواعظ الملوك و السلاطين لابن الجوزي
١٠. حياة الحيوان للدميري وديوان العرب و الاسلام لطلعت حرب
١١. كتاب الحيوان للجاحظ وحياة الحيوان للدميري ٤٠٢/١
١٢. ربيع الأبرار للزمخشري ص ٧٠
١٣. رواه البخاري في الهبة وبدء الخلق و الحج و الاستئذان ورواه مسلم في فضائل الصحابة

١٤. حياة الحيوان للدميري ٢/٤٢١

١٥. الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي ٦/٤٠٤١م

١٦. نفس المصدر

١٧. نور دفون في التذكرة

ضرورة أدب الأطفال وقضاياه

- عبد المبين الندوي*

ترجمة: محمد ثنيث إدريس التيمي**

الأطفال لهم مكانة مرموقة في كل ملة كما هم أمانة مقدسة فيجب علينا صيانتهم وتربيتهم المناسبة جسميا وعقليا وفكريا. إنهم يجدرون بأن نزودهم بالعلوم والنماذج الأدبية التي تسد احتياجاتهم وتوافق نفسياتهم وتجمع بين الأدب الفكري والتسلية الطبيعية وتسبب للازدهار في العلم وتتعاون في تقويم السلوك حتى يصبحوا نشأ مجيدا ومدنية مثالية.

إنني في هذه المقالة المتواضعة سألقي الضوء على أدب الأطفال وأهميته وقضاياه.

---

* أستاذ اللغة العربية، جامعة رياض العلوم، دلهي

** مترجم خبير، دلهي

رعاية السن:

وأهم ما يجب الاهتمام به بشأن أدب الأطفال هو رعاية سن الأطفال ومبلغ علمهم واستعداداتهم ومواهبهم ومستوى الذكي والقبول عندهم وكذلك مجرى عقلهم وذكائهم والعناية بسلوك زملائهم ومعاصريهم فيما حولهم بما فيهم من عناصر خلابة يتأثر بها الطفل في أول وهلة. فربما يفقد نفسه في دنيا الخيال ويظل قائما وتارة يخوض في القصص الأسطورية ومسحرة بجنانها وجمالها فتحدث يوما فيوما تغييرات في هواية الطفل وتشكل ميوله صورة مختلفة فحينئذ تمس الحاجة إلى أدب خاص يليق بالأطفال ومستواهم حيث توجد فيه اللطافة الأدبية والحلاوة اللسانية بالكفاية.

ما هو الأدب:

الأدب هو تأدية الكلام بحسن ونظام وإيصاله إلى أعماق الشعور حتى يتحقق الهدف وأما موضوع الأدب فهو وسيع جدا ولاتساعها لا يحتاج إلى أي لسان أو بيان ولا ينحصر في عويل أو بكاء ولا في حزن وسرور بل يحيط بجميع مشاعر الإنسان وألوان الفطرة.

فالأدب شيء جامع وشامل لموضوعات كثيرة ومثله كمثل البكاء والضحك اللذين يغنيان عن عواطف الجنسية والانطواء على فن. ولا يتصوران حقيقيا إلا إذا كانا خاليين من مظاهر التكلف

والتصنع لأنه من الطبيعي أن المرء لا يبكي إلا لأمر سيء أصابه ولا يضحك إلا لأمر جميل سره.

يقول الأستاذ سيد أبو الحسن علي الندوي:

"الأدب أدب ولو كان من قول رجل متدين أو من قول رسول أو من صحيفة سماوية بشرط أن تتم تأديته بأسلوب رشيق تتأثر به القلوب ويطمئن به العقل ويستلزمه السامع".

ويقول سماحته أيضا:

"ولكن الأدباء المتأخرين قد أضافوا إليه بشرط وهو الاستهزاء بالأديان والمذاهب وبطلان هذا الاتجاه واضح لأن الأدب شأنه شأن الورد الذي يكون دائما وردا ولو تم تشجيرها في صحن المسجد أو حانة الخمر".

تاريخ أدب الأطفال:

قد ركز الدكتور شكير زيدي الأضواء على العهد الابتدائي لأدب الأطفال قائلا:

"ولو أن بواكير آثار أدب الأطفال توجد منذ عهد حركة تحرير البلاد الأولى تقريبا.

وذلك خلال القرن التاسع عشر الميلادي ولكن مسيرته تبدأ بشكل واضح قبل نهاية القرن العشرين حينما قام النمو لأننا نشهد

حسين أو لا والمولانا محمد إسماعيل الميرتهي بقرض الأشعار وإعداد الكتب الدراسية ولكن فضل التقدم يرجع إلى الشاعر نظير أكبر أبادي الذي نظم أشعار تسلية في القرن التاسع عشر الميلادي والتي تقرأ اليوم بغاية من الرغبة.

آثار تقسيم البلاد على أدب الأطفال:

يكشف الدكتور خوش حال زيدي (الدكتوراه في أدب الأطفال) القناع عن المراحل التاريخية والتدريجية لأدب الأطفال في كتابه " أدب الأطفال في الأردية" فيقول:

" قد تعرضت البلاد لأزمات كثيرة بعد الإستقلال. وفي عام ١٩٤٧ لما اتسعت الفجوة بين القوميين كنتيجة عن التقسيم ظلت موضوعات المساواة والمحبة الإنسانية تفوق اللغات كلها وكذلك بذلت الجهود في ترسيخ هذه المشاعر في قلوب الأطفال".

وفي السنوات الخمسين الأخيرة تقلبت البلاد على جميع جهاتها كالسياسة والأخلاق والأدب والإقتصاد والتي نتجت عن التأثيرات على اللغات والأدب بصفة عامة ولم يعد بإمكان أدب الأطفال أن يسلم من تلك الملامح فاتخذت الكتب الدراسية وأدب الأطفال كوسيلة إلى تكييف اتجاهات الأطفال من المتطلبات الجديدة في الهند الجديدة التي خلقت جوا صالحا في هذا الأدب، ومن الجدير بالذكر أن باندت جواهر لعل نهرو رئيس الوزراء الهندي الأول

والدكتور ذاكر حسين رئيس جمهورية الهند الأسبق قد ركزا اهتماماتهما على تطوير أدب الأطفال بصفة خاصة.

قضايا أدباء الأطفال وموقف منشآت النشر منهم:

حينما نلقي النظر على أفق الأدب قبل أربعين أو خمسين سنة نرى قائمة طويلة من الكتاب والمهتمين بأدب الأطفال ونلاحظ بوجه خاص أن أزماتهم ومشكلاتهم مازالت ولا تزال تختلف وتتعدد في كل عصر وزمن ومنها:

أولا: إنه لا يوجد أي دلالة مناسبة بصدد أدب الأطفال.

ثانيا: إن الكتاب الذين يجترئون على كتابة هذا الأدب الصعب ويبذلون قصارى مجهوداتهم الجبارة في إعداده يحرمون من التعويض المناسب في أكثر الأحايين ويتمتع الناشرون والتجار الخواص بالنفع المادي ولا يرجع إلى الكتاب إلا الفقر والإهمال. ولقد خصصنا هنا بذكر الناشرين الخواص لأن حظ المنشآت والمنظمات على عكس منهم لكونها أمانة قومية فإن رغبت هذه المنشآت فهي خير لها ومستقوى بها وأبرز مؤسسات النشر التي أسهمت في نشر أدب الأطفال هي: ندوة العلماء بلكناؤ، ودار المصنفين بأعظم جراه، والجامعة الملية الإسلامية بنيودلهي، وندوة المصنفين بدلهي، وجمعية أهل الحديث المركزية لعموم الهند بدلهي، الجامعة الإسلامية المركزية بنيودلهي، ومكتبة الحسنات

بلاهور، ونيشنل بك ترست (جمعية الكتاب القومي) بدلهي. ولا شك أن جهود هذه المؤسسات في خدمة هذا الأدب غالية ويجدر بأن تقدر ويثنى عليها لأنها قامت بنشر الكتب الدينية والترجمية وغير الدراسية من النظم والرواية والمسرحية والقصة والقصة الصغيرة والمواد الاستعلامية والتربوية.

ولقد كان من الطبيعي أن يحدث التغير في موضوعات هذا الأدب بعد تقسيم البلاد، فأكب الأدباء والكتاب والمصنفون على توحيد عناصر المتطلبات العصرية للبلاد وقاموا بإحاطة مشاكلها في تحريراتهم.

ومن الجدير بالذكر أن عدد كتاب الأدب في اللغة الأردية يربو على مجموع كتاب اللغات المحلية الأخرى وفقا لفهرس كتاب "أدب الأطفال في اللغات" لمؤلفه الدكتور كيه ليه جمنا، أن ثلثا من كتاب أدب الأطفال ينتمون إلى اللغة الأردية ومصنفيها وشعرائها والثلثين الباقيين يكونان من كتاب جميع اللغات المحلية الأخرى التي تبلغ عددها إلى ٢٤، ومنها اللغة الهندية.

وإن الأدباء والشعراء الذين لهم نصيب وافر في توفير التراث الأدبي للأطفال هم: السير سيد أحمد خان (مؤسس الجامعة الإسلامية بعلي كره) والمولانا الطاف حسين حالي (صاحب مجموعة نظم حالي) والعلامة راشد الخيري (صاحب سيده كالال،

وصبح زندگي) والمولانا محمد إسماعيل الميرتهي (صاحب اردو زبان) والمولانا سيد سليمان الندوي (صاحب رحمت عالم) وشاعر المشرق الدكتور محمد اقبال والمولانا محمد حسين آزاد والأستاذ محمد الحسن حسين (صاحب هماري كتاب) والحكيم شرافت حسين، ودبتي نذير أحمد (صاحب توبة النصوح وبنات النعش) والمولانا نذير أحمد الأشرفي (صاحب جمن إسلام) والسيد أبو الحسن علي الندوي والأستاذ حبيب الله الأنصاري وعصمت شغتائي، وقرة العين حيدر، وصالحة عابد حسين والمولانا رئيس أحمد الجعفري والمولوي ذكاء الله والدكتور ذاكر حسين (رئيس جمهورية الهند الأسبق) وحامد الله أفسر الميرتهي، وبلقيس رتن ناتهه سرشار، وبلقيس ذيا شكر نسيم، وبلقيس نذيرية كيفي، كرشن جندر، وشفيع الدين نير، وظفر بيامي، والمولانا عبد السلام الرحماني (صاحب إسلامي كهانيان).

ولقد كان لمؤلفات هؤلاء الكتاب والأدباء أثر بالغ في بث الوعي الأدبي والثقافي في الناشئين حيث استفاد خلق كثير لاسيما الأطفال من ذلك التراث الأدبي ومصنفات من النظم والنثر على حد سواء، والخلاصة ما ستذكره آنفا أن الأدباء والمؤلفين قد اهتموا بهذا الأدب اهتماما بالغا وتركوا وراءهم نتاجات من النظم والنثر ولكن الأسف أن كتب التاريخ خالية من ذكر أدب الأطفال بصفة عامة.

أنواع أدب الأطفال:

قد ينقسم أدب الأطفال إلى ثلاثة أقسام:

(أ) الأدب التعليمي (ب) أدب التسلية (ج) الأدب الإصلاحي والتربوي.

(أ) الأدب التعليمي:

يأتي في هذه الزمرة الكتب الدراسية التي تكتب وفقاً لمستوى عقل الأطفال ومبلغ علمهم مستخدماً الأسلوب السهل، الجمالي المنطقي للأغراض التعليمية. وفي الحقيقة إن عملية تدوين المنهج الدراسي على هذا النمط تكون خطيراً وحساساً جداً لأن ذهن الأطفال يتمثل بالنوع البسيط فإذا كان اتجاه المنهج إيجابياً فيتحقق نتائج طيبة وتثمر عواقبه وإلا تترتب النتائج على فساد ذهن الأطفال وخلقهم بل يسود حالة من التدهور في المجتمع كله وبالإضافة إلى ذلك إن الآباء يحرمون من صلاح الأولاد لأنه لا يمكن إصلاح الفساد في الطفولة فيما بعد وتغييره كثير.

وإن المنهج الدراسي باللغة الأردية للأطفال ثري بالتراث الأدبي الذي ورثناه من الآباء والنوابغ الذين سلفنا ذكرهم من غير تمييز وتعصب مذهبي ولكن من المؤسف قد تعرض هذا الأدب للتحريف في السنوات الأخيرة للتغيير والتصرف فلا بد من تطهير المواد الدراسية من شوائب العصبية الطائفية بالدقة.

٢- أدب التسلية :

في هذا النوع يتم توعية المشاعر الخامدة وترقية المواهب المكونة في نفوس الأطفال عن طريق القصص والأشعار وفي السنوات الأخيرة قد ألفت كتب لا بأس بها من هذا القسم يقرأها الأطفال ببالغ من الرغبة والحنين لأنها دونت بدقة من الاهتمام بمقتضيات الثقافة والحضارة فيا حبذا لو أضيف إليها العنصر التربوي ليضاعف نفعها مائة ضعف.

ومن الإنصاف أن نذكر هنا العلامة محمد إقبال واهتمامه البالغ بأدب التسلية للأطفال وهذا هو الاهتمام الذي قد أخذ بعض نظمه، أمثال دعاء الأطفال (بچون كي دعاء: لب په آتي هي دعا بن كي تمنا ميري) والنشيد البلاد وبلادنا الهند (سارى جهان سي اچها هندوستان همارا) ولنا التذكر لأيام الماضية (آتا هي ياد مجهكو كزرا هوا زمانه) وفي كوخ البستان ضياء اليراعة (جگنو كي روشني هي كاشانه چمن مين) والعنكبوت والذباب (ايك مكڑا اور مكهي) والقمر والشاعر (چاند وشاعر) وغيرها من القصائد التي قرضت للأطفال خاصة والتي ما كسبت الإعجاب الشديد فقط بل دلت على أن العلامة كان على اهتمام بالغ بأدب التسلية للأطفال وما غفل عنه في حين من العمر.

وكذلك كان لأشعار المولانا محمد اسماعيل الميرتهي اثر طيب في الأطفال فحظيت بالشمول في المقررات الدراسية كما منحت فرصة التسلية للطبائع وبثت روح التعليم والتربية في الناشئين، وعلى سبيل المثال:

بنايا هي جريون ني جو كهونسلا

سو اك اك تنـــــــكا اكتها كيا

كيا ايك بار ســــــورج نه دوب

مكر رفته رفته هوا هــــي غروب

(إن العش الذي صنعته الطيور فبعد أن جمعت تبنة تبنة، وما غربت الشمس بغتة بل إنها غربت شيئا فشيئا، وهناك كتب أخرى للأدباء الآخرين التي حازت قبولا حسنا لدى القراء، منها: صبح زندكي (صبح الحياة) وشام زندكي (مساء الحياة) وسيده كالال (ابن سيدة) للعلامة راشد الخيري وكتب القصص لكل من عادل خير آبادي وحامد الله افسر والمولوي ذكاء الله التي هي أجدر بأن تذكر وتروج.

ولكن من الأسف أن بعض القصص الأسطورية والصور المشكلة والأفلام المسرحية قد أثر أثرا سلبيا على أدب الأطفال الذي

ينشد الأدباء أن يقوموا بإعداد أدب مفيد يركز الأذهان على أوراق الكتب فضلا عن الستار الفضي للأفلام.

٣ـ الأدب الإصلاحي والتربوي:

يمتاز هذا النوع من الأدب بميزات كثيرة كرعاية الأخلاق والتربية ومتطلباتهما. حيث يكون هذا الأدب الإصلاحي من الأحداث التاريخية والسيرة النبوية وحياة من الصحابة والسلف الصالحين وقصص شجاعتهم وبسالتهم وسخاءهم وسماحتهم ويساعد في تشكيل الأذهان بالغاية لكونه أدبا هادفا يستخدم فيه الأسلوب المتوازن الجذاب. ولا شك أن عملية الإنتاج على هذا النمط تكون صعبا جدا ولا يستطيع القيام بها إلا من له باع طويل في الفنون الأدبية كأمثال الدكتور ذاكر حسين والدكتور محمد إقبال والعلامة راشد الخيري والمولوي ذكاء الله والمولوي محمد إسماعيل الميرتهي من الأدباء البارزين الذين فاقوا عصرهم في إعداد أدب الأطفال وبذلوا سعيهم المشكور في إرساء عاطفة المحبة للقوم والوطن وعرفان القيم الإنسانية النبيلة في الأطفال.

وعلى الرغم من أهمية أدب الأطفال أنه ذهب ضحية للإغماض عنه ولكن لما ننظر إلى ما قبل ثلاثين أو أربعين سنة نجد الاهتمام به بوجه خاص من قبل الأدباء الأمجاد الموجودين في ذلك الزمان ولما اليوم فقد قل عدد الكتاب وكثر عدم الاهتمام بهذا الأدب

التلقي لحتم الفعالية من قبل الآباء وأولي الأمر حيث أنهم يفتخرون فيما بينهم على أن أطفالهم يدرسون الانجليزية من أول يوم ولا يتفكرون أبدا أن مبادئ ثقافتهم وعقيدتهم وتراثهم القومي مربوط بهذا الأدب المثالي ولا بد من تدريسه للناشئين يقول الشاعر محمد إقبال:

قوت فـــــــكر وعمل بهلي فنا هوتي هي

تب كسي قوم كي شوكت به زوال آتا هي

(إنه لا يأفل نجم قوة قوم إلا بعد أن تفنى قوته الفكرية والعلمية)

الجرائد الأدبية للأطفال:

ونظرا إلى تنمية أدب الأطفال وتطويره قد أصدرت مجلات وجرائد أسبوعية وشهرية من مواضع شتى في كل عصر وزمن وفقا لمستوى عقول الأطفال وأعمارهم وهذه السلسلة الإصدارية تواصل حتى اليوم، ويقول الأستاذ محمد رابع الندوي:

" يظهر أدب الأطفال إلى حيز الوجود بالمحادثة والكتابة ويمثل بهما، وقد ضاع قسم المحادثة لعدم إمكانية صيانتهما بصفة عامة ولكن القسم الكتابي موجود من طرز مختلفة بأعدادها هائلة" وأما مجلات الأطفال فهي:

مجلة غنچه (نورة):

وقد ملكت هذه المجلة الصادرة من مديرية بجنور باترابراديش، دورها في نفخ روح الأدب في الأطفال إلى مدة طويلة ولنها ما كانت مجلة مفضلة للأطفال فقط بل كانت محبوبة إلى الكبار أيضا، وكانوا في انتظارها ويقرؤونها بعناية من الشوق والرغبة. ومن نفس المديرية تصدر اليوم مجلة اسمها ساتهي (رفيق/صديق) التي نالت القبول لا بأس بها.

مجلة ذكرى:

ولاتزال هذه المجلة الصادرة من مدينة رامفور تخدم أدب الأطفال والكبار معا ومن ميزات هذه المجلة أنها بذلت جهودها المتخصصة في خدمة الأدب الجديد السليم بنشرها المواد المفضلة للأطفال من النثر والنظم والمكالمة والقصص التربوية ودخلت هذه المجلة اليوم في عامها الـ ٦٣ من إصدارها.

مجلة أمنك (الأمنية)

تصدر هذه المجلة الشهرية من أكاديمية اردو بدهلي منذ قدم، ومديرها الحالي هو الأستاذ مرغوب حيدر عباس، تنشر فيها أعمدة من الحدائق العلمية، والنظم والمحادثة والقصص بحوادث التي تتيح للأطفال فرصة للتسلية والتنزه وما أجمل لو لوحظ فيها الناحية الإصلاحية والأدبية معا.

بيام تعليم (رسالة التعليم)

هذه المجلة الشهرية الصادرة في دلهي قد ساهمت للطريق إلى أدب الأطفال وخصصت قسما بعد أن حددت جهتها.

مجلة الهلال:

إن هذه المجلة من المجلات الأطفالية التي تلعب دورا رائدا في بث الوعي الثقافي و التربوي في الأطفال.

مجلة الحجاب:

تنشر في هذه المجلة الصادرة من رامفور المواد الأدبية و التربوية المفيدة للأطفال أيضا لأنها خاصة بالنساء.

وفي هذه الأيام تقوم صحيفة راشتريه سهارا بنشر زاوية خاصة للأطفال أسبوعيا باسم أمنك (الأمنية) وهي لا تخلو من الفائدة.

هذا بيان المجلات و الجرائد الأطفالية و استعراض بسيط لأدب الأطفال وقضاياه الذي يوحي بأن ضرورة أدب الأطفال و أهميته تبقى اليوم فلا بد من الاهتمام به لإرساء القيم النبيلة و الأخلاق الإنسانية في الأطفال.

العلاقات العربية – الهندية

في عالم متغير

أ.د. مفيد الزيدي*

إن تناول موضوع العلاقات العربية – الآسيوية هو بمثابة علاقة بين الكل والجزء، فقد نشأ العرب في الركن الجنوبي الغربي لآسيا وتحديداً في شبه الجزيرة العربية، ومنها انتشروا في القرن السابع للميلاد في إيران وآسيا الوسطى والصين وكوريا وأندونيسيا، فتوطدت العلاقات منذ ذلك الوقت عقائدياً أولاً ثم تجارياً في القرون اللاحقة والمشاركة في مواجهة الاستعمار الأجنبي ومعركة الاستقلال الوطني في القرن العشرين وبروز قيادات وطنية آسيوية وتفاهم الطرفان على ضرورة انتهاج سياسات مستقلة في خضم الحرب الباردة وتوطيد العلاقات السياسية والاقتصادية والتجارية وبشكل خاص النفطية منها.

وتعد الهند نموذج للدولة الآسيوية الناهضة على طريق الدول المتقدمة لآسيا مع تأكيد المتخصصين بأن يكون القرن

---

* مؤرخ وأكاديمي عراقي – الأردن

الجديد (قرناً آسيوياً) وتؤدي الهند فيه دوراً إقليمياً متميزاً، وعلاقات دولية متنوعة ومتكافئة، بحكم اتباعها نموذجاً في البناء الداخلي على أساس نسيج من الوحدة بين الأقليات على الرغم من تعددها الإثني والعرقي وتنوعها، فضلاً عن النموذج الديمقراطي الخاص بها والذي أتاح لها فرصة الاهتمام بالقضايا الاقتصادية والتكنولوجية وخاصة قضية الفقر مع وجود أكبر كثافة سكانية في العالم بعد الصين.

وتتميز الهند اليوم بصناعة تكنولوجية رائدة في ظل التسابق العالمي على الثورة المعلوماتية والتقنيات، وقد حققت في السنتين الأخيرتين إنجازات باهرة شهد بها الغرب في صناعة التكنولوجيا المتقدمة وحقق رجال الأعمال الهنود نجاحاً في الولايات المتحدة في حقل التكنولوجيا وفي العام ٢٠٠٠ تم توظيف حوالي بليون دولار في شركات هندية ناشئة تكنولوجيا ويتوقع أن تصل في العام ٢٠٠٨، حوالي ٤٠ بلايين دولار وتعد مدينة بنغلور أبرز المراكز التكنولوجية في الهند، وقد أصبحت هذه التجارة محركاً للنمو الاقتصادي الهندي، وأدى الى تدفق أموال الاستثمار وإنشاء شركات جديدة، وتوفير فرص عمل وثروة في بلد يحتاج إليها كثيراً وتدير الهند سياسة ناجحة في الكفاءات ١١٥٠٠٠ متخصص في مجالات الهندسة في كل عام يتخرجون من الجامعات والمعاهد الهندية والعديد منهم في اختصاص برمجة التكنولوجيا بحيث ازدادت

مداخيل العاملين والشركات في اختصاص الانترنت الذي يتمتع بشعبية كبيرة في الهند، وهكذا يحسب العرب للهند حسابا مرموقا في العلاقات العربية – الآسيوية، وخاصة العراق ودول الخليج العربي حيث عززت علاقاتها الاقتصادية والتجارية معها. ففي سبيل المثال دخلت شركة دبي للاستثمارات مع مجموعة كوبر انت الهندية لبناء مصنع للأنابيب في دبي قيمته ٥١ مليون دولار تملك الشركة ٥١ بالمئة من اسهمه وذلك في ١٨ آب/أغسطس ١٩٩٨، وأثناء زيارته لعمان في آب/أغسطس ١٩٩٨، بحث فاجبايي رئيس الوزراء الهندي (السابق) مع السلطان قابوس عدة مشروعات صناعية أهمها مشروع الأسمدة الذي سيقام في ولاية صور العمانية، ومشروع مصفاة بهارات عمان لتكرير النفط الذي سيقام في الهند، وتكلفته ١.١ بليون دولار تملك شركة نفط عمان ٥٠ بالمئة منه. ولما كانت الهند وعمان عضوين في التجمع دول المحيط الهندي المنشأ سنة ١٩٩٧، فقد ركز فاجبايي على أطر التعاون في هذا التجمع والذي تسعى الهند لضم بقية دول مجلس التعاون إليه، وفي ٧ كانون الأول/ديسمبر ١٩٩٨ تعاقدت عمان مع شركة ميت الهندية على تزويد الهند بمصنع تسييل الغاز المقام في ولاية صور، وذلك بواقع ١.٦ مليون طن سنويا لمدة ٢٥ عاما.

وقد زار وزير النفط الإماراتي الهند في ٢٣ شباط/فبراير ١٩٩٩ للاتفـــاق على تزويدها بكميات من الغاز الطبيعي المسيل

(٤٠٠.٠٠٠ ألف طن سنوياً) لاستخدامها في تشغيل محطة لتوليد الطاقة في غرب الهند ولم يعلن عن اتفاق نهائي بعد. وفي ٢٦ آذار/ مارس وقعت غرفة تجارة وصناعة قطر ومؤسسة إنماء الصناعة الهندية مذكرة تفاهم لتشجيع الاستثمار المتبادل وتعد الهند المشتري الرئيسي لمنتجات شركة قطر للأسمدة الكيماوية.

ووقعت الجزائر والهند في كانون الثاني ٢٠٠١ اتفاق (شراكة استراتيجية) يتضمن تعزيز علاقاتها في مجالات الصناعة الذرية والتكنولوجيات الجديدة، وذلك خلال الزيارة الرسمية التي قام بها الرئيس الجزائري عبد العزيز بوتفليقة إلى الهند.

وهكذا فإن تجربة الهند لها خصوصيتها وتفردها على الصعيد الآسيوي وحتى العالمي، فحجم الهند كبير وثقلها السياسي والتكنولوجي يتنامى يوم بعد آخر، فهو بلد له مقوماته التاريخية والحضارية والبشرية وإمكانياته الصناعية والاقتصادية والتكنولوجية، على هذا الأساس فإن مكانة الهند بالنسبة للدول العربية مهم وحيوي في ظل المتغيرات الدولية التي عصفت بالعالم منذ مطلع التسعينات، بحيث يشعر العرب بأنهم بحاجة إلى قوة صاعدة جديدة في إقامة توازنات دولية وبناء علاقات تجارية واقتصادية للشراكة على أساس احترام السيادة والمحافظة على قدر من الثقة والمصداقة.

تشهد العلاقات العربية- الهندية خطوات متنامية من التعاون السياسي و الاقتصادي خلال السنوات الأخيرة مع وجود المصالح المشتركة في النفط والطاقة النووية والمواصلات والكهرباء و التجارة فضلا عن التعاون في اطار تنشيط عمل منظمة عدم الانحياز اقليميا ودوليا.

وفي دراسة التجربة الآسيوية في التنمية سواء (النمور الآسيوية) أو الصين أو الهند أهمية كبيرة بالنسبة للعرب لأنها تجربة للتنمية الحقيقية في دول العالم النامي من خلال التصنيع أو التصدير و علينا أن نكون على قدر من الجدية في فهم أسباب محركات النهضة على الطريقة الآسيوية وتقدير قيمة بحثية لهذه التجربة الحية.

ثم إن خطوات التعاون العربي – الهندي في المجالات التجارية و الاقتصادية و التكنولوجية تحتاج لمزيد من التقارب العربي وإقامة مراكز تجاري عربي – هندي، و إقامة مصارف عربية - هندية، فيكون في صالح الطرفين إقامة حوار عربي – آسيوي في مختلف القضايا ووضع تصور متكامل مع الأصدقاء للتعاون السياسي و الاقتصادي و الثقافي و العلمي و التكنولوجي فالهند قلب آسيا وثاني قوة آسيوية و عالمية بشرية وتنهض بسرعة على خطى الألفية الثالثة.

تطور اللغة العربية في الهند خلال القرن الماضي

- د. محمد بديع الرحمن*

في أيام الوليد الأموي فتح محمد بن القاسم جزءا كبيرا من السند سنة ٩٢ هـ فأثبتت سيطرته على ديبل، نيرنكوت داور وملتان ولما ولي أبو جعفر المنصور هشام بن عمرو التغلبي على السند سنة ١٥٢ هـ فتوسع في فتح كابل وكشمير. ومن ذلك الوقت تعززت العلاقة الثقافية بين السند والبلاد العربية وبدأت الحركة العلمية تتبع فحينا تؤثر وحينا تتأثر، ولما بدأ أهل الهند يعتنقون الإسلام فطبعا ظهرت رغبتهم في معرفة أصول الدين ومبادئه فساهم في هذه الحركة العلمية كثير من أبناء الهند منذ ذلك الوقت حتى أن استمرت هذه الحركة بقيام خدمتهم إلى وقتنا الحاضر.

لا يمكن أن أحصي كمية جميع تبرعات علماء الهند منذ ظهور الإسلام في وطننا في هذه المقالة فيجدر بالذكر كالتوطئة

---

* أستاذ مساعد وقارئ، قسم اللغة العربية والفارسية، بجامعة كلكتا

أسماء المتقدمين المعروفين من الأدباء والشعراء باللغة العربية الذين لا يختلف كلامهم في شيء من روعة البلاغة والفصاحة والانسجام مما جادت قريحة الأعاريب وفصحاء العصر. فمنهم أبو عطاء السندي[1] وابن الأعرابي[2] وأبو الضلع السندي[3] وهارون بن عبد الله الملتاني[4] ومسعود بن سعد اللاهوري[5] والقاضي عبد المقتدر بن ركن الدين[6] ومولانا أحمد التانيسري[7] والقاضي شهاب الدين[8]،

١- ضحى الإسلام لأحمد أمين، الجزء الأول، صفحة ٢٣٣، الطبعة السابعة، مكتبة النهضة المصرية، وكان أبو عطاء شاعرا مجيدا مشهورا في مدح الأمويين فكرهه العباسيون ولم يقبلوا شيئا منه فكان من عتابه العباسيين فقال:

فليت جور بني مروان عاد لنا ... وليت عدل بني العباس في النار

٢- اشتهر في مجال اللغة والأدب ولم يبق من مؤلفاته الكثيرة إلا حوالي ثلاثة كتب، منها كتاب في أسماء الخيل وصفاتها، نشر في مجلة المقتبس، مجلد ٦ جزء ١، ومنها كتاب في أسماء الخيل وفرسانها، الذي موجود في دار الكتب المصرية، وكتاب الأنوار.

٣- بحوث وتنبيهات للعلامة أبي محفوظ الكريم المعصومي، ج ١، ٢، ٣٤٩، بيروت ٢٠٠٦.

٤- المرجع السابق

٥- كان شاعرا في أيام السلاطين الغزنوية وكان عارفا بثلاث لغات العربية والفارسية والهندية وله دواوين في كل من اللغات الثلاث. راجع إلى سبحة المرجان في آثار هندوستان، لغلام علي آزاد البلگرامي، صفحة ٦٥ طبعة جامعة عليگره الإسلامية، ١٩٧٦م، وقد توفي باللاهور في ٥١٥هـ

٦- وهو قرض قصيدة لامية طويلة وحذا فيها حذو العرب المشهورين، ومطلع هذه القصيدة اللامية وينقل منها الأستاذ عبد الحي الحسني وعدد أبياتها ٩١ ومطلعها

يا سائق الظعن في الأسحار والأصل ... سلم على دار سلمى وابك ثم سل

راجع إلى ثقافة الهند، سبتمبر ١٩٥٠ وديسمبر ١٩٦١م وانظر نزهة الخواطر ج ٢ ص ٧٣، وسبحة المرجان للبلگرامي ص ٢٧،٢٨

٧- هو [illegible] إلهي محمد بن [illegible] هاجم عليها تيمور وحرقها فذهب إلى كالبي واشتغل بتدريس العلوم، له قصيدة دالية مطلعها كما يلي:

قطر بي عند القطر الفرد وهاج ترحه في الحشا الكمد

والشيخ علي بن الشيخ أحمد المهائمي[9] والملا محمود الفاروقي[10] والسيد علي بن السيد أحمد[11] والسيد عبد الجليل بن السيد أحمد الحسيني البلكرامي[12] والسيد محمد بن السيد عبد الجليل[13] وغلام علي آزاد البلكرامي[14] والنواب صديق حسن القنوجي[15] وغيرهم.

- المرجع سبحة المرجان ص ٤٣ وثقافة الهند، يناير ١٩٦١ وفي بحوث وتنبيهات للأستاذ المحمودي يوجد خطأ في التاريخ صفحة ٣٢٣ المجلد الأول.

٩. توفي في ٨٣٥هـ وله تصنيفات مثل التفسير الرحماني، وله شرح عوارف المعارف للسهروردي وشرح فصوص الحكم لمحيي الدين بن العربي.

١٠. ولد بجونفور سنة ٩٩٣هـ ومات في ١٠٦٢هـ وله كتاب: الشمس البازغة في الحكمة والفوائد الضيائية في علم المعاني والبيان. المرجع سبحة المرجان، ص ٦٩ إلى ٧٠.

١١. توفي سنة ١١٧٧هـ وله تأليفات ومنها ... في أنواع البديع ومبالغة القصير، وتوجد نسخة من ديوان شعره في المكتبة الآصفية بحيدر آباد.

١٢. ولد سنة ١٠٧١هـ وكان يعرف أربعة ألسنة: العربية والفارسية والتركية والهندية. هو سافر إلى الدكن ولازم السلطان أورنك زيب الذي أعطاه منصب بخشي ووقائع نكار في ولاية گجرات ثم سافر إلى بهكر وسيوستان في منطقة السند ثم عاد إلى دلهي في ١١٢٦هـ ولازم السلطان فرخ سير ثم تقاعد ورجع إلى بلكرام وتوفي هناك في ١١٣٨هـ.

١٣. ولد في ١١٠١هـ في بلكرام ونشأ فيه ثم التحق بأبيه في شاه جهان آباد (دلهي) في ١١٤٣هـ. وله منتخب حسن سماه ... عن كل فن مستطرف للشيخ بهاء الدين محمد بن أحمد الخطيب الأبشيهي المصري، توفي السيد محمد سنة ١١٨٥هـ ببلكرام. المرجع نزهة الخواطر ج ٦ ص ٢٦٦.

١٤. ولد في بلكرام سنة ١١١٦هـ ومات في ١٢٠٠هـ كان من أحد علماء الكبار الذي ألف كتبا عديدة باللغة العربية والفارسية. ومن كتبه العربية المهمة ما يجدر بالذكر أولا كتابه الشهير سبحة المرجان في آثار هندوستان، كتبه المؤلف سنة ١١٧٧هـ في أربعة فصول. وهو سابق للعلماء الهند الذي ألف في تراجم علماء الهند باللغة العربية ومهد السبيل للمتأخرين كمثل عبد الحي الحسني والنواب صديق حسن القنوجي. وكتبه الأخرى: ضوء الدراري في شرح البخاري (من الأول إلى آخر كتاب الزكاة)، وله

إذا ما أطلقنا تحليل خدمة المتقدمين فتكون المقالة طويلة جدا حتى أن نحتاج أن نكتب فيهم موسوعة. فلنركز مقالتي في ذكر مساهمة العلماء في مجال اللغة العربية خلال القرن الأخير منحصرة على خدماتهم في الأدب العربي نثرا وشعرا فقط. ولو تواجه القرن الماضي كثيرا من العراقيل والمشكلات من خارج البلاد وداخلها مع ذلك لا يخلو ذلك القرن من الانتاجات البارعة حتى يشق إحصائها الكاملة حتما فأقدم لكم قائمة التأليفات بغاية الإيجاز.

١- التوشيحات على السبع المعلقات للقاضي سجاد حسين القاسمي (م - ١٩١٠م)، طبع في مكتبة حسينية، دلهي. ولو فاق الزوزني الشرح على المعلقات مع ذلك توشيحات سجاد حسين تستحق الالتفات للنكت المختلفة خاصة للدارسين الهنديين.

٤- عشرة نوريين في العربية مسجعة منها مقامة تحت عنوان السبع السيارة، وله مجموعة التشويقات العصائد بمظهر الحركات (في المجموعة)، وله قصيدة أيضا مصدرة مرثاة الجمال على بعض أعضاء أسرته.

٥- كان في وقت عمره يشتغل في أمور ولاية بهوبال ثم تزوج ملكة بهوبال وصار نوابا وكان له حب عميق في العلم وكان له مكتبة نفيسة لذاته. وله مؤلفات كثيرة في كثير من الفنون من التفاسير والحديث وكتب في اللغة والأدب والعقائد. ومن المؤلفات في اللغة والأدب فهي كما يلي:

(أ) البلغة في أصول اللغة، طبع في بهوبال ١٢٩٤هـ

(ب) نشوة السكران، طبع في بهوبال ١٢٩٤هـ

(ج) غصن البان المورق بمحسنات البيان، طبع في بهوبال ١٢٩٤هـ

(د) لقطة العجلان (في اللغة)، طبع في بهوبال

(هـ) أبجد العلوم، طبع في ثلاثة مجلدات كبيرة.

راجع إلى تاريخ آداب اللغة العربية، لجرجي زيدان، الجزء الرابع، ص ٣-٦

٢. لعبد الأول جونفوري (م ١٩٢٠م) مؤلفات عديدة في اللغة العربية والأردية. فبعض من الكتب العربية كما يلي:

(أ) الظريف للأديب الظريف[٦]: كتبه المؤلف في الأدب العربي ويندمج فيه الأناشيد التي قرضها عبد الأول بنفسه، فنقتبس ثلاثة أبيات من كتابه الظريف:

لعمرك ما الدنيا بيوت التودد فلا تبتغ فيها عيشة غم ومهد

ألم تر أهلا فامضوا لسبيلهم وما غبروا عن حالهم مثل جلمد

بقواعد الدنيا وعن دورهم نأوا ولدت تلاقيهم فأعرض عن الود[٧]

(ب) وله مجلة الأريب لأجلة المتأديب، ترجم فيه الأستاذ عبد الأول عن المثنوي المستطيبة[٨] وصور مناظر الجزيرة الرائعة في الشعر. ومن أثر هذا الكتاب صار الأستاذ معروفا بين علماء الهند كأجود الشعراء في البنجال[٩].

(ج) وله شرح سبع المعلقات

(د) وله كتاب مسمى بالمنطوق، كتبه المؤلف في الاقتصاد

---

٦ - طبع في ١٩٠٨م من لكنو

٧ - بنفس المصدر، ص ٤٤

٨ - نسخة فريدة موجودة في مكتبة ندوة العلماء، لكنو

٩ - وإن كان مسقط رأسه بجونفور، لكن الشيخ عبد الأول استقر بالبنغال وعاش زمنا طويلا من حياته في البنغال حتى أنه يعد منها.

٣. وقد ذكر السيد أبو الحسن علي الندوي في مقالته تحت عنوان "تراث العلماء المسلمين العلمي في الهند"[1] بأن محمود حسن تونكي (م ١٩٤٧م) ألف معجم المصنفين في اللغة العربية.

٤. ولمولانا محمد موسى[2] (م ١٩٦٤م) كتب عديدة في اللغة العربية منها صبيحة الأدب في أربعة أجزاء، وله كتب أخرى كما يلي:

(أ) ريحانة الأدب، طبع في ١٩٢٧م، داكا

(ب) الإنشاء، طبع في ١٩٣٩م

(ج) الأساليب، وهو منتخب من كتب الأدب العربي ويحتوي على ٤١٥ صفحات، طبع سنة ١٩٢٩م.

فنقتبس سطورا من مقدمة كتابه "صبيحة الأدب" كنموذج أسلوبه:

فهذا هو اللون الرابع لكتابي صبيحة الأدب أهديه لطلبة بكلام العرب وهو بحمد الله يحتوي على عدة مواضيع مهمة: من حوادث تاريخية وعلوم عصرية وحكايات أدبية وروايات فكاهية وأبيات حكمية على مواضيع مختلفة من القصص

---

(١) راجع إلى ثقافة الهند، المجلد الثاني عشر، العدد الأول، ١٩٦١م، (ص ٦)

(٢) كان عميدا في المدرسة العالية بكلكتة، ثم التحق بكلية دهاكا بعد استقلال الهند.

ومدائح ومراث ومواعظ ومدح وحماسة وغير ذلك التقطتها من كلام الأقدمين والمحدثين رحمة الله عليهم أجمعين أخذا ما صفا وانجلى ونبذة ما كدر واختفى مضيفا إليها ما سنح ببالي حين فحبذا بتوفيق الرحمن الذي كان لعباده عونا ومعينا

وهذا ما بذي وصلت إليه   ولا أدري الجمس عن اللآلي

فإن أخطأت أو رجل تهون   رجوت العذر في ذيل النوال[32]

٥. القصص المشهورة ألفها الأستاذ عبد الغفار الندوي، قد قص المؤلف هذه القصص بأسلوب سهل واستخدم فيها ألفاظا عادية ومحاورات رائجة. وقد نال هذا الكتاب قبولا حسنا بين المثقفين. وقد طبع هذا الكتاب سنة ١٩٤٧م من لكناو.

٦. كتاب مجالس الميمني، لعبد العزيز الميمني (١٩٧٨م) هذا الكتاب مجموعة محاضرات ألقاها الأستاذ الميمني في موضوع اللغة العربية وأدبها. واستحسن العلماء هذا الكتاب حتى شرحه الأستاذ مختار الدين أحمد، رئيس القسم العربي السابق، بجامعة علي كره الإسلامية. وللميمني كتاب آخر المسمى بأبي العلاء وماله وما عليه: ترجم فيه الميمني عن حياة أبي العلاء وتحدث عن ميزات شعره وكتابته[33]. وله

---

٣٢ - بهجة الأدب (مقدمة)، الجزء الرابع، طبع في ١٩٣٠م في دهلي

٣٣ - طبع في القاهرة سنة ١٣٦٥هـ مطبعة سلفية

معجم الأمثال السائرة والأيام الدائرة والبنين والبنات والآباء والأمهات والذوين والذوات. ومن أشهر مؤلفاته سمط اللآلي في تحقيق كتاب الأمالي لأبي علي القالي.

٧. العلامة عبد الحي بن فخر الدين الحسني (١٢٨٦-١٣٤١هـ)، كان من أحد علماء الأعلام في شبه القارة الهندية ومن أحد المبرزين في التاريخ والتراجم والأدب والحديث. وفي تراجم علماء الهند كتب العلامة " نزهة الخواطر " التي تمثل كموسوعة في ثماني مجلدات تحتوي على ترجمة أكثر من أربعة آلاف وخمسمائة ونيف من أعيان شبه القارة الهندية، ومن تأليفاته الأخرى: هي الثقافة الإسلامية في الهند والهند في العهد الإسلامي، وكتاب آخر في الحديث المسمى بتهذيب الأخلاق، وقد أضاف جرجي زيدان كتابا آخر من كتب العلامة عبد الحي الحسني وهو الفوائد البهية في تراجم الحنفية[٥٦].

٨. وقد ألف الأستاذ سليم خان كتابا رائعا مسمى بالمختارات العربية لطلاب العلوم الاجتماعية، وطبع في دلهي سنة ١٩٨٦م، وهي مجموعة من المصطلحات العصرية المتعلقة

٥٦- طبع في الهند سنة ١٣٤٢هـ، راجع في تاريخ آداب اللغة العربية ج ٤، صفحة ٦٢٩

بعلم السياسة والاجتماع والاقتصاد والجغرافيا والتاريخ. ونصف هذا الكتاب في اللغة الانجليزية والباقي باللغة العربية.

٩. ولاعجاز علي القاسمي (م ١٩٥٤م) نفحة العرب التي هي منتخبة من الأدب العربي من العصور المختلفة

١٠. الأستاذ الدكتور س. ر. تشودهري المتوفى كان من أحد أساتذة الجامعة بدلهي، وهو كان من أحد زملائي الأستاذ محمد راجحة الله الأزهري[25] في جامعة القاهرة. وحصل الأستاذ التشودهري على شهادة الدكتوراه في الأدب العربي من جامعة القاهرة لتقديم رسالة "مدرسة الديوان" وقد طبعت هذه الرسالة من مكتبة إشاعة اسلام، بدلهي.

١١. وألف الدكتور سيد احسان الرحمن[26] الجديد في اللغة العربية، في جزئين للمبتدئين، طبع سيد مفيف الرحمن من دلهي، سنة ١٩٧٨م.

١٢. وقد كتب محمد شاطر الشتري قصة المسماة بالحنين إلى الشهادة، وهي قصة عمرو بن الجموح الذي كان سيدا من

---

٢٥ - كان أستاذا بقسم اللغة العربية والفارسية بجامعة كلكتا، توفي سنة ٢٠٠٢م.

٢٦ - وهو مدرس اللغة العربية بجامعة جواهر لال نهرو، بدلهي الجديدة، وقد راجع بتطبيقه الأستاذ سيد محمد نور مبشر، رئيس مركز اللغات الافريقية والآسيوية، بجامعة جواهر لال نهرو، وقد بذل احسان الرحمن جهد طاقته في جعل تطبيقه سهلا ومشوقا لكل المبتدئين في اللغة العربية وقد اخترع الموقف التعريفي عند كل درس وأراد أن يعود بها الطلاب على النطق والكتابة باللغة العربية الفصحى.

سلالات بني سلمة وكان يصنع الأصنام. واعتنق والده الإسلام قبل أن يعتنق هو. فلما أسلم كان له حنين للشهادة.

وقد سرد الشيخ الندوي قصة بعض المجاهدين في كتابه الموت في سبيل الإيثار

١٣. وقد ناقش الأستاذ مقتدى حسن الأزهري عن عناصر الأدب ومبادئ النقد في كتابه " حقيقة الأدب ووظيفته" وقد طبع هذا الكتاب من مكتبة سلفية، بنارس ١٩٩٠م.

١٤. وقد ألف السيد وصي مظهر الندوي "منتخبات من الأدب العربي.

١٥. الأستاذ وحيد الزمان الكيرانوي كان أستاذ اللغة العربية في دار العلوم بديوبند، الذي توفي سنة ١٩٩٦م وألف الأستاذ القراءة الواضحة في أربعة أجزاء على منهج حديث مراعيا نفسية طلاب الهند وبيئتهم المدرسية التعليمية وذكر القواعد النحوية حسب الدروس المختلفة واهتم بتمرينات مفيدة وللأستاذ كتاب آخر باسم نفحة الأدب[20].

---

٢٠. طبع سنة ١٣٩٢هـ بديوبند. كتب هذا الكتاب تحت إشراف معلمي الشورى لدار العلوم بديوبند وقد قرر المجلس هذا الكتاب لتلاميذ السنة الثانية، ويحتوي هذا الكتاب على أكثر من ثمانين وستين قصة حكيمة وخطبة وأنشودة بارعة.

١٦. فضيلة الشيخ أبو الحسن علي الندوي رح[٨٠] كان من أحد علماء المشهورين في الهند وخارجها ومن أحد المبرزين في الأدب العربي والتاريخ والسير وكثر نجم فالف:

أ- قصص النبيين للأطفال في أربعة أجزاء مع سيرة خاتم النبيين.

ب- وله مختارات من أدب العرب في قسمين، انتخب فيهما موادا من أدب العصر الجاهلي إلى العصر الحديث مع ترجمة أصحابها بالإيجاز مع ذكر مميزاتهم الأدبية. وهذا الكتاب من أجود المنتخبات الأدبية ولذلك عين هذا الكتاب للمقررات الدراسية في كثير من الجامعات الهندية.

ج- وألف الأستاذ المفكر كتابا مهما باسم " ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين" طبع بمصر عام ١٩٥١م ونال هذا الكتاب قبولا فائقا عند العرب حتى أن اعترف المفكرون

٨٠- بعد انتهاء الدرس من مدارس مختلفة قام الأستاذ بشغل التدريس في مدرسة دار العلوم التابعة لندوة العلماء في يونيو ١٩٣٤م وكان له خبرات عن تعليم مختلفة هو سافر خارج الهند مرات وقام بتبديل وجهة نظريته بالمحادثة مع سكان بلاد العرب. وكان الشيخ رابطة عميقة مع منظمات وهيئات الدولية والوطنية. وكان عضوا مهما في معهد دراسة إسلامية بأكسفورد، وكثير من مقالاته المهمة منشورة في صحف الجرائد كمثل ثقافة الهند، الرائد، البعث الإسلامي وغيرها. وتوفي الأستاذ في أواخر شهر رمضان عام ١٩٩٩م

وعلماء العرب بأنه من أحسن الكتب التي صدرت في القرن الماضي. وقد ترجم هذا الكتاب باللغة الإنجليزية[٢٣] وغيرها.

د- وله "روائع إقبال"، طبع في ١٩٦٠م. بحث فيه آراء الشاعر الشهير وفلسفته عن أسرار الإنسانية. ترجم فيه كثيرا من قصائد إقبال من الأردية إلى العربية

هـ- وله كتاب مسمى "إذا هبت ريح الإيمان" طبع عام ١٣٩٣هـ

و- وله كتاب "بين الدين والمدنية"، طبع في ١٣٩٨هـ

ز- وألف كتابا عام ١٩٦٣م مسمى "أحاديث صريحة مع إخواننا العرب"

ح- وله "الإسلام: أثره في الحضارة وفضله على الإنسانية" طبع عام ١٩٨٥م

ط- وله كتاب آخر: "أحاديث صريحة في أمريكا" طبع عام ١٩٨٧م

ي- وقد كتب الشيخ كتابا حذر فيه العرب للمؤامرات والعراقيل الآتية وسماه "أكبر خطر على العالم العربي"، طبع عام ١٩٩١م.

Islam and the World - ٢٣

له دوله كتاب " نظرات في الأدب" وهو مجموع لمقالاته ، طبع عام ١٤١١هـ

١٧ . (أ) ألف الأستاذ واضح رشيد الندوي كتابا رائعا تحت عنوان أدب الصحوة الإسلامية. وهذا الكتاب يبحث رائع في الأدب الإسلامي، طبع في القاهرة بعام ١٩٨٥م.

(ب) وله أيضا تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي)

١٨ . (أ) فضيلة الشيخ محمد رابع الحسني[1] عبر عن رائه حول الأدب واصوله وحول النقد ومبادئه في كتابه المسمى بالأدب العربي بين عرض ونقد. وقد باحث الأستاذ فيه المراحل المختلفة للأدب العربي من حيث العصور. وقد زادت زينة الكتاب من نخبتين لتدريج مقدمة الكتاب بقلم الأستاذ السيد أبي الحسن علي الحسني ولا سيما المراجعة على هذا الكتاب بقلم الكاتب العربي المعروف الأستاذ احمد الجندي، التي نشرها في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق في المجلد الثاني والأربعون، يونيو ١٩٦٧م، ونال الكتاب قبولا حسنا عند المفكرين والمثقفين فطبع مرارا وخرجت الطبعة الخامسة المنقحة في ١٩٩٨م.

---

[1] هو مدير دار العلوم ندوة العلماء بلكنؤ ورئيس العام لمجلة الرائد التي تصدر من مؤسسة الصحافة والنشر ، ندوة العلماء

(ب) وله كتاب تحت عنوان الأدب الإسلامي وصلته بالحياة تحدث فيه الأستاذ عن الثقافة الإسلامية.

(ج) وله تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي (صدر الإسلام وعهد بني أمية)، طبع عام ١٩٩٠م.

(د) وله أيضا منشورات ومحاضرات علاوة عن كثير من المقالات التي نشرت في مجلة الرائد والبعث الإسلامي وغيرها.

وفي الاختتام يجدر بالذكر العلامة أبي محفوظ الكريم المعصومي[٢٠] الذي هو شهير جدا لمقالاته العديدة الفذة المنتشرة في مجلات مختلفة في داخل الهند وخارجها. وقد أحرز الأستاذ مكانة عالية للبحث والتحقيق النصوص والنقد. فرتب هو والأستاذ محجوب الرحمن الأزهري[٢١] المنتخبات العربية في السنة ١٩٥٩م. وقد زادت قيمتها الكلمة، التي أضافتها فضيلة الشيخ أبو الحسن علي الندوي في تقديمها قائلا: فقد قررا تأليف مجموعة تحتوي على أمثلة جديدة من الشعر العربي في أغراض مختلفة في عصور مختلفة..." وقد قررتها مصلحة المعارف العمومية بالبنغال العربية في منهاج الدرس للعالمية. وللأستاذ المعصومي كتاب المسمى ببحوث وتنبيهات في مجلدين صدر دار الغرب الإسلامي، بيروت

---

٢٠. الذي كان أستاذ الحديث والتفسير وعميدا وقتا بمدرسة العالية بكلكتة والآن متقاعد

٢١. كان أستاذ الأدب العربي بمدرسة العالية بكلكتة وبعد التقاعد عكف بالدرس في ندوة العلماء، لكنؤ

سنة ٢٠٠١م باعتناء الدكتور محمد أجمل أيوب الإصلاحي، الباحث في مركز البحوث والدراسات الإسلامية بالرياض. وهذا الكتاب مجموع لتحقيقاته النصوص والمقالات النقدية مشتملا على بحوثه في الأدب والتاريخ وغير ذلك التي نشرت قبل في شتى مجلات خلال خمسين سنوات. وللأستاذ المحصومي باع طويل في التفسير والحديث واللغة العربية والأردية والفارسية حتى أنه يقرض الشعر في ثلاث لغات.

المراجع والمصادر :

- ضحى الإسلام لأحمد أمين: الجزء الأول
- تاريخ آداب اللغة العربية، جرجي زيدان، ج٤
- تاريخ مدرسة عالية (أردية) لعبد الستار، دهلي
- الرائد: الأعداد ١٦، ١٥، ١٤، ٢٣ سنة ١٤٢٠هـ
- ثقافة الهند (الثقافي الهند) ج ٤٩، عدد الأول، ١٩٩٨م
- نزهة الخواطر لعبد الحي الحسني الندوي
- سبحة المرجان للسيد غلام علي آزاد بلكرامي (التحقيق بالدكتور محمد فضل الرحمن الندوي، جامعة عليكره الإسلامية، الطبعة الأولى ١٩٧٦م)

المجرم

تأليف: أديب أختر*

ترجمة: سيد احتشام الرحمن**

فلأوضح في البداية نفسها بأنها ليست قصة مفترضة، بل إنها اعترافي بجرمي. إن الذي ستقولونه غداً أمام القديس بالكنيسة أسرده لكم الآن وأنا موقن أيضاً بأنكم بعد معرفتكم هذه الحقائق وعلى الرغم من عدم موافقتكم على رأي ستقولون مجبرين عليكم أنني غير آثم في هذا الأمر.

نظراً لأهمية الوقت وتجنباً للإطالة أرى من المناسب جداً أن أبدأ سردي بما حدث أمس حين كنت أشعر بعميق الحزن حين تذكرت ابني رابرت الذي مات ضحية للأحداث الطائفية قبل ثلاثة

---

* أديب شهير من أترابراديش.

** باحث، مركز الدراسات العربية والإفريقية، جامعة جواهر لال نهرو.

أشهر حين جرحه المشاغبون الطائفيون وأسلم روحه للرب العظيم عند نقله إلى المستشفى وبلغت الشرطة بوفاته في اليوم التالي. وأمس كانت اكتملت ثلاثة أشهر على وفاته بالضبط وربما هذا هو سبب شعوري بالحزن الشديد أمس.

خلال هذه المدة المديدة لثلاثة أشهر، لم تتمكن الشرطة من إلقاء القبض على القاتل، وكنت الآن على يقين كامل أن الشرطة توقفت عن التحري في هذا الأمر وأنها في القريب العاجل ستقفل هذا الملف وأن قتل ابني يصبح جزءا من التاريخ وأمرا منسيا. وأنني أقول هذا وأدرك تماما بصفتي موظفا حكوميا سابقا وأعرف جيدا ميكانية العمل في مختلف المصالح الحكومية.

لست عند المزاج الآن كما كنت سابقا وبخاصة حيث إنني بدأت أشعر بالضعف ينتاب في أوصالي بعد وفاة روبرت، ولأنني أود من صميم قلبي أن أنسى بأننا قد ظلمنا، فلا توجهت إلى محطة الشرطة ولا اتصلت بأي موظف كبير في الحكومة.

لأتخلص من الحزن والملل أمس توجهت بسيارتي إلى مزرعة صديق لي بعيدة عن غوغاء المدينة وكان شيكار يقود السيارة وبعد وصولي إلى المزرعة كلمت صديقي وكشفت له عن عميق حزني وبكيت أمامه، وبعد ساعتين عندما تخففت عني أمري استأذنته في العودة في حوالي الساعة الخامسة مساء.

في طريق العودة عندما وجدني شيكار مسرورا أظهر سعادته بحركاته دون الكلمات. شيكار البالغ من العمر ثلاثين عاما، كان يعمل في شركتي منذ ستة أشهر، في البداية لم أكن أخالطه كثيرا ولكن بمضي الوقت أصبحنا صديقين وكنا نتبادل الحديث كأننا أفراد أسرة واحدة.

في طريق العودة وعندما وصلنا لحدود المدينة ودخلناها، طلبت منه توقف السيارة في مكان ما، ووقفنا على طرف الطريق تحت شجرة بين الجبال، فخرجت من السيارة ألقيت نظرة فاحصة على أكداس الصخور وبعد هنيهة عدت إلى السيارة وجلست أتابع النظر في اتجاه الصخور ولم يشغل شيكار محرك السيارة، ربما تراءى له أنني أود أن أمكث هناك قليلاً لتأمل. وفي الواقع كنت مستغرقة في التأمل حين رأيت سيارة قادمة من اتجاه المدينة وتوقفت على بعد من سيارتنا وخرج منها فتيان وأخرجا معهما جثة هامدة لامرأة فألقيا بها أرضا وعادا بسرعة البرق إلى السيارة.

عندما كنت أنظر في ذهول تجاه تلك السيارة العائدة إلى المدينة شعرت أن شيكار قد دون رقم السيارة على قطعة من الورق. فورها شعرت بالخطر يقترب منا فلذلك قررت المغادرة بدون تأخير وفي نفس الوقت كان يختلج في قلبي أن القتلة لابد أنهم رأونا وأنهم أيضا سجلوا رقم سيارتنا. كنت أود أن أتأكد من شكوكي حول شيكار ولكن لم أحبذ إظهار خوفي وضعفي فلذلك لزمت الصمت،

ولأنني كنت أخشى أن يكون القتلة قد رأونا وربما يتعقبوننا، فلذلك لم أرد العودة للمنزل حتى لا يعرفوا الطريق إلى بيتي ولا يسببوا المشاكل لأي فرد من أسرتي، فقلت لشيكار أن يتحول إلى "عباي نكار" حيث يقطن صديق لي يعرفه شيكار. كان شيكار يعرف مدى سوء حالتي النفسية بعد وفاة ابني ويعرف أيضا مدى عصبيتي حيال كل صغيرة وكبيرة من المشاكل وأنني قد أصبحت منكسر العزيمة والعقل.

خطر ببالي للحظة أن أنزل من السيارة لألقي نظرة على جثة المرأة وشعرت أن كل عابر سبيل ربما عامل نفس المعاملة لابني الجريح الذي استمر وجه تقابض الأرواح إزاء شحة الأيدي المعينة التي كان بإمكانها أن توصله للمستشفى في الوقت المناسب، فبدءا من نحركنا ظن المرأة أنها لا زالت على قيد الحياة وقد وجدت عائلتها، كان ضميري يناديني لمد يد المساعدة ولكنني نفضت هذه الأفكار من دماغي.

في ثواني شغل شيكار محرك السيارة وبدأت السيارة تتقدم، كنت باستمرار أنظر للوراء لأتأكد من أن أحدا لم يتعقبني وبعد قطع مسافة بالسلامة أحسست بالأمان.

كم أخاف المجرمين.. لا يمكن لي أن أعرب عن ذلك في الكلمات وكذلك لا يمكنكم التخمين.

لقد سردت لكم حكاية قتل زميلنا على أيدي مجرمين. ولأنني رأيت المجرمين عن قرب فلذلك يمكن لي القول بكل ثقة أنهم لا يترددون من اقتراف أي ذنب أو أي جرم شنيع ولحفظ سر تافه يمكن لهم أن يبيدوا عائلة بأكملها. ومن المحتمل جداً أنكم لم تلتقوا مجرمين قط فلذلك تظنونني جباناً ولكن على الرغم من ذلك أدعو الله تعالى ألا يتسبب لقاؤكم مع مجرمين وأن يجنبكم مجابهتهم.

بدأت تلوح لي أشكال زوجتي وابنتي وخطر ببالي أن أتصل أولاً بتلفون بيتي لأعرف الأخبار وأطمئن إذ ربما يعانين مشاكل على أيدي القتلة. خطرت هذه الفكرة على بالي وبدأت أتصبب عرقاً ثم فكرت أنهم لا يعرفون بيتي حيث أنهم كانوا منهمكين في التخلص من الجثة مشغولين عما سواها فلم يلاحظوا وجودنا ولم يدونوا رقم سيارتنا.

بينما كنت مستغرقاً في هذا التفكير وصلت السيارة حدود جاي ناكار. كان شيكار قد سلك نفس الطريق الذي وجد في نهايته بيت صديقي، ولم أكن أرغب في الذهاب إليه في هذه الحالة. فقد كنت أريد أن أبعد عن بيتي خوفاً أن يتعقبني أحد من القتلة ولكن لم يكن هناك أي وقت للتفكير وقلت لشيكار فجأة "شيكار" فلنبعد من هنا، أنا لا أريد أن أقابل أي شخص الآن.

قلل شيكار من السرعة ونظر إلي بنظرة استفهام ولكنه تمكن من قراءة أفكاري من تغير لون وجهي دون أي كلمة مني. تحول إلى الوراء واستمررت في أفكاري المفزعة في طريق العودة إلى البيت. فعندما وصلت البيت ورأيت كل شيء على ما يرام، شعرت براحة القلب. وبعد إدخال السيارة في الجراج قال لي شيكار إنني أذهب إلى الشرطة وأخبرهم، فإنني أعرف جيدا المجرمين وأخرج الورقة التي كان دون عليها رقم السيارة ثم أعادها ثانية إلى جيبه فسألته بصوت هادئ: "هل تعرف أولئك الناس؟" قال: نعم، أنا أعرف أحدهم قبل أن أعمل مع سيادتك، كنت أعمل مع والد هذا الشاب.

ثم قال شيئا ولزمت الصمت فلم أكن أدري كيف أمنعه من إنجاز هذا العمل الكبير فهو عنيد للغاية ولكن الذي يفتقده هو الخبرة مع المجرمين وأظن أنه رآهم في الأفلام فقط. وإن علموا بطريقة أو بأخرى أنه هو الذي أبلغ عنهم سوف يعاقبونه وإن فشلت الشرطة في القبض على المجرمين فإنهم سيضيقون الخناق على شيكار، ولكن لم أتمكن من إقناعه بكل هذه الدلائل.

الحق، فقد خطر ببالي عندما رأيت المجرمين وهم يلقون بالجثة، خطر ببالي أن يكون قاتل ابني واحد منهم. كنت في قمة غيظي من أولئك الناس ولكن آثرت السكوت خوفا من إثارة المزيد من المشاكل لي ولمن نحب، لذا قلت لشيكار إنه سيجلب لنفسه

المشاكل بابلاغ الشرطة وتوقعنا ايضا قبيها. فقال شيكار "كيفما تطورت الظروف فانني لن اقول لاحد انك كنت موجودا معي بموقع الحادث" وقال هذا بمنتهى الاصرار. نظرا لعناد شيكار بدأت اشعر بشيء من النفور لشيكار. لم اقل شيئا ولكن كان يمكن لشيكار ان يدرك رد فعلي ازاءه في وجهي وتصرفي قائلا: "اذا لم تكن تثق بي فاسمح لي ان ابحث عن عمل في مكان اخر. ثم رد علي ذلك فاعطاني ظهره ومضى بخطى واثقة متزنة.

في صباح اليوم التالي انتظرت شيكار طويلا. ولما لم يات حتى وقت متأخر في النهار ظننت انه وقع في مأزق ما او اعتاد التفكير وفضل السكوت. مضى النهار كله وحل المساء. ولقضاء الوقت بدأت اتصفح بعض الصحف المسائية الملقاة امامي على الطاولة وجذب انتباهي خبر وجيز صادر عن مصلحة البوليس يقول ان البوليس تمكن من القبض على واحد من اولئك القتلة الذين قتلوا امرأة بعد اغتصابها ورموا جثتها على مسافة غير بعيدة من المدينة وان شخصا مجهولا اتصل بالبوليس وابلغهم عن اوصاف احد القتلة واعطاهم ايضا رقم سيارة القتلة ولا يزال البوليس يحقق في الموضوع ومن المتوقع ان يتمكن البوليس من القاء القبض على باقي القتلة في وقت قريب".

عندما قرأت هذا الخبر شعرت بمنتهى السعادة لانجاز شيكار الجريء وفي نفس الوقت غلبني الخجل لانني على الرغم من

المجرم

انني مواطن شريف ومسؤول التزمت الصمت وحاولت اغماض نظري عن جرم راحت ضحيته انسانة بريئة وهكذا ساندت المجرمين وأصبحت واحدا منهم وليس هذا فحسب بل انني اصبحت واحدا من قتلة ابني الغالي.

بدأت أشعر بأنني مجرم وعندئذ أود الاعتراف بذنبي أمام القسيس في الكنيسة.

امتحان

- بريم تشند*

ترجمة: محمد المختار أحمد**

حين أصبح سردار سجان سنغ، وزير دولة ديوغر، عجوزاً، خطر بباله أن يستقيل عن وظيفته الحكومية ويخلص أيام حياته الباقية في عبادة الله عز وجل ويستغل بذكره أثناء الليل وأطراف النهار، فلما طرح فكرته أمام أمير الدولة ديوغر وقال متوسلاً منه: "مولاي، قضى هذا العبد الضعيف معظم أيام حياته في خدمة الدولة الحبيبة سعياً لرفاهيتها ورخائها وازدهارها فيود أن يزهد الدنيا وملذاتها ويتخذ طريق الزهد والتقوى."

لم تقع هذه الفكرة موقع حسن في قلب الأمير لما كان يعتبر وجود هذا الرجل الصالح واللائق في بلاطه نعمة من نعم الله ولكن

---

* أديب هندي شهير

** موظف الإذاعة لعموم الهند، نيودلهي

معترفا بجد مكانه الصدارة التي ساهمت منذ السنوات في تطور الدولة وأمنها وسلامها وازدهارها الشامل. فحاول كثيرا من إقناع هذا الرجل العجوز بأهمية بقائه في وظيفته الملكية ولكنه حسن رأى تمسكه برأيه وعزمه بالرجوع الكامل حتى خالقه الحقيقي، قبل استقالته وطلب منه أن يعتني هو نفسه بتعيين خلفا له.

ولما تقرر هذا الرأي نشر إعلان في جرائد بارزة بأن دولة ديو غر في حاجة إلى وزير جديد ومن له الرغبة في هذا المنصب عليه الاتصال بالوزير الحالي سردار سجان سنغ. وليس من الضروري أن يكون الراغب في هذا المنصب حاملا لشهادة بكالوريوس وكل ما هو المطلوب منه أن يكون رجلا صالحا وفطنا له قلب واسع ونفس سمحة تسعى لمصالح الناس ورفاهيتهم. يراقب على الشخص المتقدم لهذا المنصب طول شهر واحد. وهذه المراقبة لا تتعلق بمؤهلاته التعليمية بقدر ما تتعلق بأخلاقه الحسنة وصفاته الحميدة. من يرتقي إلى هذا المستوى المطلوب فهو يعتبر جديرا لهذا المنصب العالي.

أحدث هذا الإعلان ضجة بين الناس وهم قالوا فيما بينهم " منصب عالي! دون شروط وقيود ، يستند إلى حظ سعيد فقط.

فانطلق مئات من الناس الطموح إلى دولة ديو غر. اكتظت شوارع العاصمة بأناس مختلفي الصفات والعادات والثقافات.

وصلوا من جهات مختلفة بالقطارات والباصات والسيارات. وهناك أحد من يتعاطى ونفر من محترفين، كان يحب أحد الزي الحديث والآخر يفضل الزي القديم، وتقدم الرجال الشيخون أيضا. ووجدوا فرصة نادرة لاختبار حظهم، فرأيت الدولة وأهاليها أناسا في القمة من جلابيب وأعمة وقلانيس مختلفة الألوان والأشكال والأطوال.

أعد لهم سردار سيجان سنغ كثير عدة من طعام وخدمة واستراحة فأقام كل مرشح في غرفة منفردة مع خادم يقوم بتوفير ما يحتاج إليه في الاحتياجات اليومية.

تظاهر المرشحون الطموح أحسن السلوك والعادات فتكلموا بكلمات لينة ورشيقة وتصرفوا تصرفات حكيمة ورزينة، وأصبح كل منهم صورة مجسدة من صدق ووفاء وذكاء وصفاء. وأخذوا ينتظرون كالصالحين بمرور شهر واحد.

أما الوزير سردار سيجان سنغ فكان خبيرا بخفايا النفوس البشرية وخلجاتها عارفا بصعوبتها من كثرتها. لذا تدبر لهم من مكان خفي يتفرس في وجوههم ويحلل تصرفاتهم وعاداتهم ليعلم من هو جوهرة مطلوبة من بين حشد في الناس.

إن المرشحين الذين لهم الميل إلى كل ما هو جديد وحديث، طرحوا يوما فكرة لإجراء مباراة للعبة الهوكي، فلما استقر هذا الرأي، تقدمت منظمات الدولة لإعداد الميدان وشراء أدوات اللعب

في مضرب وكرة وشبكة. حين موعد الالتقاء في الساعة الثالثة والنصف عصراً نزل اللاعبون في الميدان وجاء الحكمان وبدأت المباراة. جعلت الكرة تجري من ناحية هذا الفريق وإلى ناحية الفريق الآخر، تارة إلى هذه الزاوية وتارة إلى زاوية أخرى.

كان حماس فقد التقدير بين المتفرجين لأن دولة ميونغو لم تكن مألوفة بمثل هذه المباراة وكان الناس يرون أن الأناس المثقفين يلعبون الشطرنج وورق اللعب، أما مثل هذا اللعب الذي يتطلب العدو والقفز، فلا يلائم إلا للأطفال الصغار.

استمرت المباراة بتحمس بالغ وكان يتقدم المهاجمون مع كرة كأنهم أمواج فقلت تتقدم إلى الأمام بكل قوة ونفوذ. أما المدافعون فكانوا يصدون هذا السيل الجارف كأنهم بنيان مرصوص. لعب الفريقان وسط هتافات واستحسانات المتفرجين حتى انتهى الموعد المحدد. ابتل اللاعبون وملابسهم في عرقهم وانتهوا عن اللعب مع أنفاس لاهثة ومتكسرة وكانت حرارة دمائهم تنعكس في وجوههم وعيونهم. مع ذلك كانت المباراة دون نتيجة. ولم يتمكن أي من الفريقين في تسجيل هدف ولو واحدا فكانت صفر صفر. أصبح وقت غروب الشمس وانتشر الظلام. على بعد في ميدان اللعب كان جدول لم يكن عليه جسر بينما ظل اللاعبون يستريحون. وصل إلى ذلك الجدول مزارع مع عربة يجرها الثوران وكانت العربة محمولة بالحبوب. لما كان الجدول على ارتفاع وكان

فيه وحل ، لم تتمكن العربة من صعود الجدول و عبوره. حاول المزارع كثيرا وحث الثورين على جر العربة ولكنه دون جدوى ، كان الحمل كثيرا والثوران ضعيفين. لم تكن العربة تصعد الجدول وإن صعدت قليلا، رجعت إلى الوراء. تعب المزارع وتعب الثوران ولم تعبر العربة ذلك الجدول.

طاف المزارع ببصره في أطرافه، لعله يجد من يساعده في إخراجه في هذه المشكلة. فلم ير أحدا وخاف أن يضطر إلى بقاء طوال الليل في هذا المكان النائي من المدينة. في غضون ذلك، مر اللاعبون التعب بتلك الطريق ، نظر إليهم المزارع بنظرة تلتمس منهم المساعدة. ولكنه لم يخطر ببال أحد منهم أن المزارع يحتاج إلى مساعدتهم و كلهم كانوا في غطرستهم و أنانيتهم وفي حبهم الذاتي. وكانت قلوبهم خالية من الرحم و التعاطف ومن الرأفة والمحبة.

إلا أنه كان في جموع من الناس شاب يملأ قلبه بالترفق والعطف وبالجرأة والإقدام، كانت جرحت قدماه وكان يعرج في مشيته. وقعت عيناه على العربة وصاحبها وعرف كل ما كان فيه المزارع من وضع محرج. اقترب منه وقال له " هل نخرج عربتك من هذه المشكلة؟ رفع المزارع عينيه فرأى رجلا طويل القامة قوي البنية وعريض الجبين والأنف أمامه. قال المزارع خائفا " مولاي كيف تقول هذا؟!

قال الشاب: أظن أنك منذ وقت طويل في هذه المشكلة. اركب العربة وسأشجع الثورين على جرها أما أنا فأدفع العربة من الوراء.

جلس المزارع على العربة وجرها الثوران من الأمام ودفع الشاب عجلتها من الوراء، جرى هذا العمل أكثر من مرة وبعده، انغمس الشاب في الوحل إلى ركبتيه ولكن لم يهن عزمه وواصل محاولاته حتى تحركت العربة وصعدت وعبرت الجدول.

شكر المزارع هذا الشاب العطوف وقال له لو لم تكن هذه المساعدة منك لكنت بقيت طوال الليل في هذه المشكلة. تبسم الشاب وقال " دع هذا وقل لي ماذا تعطيني الآن من جزاء؟"

قال المزارع " إن شاء الله سيحصل إليك منصب وزير الدولة. نظر الشاب إلى المزارع بانتباه والشك يخاطر قلبه. وقال في نفسه، من هذا المزارع؟ إن صوته كان صوت سردار سجان سنغ. ووجهه أيضا شابه وجه سردار سجان سنغ. نظر المزارع إلى الشاب كأنه كان يحاول قراءة ما كان يخالج قلبه من الشك.

فتبسم وقال: إنه يجد اللؤلؤ من يغوص الماء عميقا.

انتهى الشهر الواحد المحدد للمراقبة على سلوك الواردين لمنصب الوزارة. وكان في وجوههم لون مختلط بالأمل واليأس. لا يعلم أحد منهم من سيكون ذا حظ سعيد ويظفر بهذا المنصب العالي؟

في المساء زين البلاط الملكي واجتمع النبلاء ورجال الحاشية الملكية وطبعا حضر المرشحون وكان كل منهم يرتدون ألبسة فاخرة.

قام سردار سجان سنغ وأخذ يقول: "أيها المرشحون لمنصب الوزير لهذه الدولة! أولا أعتذر عنكم على معاناة تقاسموها أثناء إقامتكم، مع أن الدولة لم تدخر جهدا في توفير كل ما يطيب لكم وكنت حريصا جدا على أن أجد لهذا المنصب شابا يحمل القيم العالية من المروءة والسخاء والنفس الشماء، شاب يكون قلبه مقداما على الأعمال الصالحة، ومتسامحا يسعى للوئام والانسجام بين مختلف الطبقات ويتحلى بقوة باطنية لا تحث على الشجاعة والبسالة ومكارم الأخلاق فحسب بل كذلك تبعثه على مواجهة التحديات والكوارث والمعاناة وعلى الخروج منها بحلول تنفع الدولة وشعبها.

ولحظ سعيد، ظفرنا بشاب يتحلى بهذه الصفات الحميدة والعالم لا ينجب مثل هؤلاء الشباب إلا نادرا ومن يتحلى بهذه الصفات لا بد من أن يجد مكانته اللائق. أهنئ دولة ديوغره أنها وجدت الشخص جانكي ناث لمنصب الوزارة.

نظر جموع من الناس إلى جانكي ناث منهم النبلاء والمرشحون وأصحاب البلاط الملكي. كان في أعين النبلاء ورجال

الحاشية الملكية بجلال واحترام، أما المرشحون فمنهم نظروا إليه بحسد.

مضى سرداري سجان سنغ قائلا: ينبغي أن لا يتردد أحد في قبول هذه الحقيقة البسيطة أن رجلا مع أنه مجروح إذا يتقدم ليساعد مزارعا مسكينا لإخراج عربته من وحل لابد من أن يكون حاملا بصفات عالية تعتبر من اللازم لهذا المنصب ومثل هذا الرجل لن ينسى الفقراء وعامة الناس ويسعى دائما لتوفير السعادة والرخاء لهم ولا يضل هو عن جادة الحق والصواب.

THAQAFAT-UL-HIND : **Statement of ownership and other particulars.**

FORM IV
(See Rule 8)

1.	Place of Publication	:	Indian Council for Cultural Relations, Azad Bhavan, Indraprastha Estate, New Delhi-110 002
2.	Periodicity of its Publication	:	Quarterly
3.	Printer's Name	:	Rakesh Kumar
	Whether citizen of India?	:	Yes
	Address	:	Director-General, Indian Council for Cultural Relations, Azad Bhavan, Indraprastha Estate, New Delhi-110 002
4.	Publisher's Name	:	Rakesh Kumar
	Whether citizen of India?	:	Yes
	Address	:	Director-General, Indian Council for Cultural Relations, Azad Bhavan, Indraprastha Estate, New Delhi-110 002
5.	Asst. Editor's Name	:	Rizwanur Rahman
	Whether citizen of India?	:	Yes
	Address	:	Indian Council for Cultural Relations, Azad Bhavan, Indraprastha Estate, New Delhi-110 002
6.	Name and address of individuals who own the newspaper	:	Director-General, Indian Council for Cultural Relations, Azad Bhavan, Indraprastha Estate, New Delhi-110 002

I, Rakesh Kumar, hereby declare that the particulars given above are true to the best of my knowledge and belief.

Sd/- Rakesh Kumar
Signature of Publisher